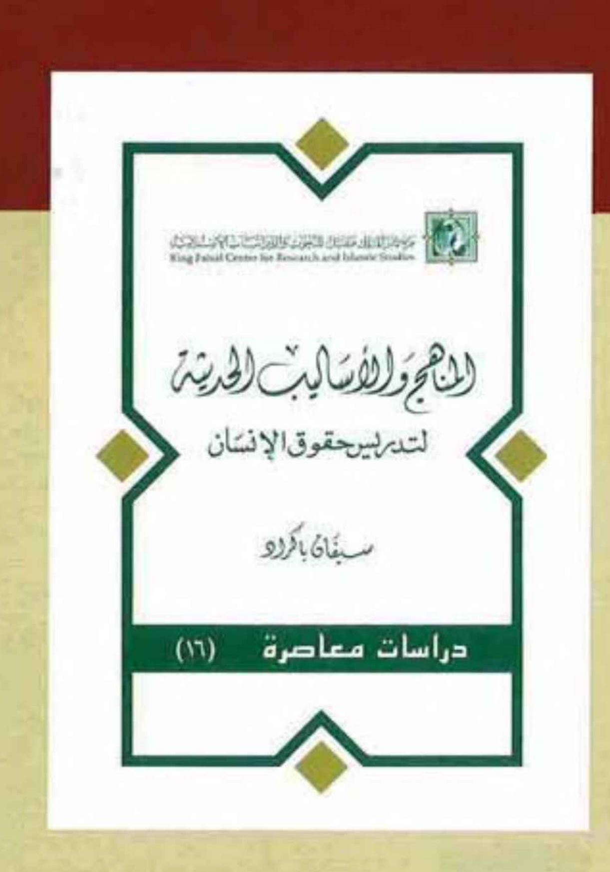
الفيصل

مجلة ثقافية شهرية - العدد ٣٢٩ - ذو القعدة ١٤٢٤هـ - يناير ٢٠٠٤م
ALFAISAL MAGAZINE - NO. 329 - JAN. 2004

- متحف النوبة: جلال الجغرافية والتاريخ
- الشركات المتعددة الجنسيات: أنواعها ومخاطرها
- أساليب علاج العنف والعدوان

صدر عن

مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية







مجلة ثقافية شهرية ـ العدد ٣٢٩ ، ذو القعدة ١٤٢٤ هـ ـ يناير ٢٠٠٤م
ALFAISAL MAGAZINE - No. 329 - GAN. 2004

ضوابط النشر

- يفضل طباعة المادة المرسلة على الحاسب الآلي، وإرسال نسخة على قرص مرن إن امكن، او كتابتها بخط مقروء على ورق A4 جيد، مع إرفاق سيرة ذاتية، وصورة ملونة حديثة.
- لا تفضل المجلة نشر المقالات الانطباعية التي تخلو من المعلومات.
- يرجى إرفاق صور أصلية ملونة جيدة مع الاستطلاعات والموضوعات الملونة، ولا تقبل الصور المأخوذة من الصحف والمجلات.
- في حال إرسال قصة مترجمة، يرجى إرفاق الأصل المترجم.
- لا تنشر المجلة الموضوعات المترجمة مباشرة من مجلات أجنبية، إلا إذا كان هناك إذن مسبق منها، وإن كان لا مانع من اتخاذها مصدراً من مصادر الموضوع، مع توضيح مواضع الاقتباسات بشكل علمي.
- المواد التي يعتذر من عدم نشرها لا تعني بالضرورة ضعف مستواها، ولكن قد تكون هناك مواد كثيرة في الموضوع نفسه سبق نشرها، او تنتظر النشر. ولا ترد المقالات إلى اصحابها بأي حال من الأحوال.
- يرجى إرفاق صورة غلاف الكتاب الذي يتم عرضه في باب «قراءات» مع بيانات وافية عن الكتاب المعروض يشمل: عنوانه واسم مؤلفه ودار النشر ومقرها، وسنة النشر، وعدد الصفحات.
- نأمل من الإخوة الكتاب الذين يراسلون المجلة من خارج المملكة العربية السعودية كتابة أسمائهم بالحرف
- اللاتيني.

الموضوعات التي مضى عليها وقت طويل ولم تنشر في المجلة سيتم الرد على الكتّاب بعد إعادة تقويمها بغض النظر عن أنها قد أجيزت من قبل للنشر.

- لا تمنح مكافآت على ما ينشر في بابي « رسائلكم» و«ردود وتعقيبات».
- يرجى الاهتمام بالتوثيق، ومن أهم ما ينبغي مراعاته:
  - يفضل تخريج الآيات القرآنية من القرآن الكريم مع تشكيلها، وذلك بذكر اسم السورة ووضع نقطتين بعدها ورقم الآية.
  - يفضل تخريج الأحاديث الشريفة من كتب الحديث مع ذكر طبعة الكتاب.
  - التثبت من النقول التي تنقل من الكتب، ولاسيما المصادر والمراجع التراثية القديمة مع ذكر طبعة الكتاب.
  - تشكيل الشعر ما امكن، وخصوصاً القديم منه.
  - ضبط اسماء الأعلام والشعراء والأماكن والأشياء غير المعروفة والكلمات غير المألوفة بالشكل الصحيح، والتأكد من أن أسماء الأعلام الأجانب مطابقة لما هو متداول في لغاتهم إن أمكن.

الموضوعات التي تنشر في المجلة تعبر عن آراء كتّابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة

السعر الإفرادي

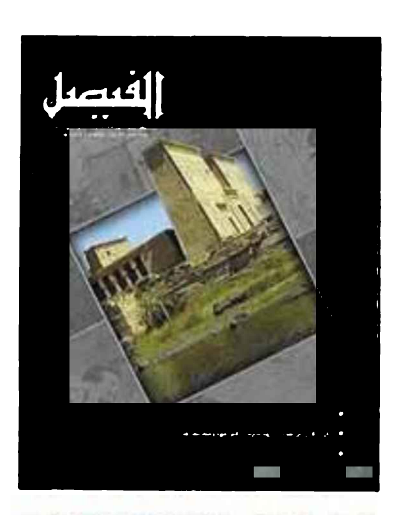
السعودية ٨ ريالات . الكويت ٦٥٠ فلس . الإمارات ٧ دراهم . قطر ٧ ريالات . البحرين ٧٥٠ فلس . عُمان ٧٥٠ بيسة . الأردن ٥٠٠ فلس . اليمن ٦٠ ريالاً . مصر جنيهان . السودان ٧٠ ديناراً . المغرب ٨ دراهم . تونس دينار واحد . الجزائر ٨٠ ديناراً . العراق ٤٠٠ فلس . سورية ٣٠ ليرة . ليبيا ٨٠٠ درهم . موريتانيا ١٠٠ أوقية . الصومال ٢٠٠٠ شلن . جيبوتي ١٥٠ فرنك . لبنان ما يعادل ٤ ريالات سعودية . الباكستان ٢٠ روبية . المملكة المتحدة جنيه إسترليني واحد.

الموزعون

السعودية . الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع . هاتف٤٨٧١٤١٤(٠١)، فاكس ٤٨٧١٤٦٠(٠١)، مصر . مؤسسة توزيع الأهرام . شارع الجلاء هاتف: ٣٣٩١٠٩٥ . فاكس ٣٣٩١٠٩٦ . ٢٠٢... سورية . المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات ص.ب ١٠٢٥ هاتف ٢١٢٨٢٤٨، فاكس ٢١٢٢٥٣٢ . ١١. ٠٠٩٦٣، تونس . الشركة التونسية للصحافة . ٣نهج المغرب . ص.ب ٧١٩. فاكس ٧١٣٢٣٠٠٤/ هاتف ٣٢٢٤٩٩ . ٧١ . ٠٠٢١٦، قطر . دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع . ص.ب ٣٤٨٨ هاتف ٤٦٦١٢٨٢ . فاكس ٤٦٦١٨٦٥ . ٠٠٩٧٤، الأردن . شركة وكالة التوزيع الأردنية . ص.ب ٣٧٥ هاتف ٤٦٣٠١٩١ . فاكس ٤٦٣٥١٥٢ . ٦. ٠٠٩٦٢، البحرين . مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف ص.ب ٢٢٤ هاتف ٢٩٤٠٠٠ . فاكس ٥٣١٢٨١ . ٠٠٩٧٣، الإمارات العربية المتحدة . مكتبة دار الحكمة ص.ب ٢٠٠٧ هاتف ٢٦٦٥٣٩٤. فاكس ٢٦٦٩٨٢٧ . ٤ . ٠٠٩٧١، الكويت . شركة المجموعة الكويتية للنشر والتوزيع ص.ب ٢٩١٢٦ ت ٢٤١٧٨١٠/١١/١٢ . فاكس ٢٤١٧٨٠٩ . ٠٠٩٦٥، المغرب . الشركة الشريفية لتوزيع الصحف فاكس: ٢٢٤٠٤٠٣١/٣٢ . ٢٢٤٠٠٢١٢ . ت: ٢٢٤٠٠٢٢٣، الجمهورية اليمنية . القائد للنشر والتوزيع ت: ٢٠١٩٠١/٢ ، ٣ . ٠٠٩٦٧ فاكس: ٢٠١٩٠٩/٧







متحف النوبة.. جلال الجغرافية والتاريخ

يحتضن نهر النيل بلاد النوبة، فاكتسبت جغرافيتها أسباب تميزها، واستمد منه إنسانها أسباب الحياة فأبدع في دروبها المختلفة حتى شاد حضارة عميقة الجذور وشديدة الثراء، تقف اثارها الباقية شاهدة على عظمتها.
وكانت هبة العالم لإنقاذ اثارها من خلال منظمة اليونسكو عند بناء السد العالي دليلاً عمليًا على ما تحظى به الحضارة النوبية من احترام وتقدير بالغين. كما جاء دعم اليونسكو مشروع إنشاء متحف النوبة في أسوان شهادة أخرى على أن آثار الحضارة النوبية تراث إنساني ثر يستحق الحفظ والبقاء في عالم الغد..

إدارة التحرير

رئيس التحرير: يحيى محمود بن جنيد
مدير التحرير: عبدالله يوسف الكويليت

المراسلات للتحرير والإدارة:

ص.ب (٣) الرياض ١١٤١١ .
المملكة العربية السعودية
هاتف: ٤٦٥٣٠٢٧ . ٤٦٥٢٢٥٥
ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

الاشتراك السنوي:

١٥٠ريال سعودي للأفراد، ٢٥٠ ريال سعودي للمؤسسات.
أو ما يعادلهما بالدولار الأمريكي خارج المملكة العربية السعودية.

الإعلانات

هاتف : ٤٦٥٢٢٥٥ . ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

رقم الإيداع في مكتبة الملك فهد الوطنية ١٤/٠٥٤٢
ردمد ١١٤٠ . ٠٢٥٨



«الفيصل» والأدباء الشباب

أنا من المتابعين للمجلة منذ سنوات بعيدة، وقد أعجبني كثيرًا صمودها في زمن لم تعد الثقافة هي البضاعة الرائجة في السوق، مما أدى إلى اختفاء إصدارات لها مكانتها، وتقلص أدوار إصدارات أخرى، وهبوط مستواها.

ولكن ظلت «الفيصل» في ظل هذا الواقع تواصل عطاءها وتجدد شكلها ومضمونها، مما يجعلها تحتفظ بقرائها، وتستقطب آخرين.

ومن أجل مزيد من التجديد أرى أن تتبنى المجلة من خلال دار الفيصل الثقافية فكرة إصدار أعمال مشتركة للأدباء الشباب الذين لا يجدون من يشجعهم، ولا يملكون من المال ما يعينهم على إبراز إنتاجهم، وإصداره، وهؤلاء لا يهمهم الكسب المادي بقدر ما يهمهم العائد المعنوي، ومن ثم لن يرهقوا ميزانية الدار بمطالب مالية، ويمكن تحديد ذلك في إطار قانوني لا يسبب اللبس أو الإشكال في المستقبل، ويمكن أن تكون هذه الإصدارات مقسمة بشكل جغرافي، كان يكون هناك إصدار لأدباء الخليج، وثان لأدباء الشام وثالث لأدباء المغرب، ورابع لوادي النيل أو أي تقسيم تراه المجلة. مع تحياتي وأمنياتي لكم بالتوفيق..

حسن محمد شحاتة جمال الدين

صحيفة الأهرام - القاهرة

التحرير:

نشكر لك هذا الاقتراح المبتكر، مع أن المجلة قد فكرت في هذا الأمر من قبل، وتضعه موضع الدراسة، ولكن قد يكون اقتراحك مشجعًا لبدء خطوات عملية، ولعلك تلاحظ حرص المجلة على تشجيع الأدباء الشباب من خلال نشر قصائدهم وقصصهم القصيرة، إذ يتم تقديمها من خلال لجنة مختصة لا تأخذ في الحسبان غير مستوى العمل ومدى استحقاقه للنشر بغض النظر عن اسم كاتبه.

إعجاب

يطيب لي أن أبعث بهاته الرسالة القصيرة لأبلغكم من دون مجاملة إعجابي التام بمحتويات مجلتي العزيزة «الفيصل» التي بدأت منذ أمد في تجميعها حتى امتلكت حاليًا نحو (٨٠) عددًا بين قديم وحديث، وكلما وجدت لدى الباعة عددًا قديمًا لا أمتلك مثله قمت بشرائه لأدعم رصيدي من «الفيصل».

وتقبلوا مني فائق عبارات الاحترام والمودة..

كمال الوغلاني

تونس

التحرير:

نشكر لك هذا الارتباط العميق بالمجلة، ونأمل أن تكون عند حسن الظن، ونقدر لك تكبدك المشاق من أجل التعبير عن هذه المشاعر الصادقة تجاه مجلتك، وليتك تساهم بالكتابة في المجلة، ولو بإعداد استطلاع أو مقالة عن تونس الخضراء أو أحد معالمها أو أعلامها.

ركان

أشكر سعيكم المتواصل لتطوير المجلة شكلاً ومضمونًا وأرى من الضروري إعادة ركن قيم إلى أبواب المجلة الثابتة ألا وهو «دائرة المعارف» أيضًا أرى ضرورة إحياء ركن «طريق الهدى» لما فيه من فائدة كبرى، ولماذا اختفى ركن «بدايات» وهو ركن علمي مهم.

قد تكون هذه الأبواب دخلت طي النسيان، إلا أن متابعتي للفيصل لما يزيد على خمسة عشر عامًا جعلتني أحن إلى تلك الأركان الثابتة.

- بحكم اختصاصي في مادة الإنجليزية أرجو منكم مدّي بكتاب «ترجمة معاني القرآن الكريم بالإنجليزية» لعبدالله يوسف علي، وإن لم يكن ذلك ممكنًا فكيف يتسنى لي تحقيق هذه الغاية.. مع الشكر سلفًا.

نبيل البواب

تونس

التحرير:

نقدر حنينك إلى هذه الأركان التي ظلت جزءًا من المجلة مدة طويلة، ولكن التطوير بغرض التجديد، وسياسة التحرير الحالية قائمة على ألا تكون هناك زوايا وأبواب ثابتة إلا في أضيق الحدود، وأن يتم طرح القضايا المختلفة من دون أي قيد، وهذا لا يمنع

الاسترشاد بآراء الإخوة القراء في التقويم وإعادة النظر في أي خطوة تخطوها المجلة بحثًا عن الجديد لقرائها الأكارم، ونأسف لعدم قدرتنا على مساعدتك على الحصول على الكتاب المذكور.

لماذا التفرقة؟!

أشكر لكم ما تبذلونه من جهد كبير حتى تخرج مجلتكم القيمة بهذه الصورة الباهرة من حيث مادتها وموضوعاتها القيمة المفيدة التي تجمع بين التراث العظيم للأمة الإسلامية والعربية والعلوم الحديثة أيضًا، وكذلك الطباعة الجيدة والمتميزة للمجلة، وأتمنى لكم دوام التوفيق والتقدم والازدهار وأن ننال جميعًا رضا الله عنا في الدنيا والآخرة إن شاء الله.

لقد قرأت ردودكم على الاقتراح بشأن صعوبة عمل قرعة بين المكثرين من الإجابة وذلك لكثرة الرسائل التي ترد إليكم، وهذا في الوقت الحالي، ولكني، أسأل، وماذا عن المستقبل وهو بيد الله عز وجل؟ فقد يأتي يوم تستطيعون فيه عمل هذه القرعة بأن ييسر الله ذلك بظهور أفكار جديدة وأجهزة حديثة تساعد وتيسر ذلك الأمر. ووقتها لابد أن تكون كوبونات الإجابة عن المسابقات الماضية (الإجابات الصحيحة) موجودة ومحفوظة لديكم، أو على الأقل أسماء أصحابها حتى يتيسر عمل هذه القرعة أو إعطاؤهم بعض الجوائز على أسس أخرى معينة، ولذا أرجو الاحتفاظ بكوبونات الإجابة الصحيحة أو على الأقل معرفة أسماء هؤلاء المكثرين من الإجابة، وعدد مرات إجاباتهم.

وهناك اقتراح آخر عملت به بعض المجلات الإسلامية والعربية مثل مجلة الوعي الإسلامي الكويتية. فإنها تقسم جوائزها بالتساوي فمثلاً: عشرة آلاف دينار كويتي تقسم على عشرة متسابقين فيكون نصيب كل متسابق ألف دينار. وذلك لأن كل إجابات المتسابقين متساوية وواحدة، فليس هناك متسابق له إجابات أكثر من الآخر حتى يأخذ أكثر منه، وهكذا. وختامًا أشكركم.

عبدالعزيز محمد السيد عمر سماحة

الدقهلية - مصر

التحرير:

نشكر لك اهتمامك الدائم بالكتابة إلى المجلة والإسهام بالاقتراحات القيمة التي تظل محل نظر واهتمام من أجل مزيد من التطوير.

ردود سريعة

الأخ ولي الله سعيدي عيد فلاحي - الهند:

نشكر لك رسالتك الرقيقة، وإشادتك بمستواها، وما حدث من تطوير مؤخرًا، كما نعدك بأن تأتي الأعداد القادمة إلى الهند وغيرها من البلدان فور صدورها من دون أي تأخير، ونرحب بمشاركاتك القيمة، وتحياتنا لك ولجميع الإخوة القراء في الهند.

الأخ م. ث - تونس:

نفضل أن يفصح الإخوة القراء عن أسمائهم وعناوينهم؛ لأنه لا شيء يدعو إلى استخدام الرموز، وسؤالك عن مشرط فيدال نترك الإجابة عنه للأستاذ محمد نزار الدقر كاتب مقالة «إن أمثل ما تداويتم به الحجامة» المنشورة في العدد ٢٣١ لعله يبعث إلينا بإجابة وافية عن استخدامه وبلد الصنع وغير ذلك.

الأخ منصور سليمان عبدالله - تعز - اليمن:

نشكر لك إطراءك على المجلة، وإشادتك بالجهد المبذول في إخراجها، ووصفك لها بأنها مصدر مهم لكل مثقف وباحث ومحب للمعرفة؛ وهذا ما يشجع على بذل مزيد من الجهد للارتقاء بالمستوى بما يناسب تطلعات قرائها، ونأمل أن نتمكن من تلبية رغبتك، وحظًا وافرًا لجميع من يشاركون في المسابقة.

الأخت علية عبدالحميد أحمد عثمان - القاهرة - مصر:

نأسف إذا كان هناك تأخير في وصول جائزتك، وسوف تصل إليك قريبًا الإصدارات والأعداد، وإذا كان هناك أي خطأ في العنوان فسيتم تداركه.



متحف النوبة: جلال الجغـ

ـــرافيـة والتاريخ

حسين حسن حسين

قسم التحرير

لا يشعر زائر أسوان بالمتعة ما لم يكن النيل ملازمًا له في كل آن. فهو مفتاح المدينة، ومحور حياتها، ومصدر بهجتها.. فعلى سطحه تتهادى البواخر السياحية المحملة بأفواج من السياح الذين يسحرهم نيل أسوان، وتجذبهم طيبة أهلها السمر الذين يتميزون بصدق التعامل؛ كما تتناثر المراكب الشراعية حاملة الناس بين ضفتي النيل وراسمة لوحة يتعانق فيها الإنسان والطبيعة، ويأتلف على سطحها الماضي والحاضر.

ولا يلتفت الإنسان يمنة أو يسرة وهو يشاهد معالم أسوان على ضفتي النهر الخالد إلا ويجد التاريخ حاضرًا وممثلاً في معلم أو أثر، كما أن الواقع المعيش يفصح عن مواكبة واضحة لمستجدات العصر من خلال معالم بارزة كالحدائق الغناء والمتاحف ودور الثقافة والفنادق والعمارات الشاهقة.

وعلى مقربة من النيل أحد أبرز تلك المعالم الحديثة الا وهو متحف النوبة الذي يستنطق التاريخ، ليدلي بشهادته موضحًا ما لأرض النوبة من عطاء حضاري ثر لا يزال كثير من أسراره خافيًا على إنسان العصر بكل ما لديه من تقنية متجددة الإمكانات، وقدرات فكرية وعقلية تكشف فضاءات بكرة.. والحضور الطاغي لحضارة النوبة في عصر يشهد انزواء حضارات كانت لها السيادة دليل عافية هذه الحضارة، وقدرتها على التجدد والاستمرار في عالم متغير.

ولا أدل على قدرات البقاء والتجدد من ديمومة اللغة النوبية، بل استنباط حروفها الأصلية من خلال دراسة عميقة للدكتور مختار كبارة . رحمه الله . مما يهيئ هذه اللغة لمقاومة الاندثار، وخاصة في ظل اعتزاز أهلها بها، وحرصهم على بقائها.

ومن يتجول في متحف النوبة يدرك مدى قوة هذه الحضارة، وما تختزنه ذاكرة إنسانها من أحداث وأعلام وفنون، تجسد جميعها إرثًا حضاريًا له بعده الإنساني المقدر الذي تمثل في تبني منظمة اليونسكو بناء متحف النوبة ليضم كنوز هذه الحضارة التي تعد إحدى أهم حضارات العالم، ولعل التتبع التاريخي لأهم مراحلها يؤكد عمق هذه الحضارة وثراء عطائها.

الجغرافية

تمتد بلاد النوبة بين أسوان شمالاً حتى مدينة الدبة قرب الجندل الرابع جنوبًا، وهي تمثل حلقة الوصل بين مصر والسودان. وتشتق كلمة النوبة من «نب» وتعني الذهب، في إشارة إلى ما اشتهرت به المنطقة من مناجم الذهب.

وقد أطلق عليها المصريون القدماء «تاستي» بمعنى أرض القوس، إشارة إلى السلاح الرئيس الذي كان يستخدمه أهله.

واشتهرت بلاد النوبة بثروات طبيعية كثيرة، ففيها معادن الذهب والنحاس والأحجار شبه الكريمة كالعقيق الأحمر واليشب والجمشت، وقد عمل أهلها بالزراعة والرعي، وكانت تمثل دومًا المدخل إلى إفريقية

الاستوائية، وسوقًا لمنتجاتها من سن الفيل والبخور وريش النعام.

عصور ما قبل التاريخ

اعتمد النوبيون في معيشتهم على صيد الأسماك والحيوانات البرية حسب ما تظهر الأدوات الحجرية والرسوم الصخرية التي خلفوها، كما أن العلاقات بين سكان وادي النيل جنوبه وشماله كانت قوية، وكانت هناك حركة تنقل واسعة على امتداد المنطقة.

وقد وجدت شواهد معمارية من منازل ومقابر تعود إلى أكثر من أحد عشر الف سنة تدل على استقرار سكان هذه المنطقة، وقد تكون حضارة الخرطوم التي تؤرخ بنحو ستة آلاف سنة ق.م هي أقدم حضارات العصر الحجري الحديث في وادي النيل، وقد عرف أهلها صناعة الفخار، وتربية الحيوانات وزراعة الحبوب والصيد والقنص، وكانت تمتد شمالاً حتى دنقلة.

وكانت توجد مراكز حضارية في النوبة السفلى كوادي السبوع وعنيبة وأبي سنبل ارتبطت بحضارات الصعيد.

مجموعات حضارية

قسم بعض العلماء تاريخ النوبة في العصر الفرعوني إلى مجموعات حضارية رمز إليها بالحروف (أ) و (ب)، و(ج)، و(د)، وحاول بعض العلماء ربط تلك المجموعات الحضارية بعصور التاريخ المصري القديم.

عصر الأسَر (المجموعة أ) ٣١٠٠ ـــ ٢٧٠٠ ق.م

تميز النوبيون في هذا العصر بصناعة الأواني الفخارية الحمراء المصقولة من الخارج والسوداء اللامعة من الداخل، وتركوا رسومًا صخرية تصور حيوانات الصيد والرعي مثل الفيلة، والزرافة، وأفراس النهر، والبقر، وشكلوا من الصلصال تماثيل صغيرة للإنسان والحيوان، وكانت أغلب آثارهم يحمل دلالات على قوة صلتهم بالحضارة المصرية.

عصر الدولة القديمة ٢٧٠٠ ـــ ٢٢٠٠ ق.م

يطلق على هذا العصر مصطلح المجموعة (ب).. ويبدو انه لا فارق بينها وبين ما ساد في الحقبة السابقة.. وإن كانت الحضارة المصرية قد امتد سلطانها ليشمل النوبة السفلى، حتى ظهر أسماء ملوكها مثل خوفو وخفرع ومنكاورع من الأسرة الرابعة وسركاف وساحورع من الأسرة الخامسة في أماكن مختلفة.

وفي الأسرة السادسة كان هناك جنود نوبيون في الجيش، كما نشطت الرحلات الاستكشافية إلى أرض النوبة.. واشتهرت بوهين بوجود أفران لصهر النحاس، وكانت مركزًا تجاريًا مهمًا مع إفريقية الاستوائية، فصدرت البخور والأبنوس والعاج وجلد الفهد إلى مصر، ووردت إليها من مصر العسل والزيت والنبيذ والجعة والملابس الكتانية.

المجموعة ج (١ ـ ٢) (٢٢٠٠ ـ ١٥٥٠ ق.م)

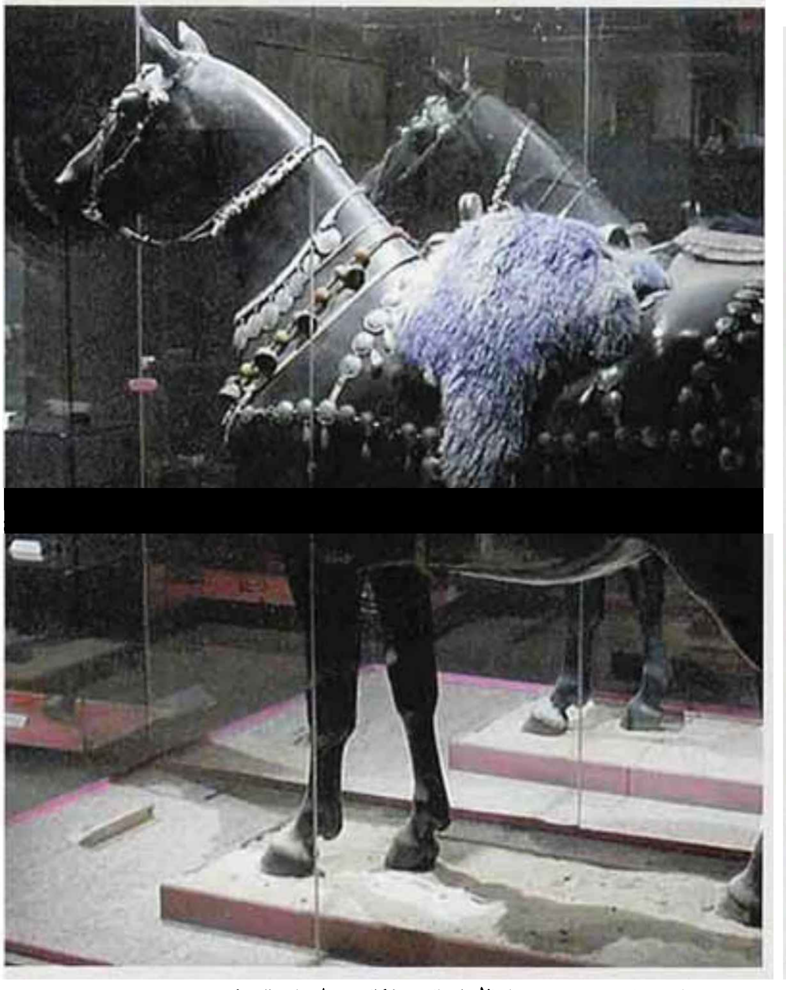
كان أصحاب حضارة المجموعة (ج)، فيما يبدو، مزيجًا من العناصر النوبية الأصيلة والمجموعات التي بدأت تفد على النوبة منذ أواخر عصر الدولة القديمة من المناطق الجنوبية للصحراء الغربية بالقرب من كردفان حاليًا، وقد استقر بها المقام في النوبة السفلى.

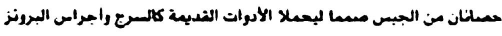
وتوجد إشارات إلى وجود نوبيين في جيش طيبة، وأنهم ساعدوا على استعادة وحدة البلاد على أيدي ملوك الأسرة الحادية عشرة.

في النوبة العليا، احتلت كرمة عند الجندل الثالث مركزًا حضاريًا مهمًا، وكانت لها سلطتها الإدارية المنظمة. وقد اشتهرت بالفخار المصقول ذي الفوهة السوداء، وبدأ فيها استخدام الطوب الأحمر والبرونز



جانب من البيت النوبي كما بدا في المتحف





حصانان من الجبس صمما ليحملا الأدوات القديمة كالسرج وأجراس البرونز

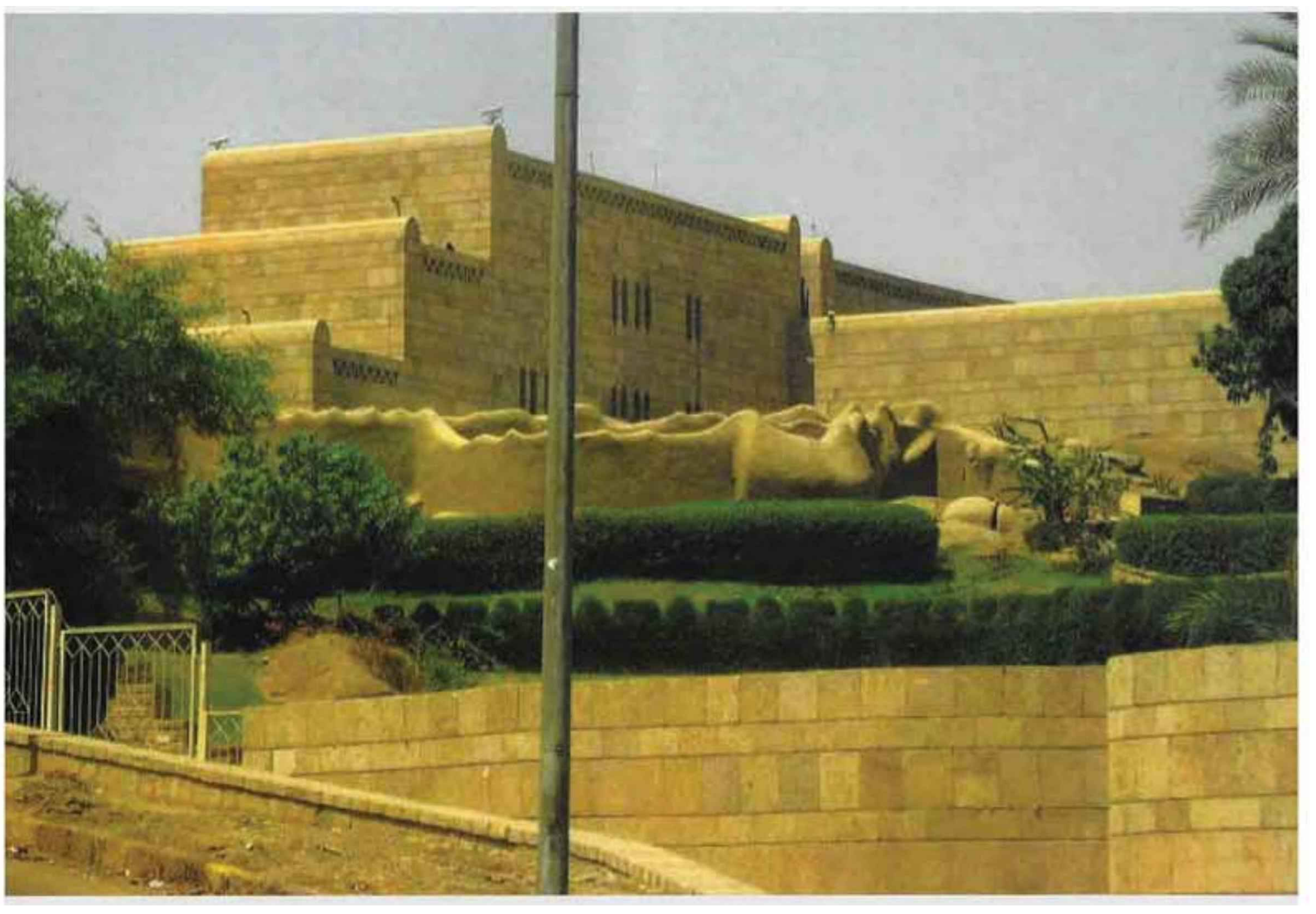
وصهر النحاس، وانتشرت فيها عادة التحلي بالأقراط المستديرة الأسطوانية الشكل، وعرفت عادات وفنوناً خاصة بها. وابتداء من عصر الدولة الوسطى (٢٠٤٠ - ١٧٨٦ ق.م) سعت مصر إلى مد حدودها الجنوبية حتى وصلت إلى سمنة جنوب النيل، وابتداءً من عهد الملك سنوسرت الأول (١٩٧١ - ١٩٢٨ق.م) وجدت نصوص مصرية تشير إلى النوبة العليا باسم كوش، ولا سيما المنطقة المحيطة بالجندل الثالث.

ومع ذلك ظلت الدولة الكوشية في كرمة قائمة ومزدهرة وأدت دور الوسيط التجاري بين مصر وحوض البحر المتوسط في الشمال وقلب إفريقية في الجنوب.

ومع انحسار الوجود المصري في النوبة السفلى خلال عصر الانتقال الثاني (١٧٨٦ - ١٥٥٠ق.م) امتد سلطان دولة كوش ليشمل إقليم واوات حتى جنوب أسوان، حتى أصبحت كوش تضاهي مملكة الطيبيين في جنوب الصعيد والهكسوس في الدلتا ومصر الوسطى.

عصر الدولة الحديثة (المجموعة ج٣) ١٥٥٠ – ١٠٧٠ ق.م

بعد أن تخلصت مصر من حكم الهكسوس سعت إلى تأمين حدودها الجنوبية، واستطاع تحتمس الأول القضاء



جانب من مبنى المتحف الذي يأخذ شكل البيت النوبي

على الدولة الكوشية ودخول كرمة، ووصل حفيده تحتمس الثالث إلى الجندل الرابع، وشيدت مدينة نبتة عند جبل البركل، وضمت معبدًا لآمون، كما أقيمت مدن أخرى في عنيبة وعمارة وصلب وغيرها كانت مركزًا للإشعاع الحضاري والثقافي في كل أرجاء النوبة.

وعدت مصر النوبة امتدادًا طبيعيًا لها وطبقت عليها النظم الإدارية السائدة في الدولة، وعين لإدارة شؤون تلك المنطقة موظف كبير يدعى «ابن» نائب «الملك في كوش»، و«المشرف على الأراضي الجنوبية»، وكان مسؤولاً عن أمن الإقليم وحمايته، إلى جانب تحصيل الضرائب، وإقامة العدل، وبناء المعابد، وإنشاء المخازن، وحفر آبار المياه وغيرها، وكان يعاونه في أداء مهامه نائبان أحدهما لواوات ويقيم في عنيبة، والآخر لكوش ويقيم في عمارة.

وشهد هذا العصر تطورًا إداريًا وازدهارًا اقتصاديًا وتجاريًا، ومع سقوط الدولة الحديثة انهار الجهاز الإداري في النوبة، وتفككت أوصالها.

العصر الكوشي (٧٨٠ ـ ٥٩٣ ق.م)

نجح آلارا في بدايات القرن الثامن ق.م في الاستقلال عن مصر، وأقام عاصمة ملكه في نبتة أسفل الشلال الرابع، وبعد عشرين عامًا خلفه أخوه كشتا الذي أعطى لنفسه ألقابًا ملكية تقليدية، كان من بينها لقب (ابن رع).

وتمكّن ابنه بعنخي (٧٤٧ . ٧١٦ق.م) من احتلال مصر في عام ٧٢٥ ق.م وأسس دولة امتدت من البحر المتوسط حتى مشارف الحبشة.

وأعاد أخوه وخليفته شباكو فتح مصر وأسس الأسرة الخامسة والعشرين وحقق استقرارًا سياسيًا وإداريًا وازدهارًا اقتصاديًا.

وكان الملوك النوبيون يعدون أنفسهم جزءًا من مصر، وتعاملوا مع أهلها على أنهم أشقاؤهم، واتخذوا آمون رع إلهًا أكبر، ونصبوا بعض أميرات البيت الملكي مثل آمنروس زوجة إلهية للإله آمون.

وتصدى النوبيون في عهدي طهرقا (طهارقا) وتانوت أماني للآشوريين، وفي عهد الأخير احتل الجيش الآشوري طيبة أو مَنْفَ لتنتهي الأسرة الخامسة والعشرون في مصر في نحو ٦٦٤ق.م.

وظلت الأسرة الكوشية تحكم النوبة حتى مد الملك بسماتيك الثاني نفوذ مصر حتى الجندل الثالث، ويبدو أنه دخل مدينة نبتة (نباتا) نفسها، وقد نقل الكوشيون مقر ملكهم، إلى الجنوب في مدينة مروي وظلت نبتة محتفظة بمكانتها المقدسة.

العصر المروي

ازدهرت حضارة كوش بعد انتقال عاصمتها من نبتة إلى مروي (البجراوية حاليًا) في القرن السادس قبل الميلاد في عهد الملك أسبلتا (٥٩٣ . ٥٦٨ ق.م)، واستمرت هذه الحضارة تسعة قرون، وتميزت بالأهرامات الملكية والمعابد، ومنها معبد الشمس الذي كتب عنه المؤرخ هيرودت، كما ازدهر فيها صهر الحديد حتى وصفت ببرمنجهام إفريقية القديمة.

وذكر هيرودت أنه عندما وقعت مصر في قبضة الجيش الفارسي عام ٥٢٥ ق.م عزم قمبيز على غزو النوبة إلا أن النوبيين قبضوا على جواسيسه، ثم هزموا جيشه هزيمة منكرة.

وفي عهد البطالمة كانت العلاقة بينهم وبين النوبيين ودية بعد إخفاق حملة بطليموس الثاني.

وابتداء من القرن الثاني ق.م طور المرويون كتابتين خاصتين بهم أولاهما كانت تتألف من ٢٣ علامة، وتعرف اصطلاحًا باسم الهيروغليفية المروية، أما الثانية فإن علاماتها كانت أكثر اختصارًا، ويبدو أنها كانت مطورة عن الكتابة الديموطيقية المصرية.

ومع بدء العصر الروماني في مصر، اتفق الرومان والمرويون على بقاء النوبة تحت سيادة مروي، على أن تكون خاضعة للحماية الرومانية، ولم تدم هذه الاتفاقية طويلاً، لزحف الجيش المروي تحت قيادة الملكة أماني ريناس الملقبة الكنداكة (أو الكانداكي) الذي أوقع الهزيمة بثلاثة فيالق رومانية، واحتل جزيرتي الفيلة والفنتين وأسوان، وأخذ الأسرى والغنائم وحطم تماثيل أغسطس.

ولكن الجيش الروماني شن هجومًا مضادًا وهزم المرويين عند الدكة، وطاردهم جنوبًا حتى احتل نبتة وسلبها، وعاد إلى الشمال بعد أن ترك حامية في «إبريم».

وتم الاتفاق بين الطرفين. فخصصت بمقتضاه النوبة الشمالية حتى المحرقة للحكم الروماني، بينما كانت السيادة الاسمية لمروي على النوبة العليا.

وحقق الاستقرار لمروي رقيًا حضاريًا بلغ أوجه في القرن الأول الميلادي، ثم بدأ الانحدار بظهور شعبين صحراويين جديدين على مسرح الأحداث هما البلميون والنوباديون. وكان من نتيجة انتشار هؤلاء في النوبة بدءًا من القرن الثالث الميلادي، وانسحاب الرومان إلى مصر،

والانهيار الكامل لمملكة مروي في منتصف القرن الرابع ان صارت السيادة لهذين الشعبين حتى القرن السادس الميلادي، وتعرف هذه الفترة في تاريخ النوبة باسم حضارة المجموعة (س)، إذ لم يتفق الباحثون لمن تنتسب هذه الحضارة إلى البلميين أم النوباديين أم كليهما معًا؟

وقد تأثر أهل هذه الحضارة بالمرويين والمصريين والبيزنطيين، وإن كانوا تميزوا بدفن أتباعهم ليكونوا في خدمة سادتهم في الحياة الأخرى، كما كانوا يدفنون حيواناتهم، بل كانت الخيول تدفن ومعها سروجها وحليها وأعنتها.

العصر المسيحي

قامت على أنقاض مملكة مروي ثلاث ممالك في النوبة هي: مملكة نوباتيا في الشمال وتمتد من الشلال الأول إلى الشلال الثالث وعاصمتها فرس، وعلى الجنوب منها، كانت مملكة المقرة، ويظن أنها كانت بالقرب من كبوشية جنوب مدينة مروي القديمة وعاصمتها دنقلا العجوز، والمملكة الثالثة هي علوة، واتخذت سوبا الواقعة بالقرب من الخرطوم عاصمة لها.

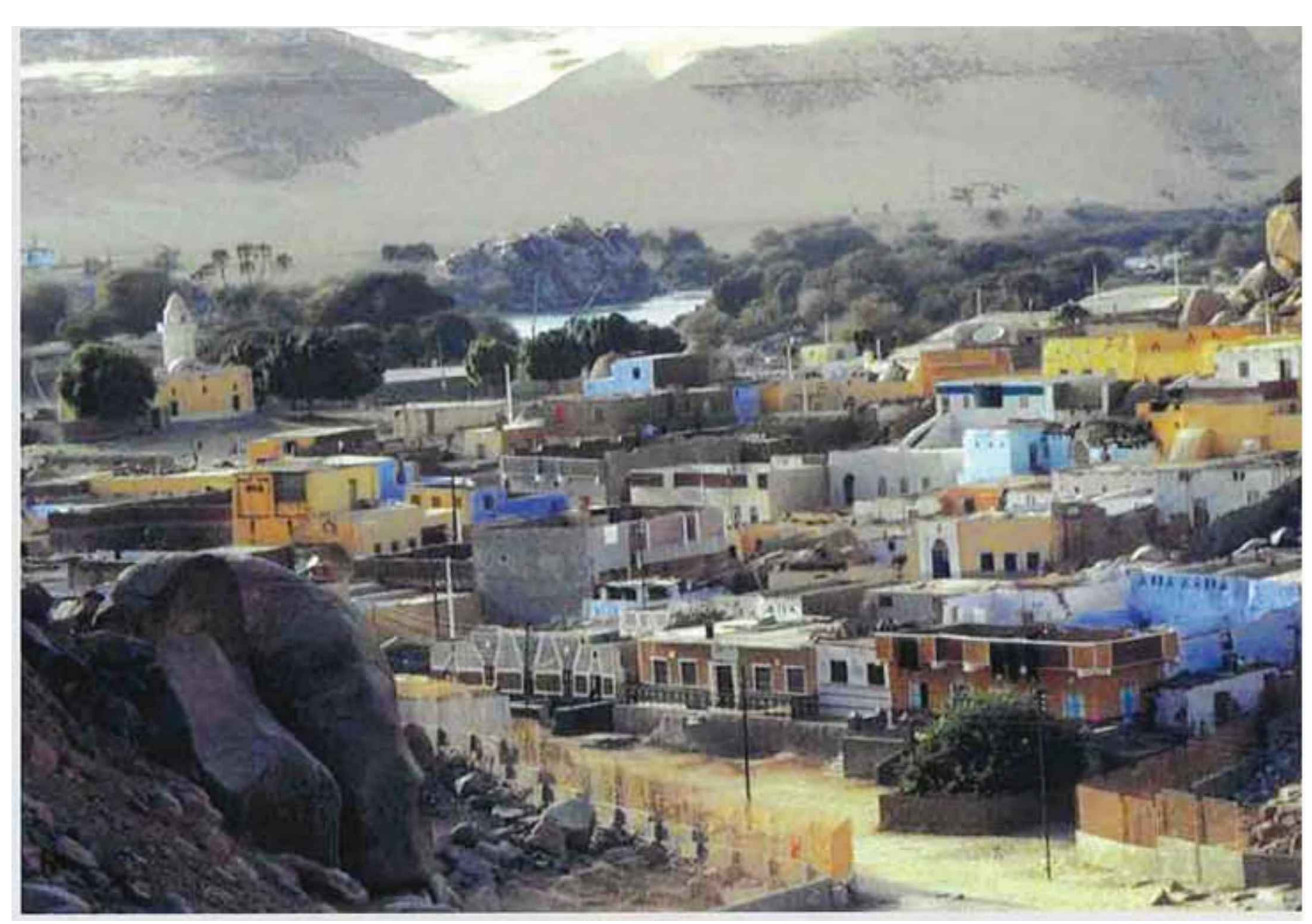
وقد دخلت الممالك النوبية في الدين المسيحي بتأثير البعثات التبشيرية البيزنطية، وكانت أول بعثة برئاسة جوليان بإيعاز من الإمبراطورة ثيودورا. وقد تنصر ملك نوباتيا (نوباديا) سلكو في عام ٥٤٣ ق.م. واعتنقت علوة المسيحية في نحو ٥٨٠ ق.م على يد المبشر لونجين.

وتحول كثير من المعابد إلى كنائس كمعبد إيزيس في جزيرة فيلة، ومعابد دندور وطافا وبيت الوالي وجرف حسين ووادي السبوع وعمدا، وقد ازدانت بمناظر وصور ذات بُعد ديني.

العصر الإسلامي

قاوم النوبيون الحملة التي قادها عبدالله بن سعد بن أبي السرح في عام ٦٤١ق.م بعد فتح المسلمين مصر بقيادة عمرو بن العاص، وبعد عشرة أعوام قاد ابن أبي السرح حملة ثانية، وكان حينذاك واليًا على مصر ، وتقدم حتى وصل إلى دنقلة، وبعد قتال شديد اتفق الطرفان على عقد معاهدة عرفت باسم «البقط» وكانت ذات طابع سياسي وتجاري.. إذ





منظر عام لقرية نوبية

نصت على عدم اعتداء أحدهما على الآخر، وأن ترسل النوبة سنويًا إلى مصر عددًا محددًا من الرقيق في مقابل قدر من المحاصيل الزراعية، واستمر العمل بهذه الاتفاقية حتى العصر الإخشيدي.

وقد بدأ الإسلام في الانتشار تدريجيًا في النوبة، وزاد الوجود العربي في العهد العباسي، وأرسل أحمد بن طولون جيشًا بقيادة أبو عبدالرحمن بن عبدالحميد العمري استطاع هزيمة ملك النوبة جورج الأول، وشن النوبيون عدة غارات في عصر الدولة الإخشيدية، وأوفد القائد الفاطمي جوهر الصقلي مبعوثًا إلى جورج الثاني ملك النوبة حتى يلتزم البقط، وفي هذا العصر ولدت إمارة عربية من قبيلة ربيعة برئاسة أبي مروان بشير بن إسحق، وتزاوج أفرادها مع النوبيين، واستفادوا من نظام الوراثة عند النوبيين، وهو توريث ابن البنت وابن الأخت.

وقضى أميرها أبو المكارم هبة الله على المتمرد أبي ركوة وأطلق على أبي المكارم «كنز الدولة»، وعرف بنو ربيعة باسم «بني الكنز»، وتتحدر منهم قبائل الكنوز المعروفة.

وأرسل صلاح الدين مؤسس الدولة الأيوبية (١١٧١ - ١٢٥٠م) حملة إلى بلاد النوبة بقيادة أخيه الأكبر شمس الدولة الذي حاصر إبريم، وعاد محملاً بالغنائم، وفي

العام التالي وقع صدام بين الأيوبيين وكنز الدولة، فلقي الأخير مصرعه، واضطر بنو الكنز إلى الرحيل عن أسوان في اتجاه الجنوب، حيث زاد اندماجهم بالنوبيين.

وفي عصر الدولة المملوكية البحرية والجركسية، عين السلطان بيبرس شكنده ابن أخت الملك النوبي داود بعد أن هزمه، واضطره إلى الفرار إلى «علوة» بالنوبة العليا، وهذا هو اول مرة يتبع فيها ملك النوبة لسلطان مصر في العصر الإسلامي، وانشأ بيبرس ما عرف بـ «ديوان النوبة» لرعاية شؤونها.

وقد فرّ أمير نوبي يدعى «نشلي» إلى مصر، واعتنق الإسلام، واتخذ اسم عبدالله برشمبو، فأرسله السلطان ناصر بن محمد بن قلاوون على رأس حملة إلى النوبة لتأديب ملكها كرنيس أو (كربيس). فهزمه في موقعة فاصلة، وولاه السلطان النوبة. إلا أن لقي مصرعه على يد جماعة من الكنوز، فأرسل السلطان حملة لإعادة الأمن، ونجحت الحملة في ذلك، وأعيد الملك كرنيس إلى العرش بعد أن اعتنق الإسلام، ورفعت عنه الجزية.. وبحلول القرن السادس عشر كان الإسلام قد حلّ محلّ المسيحية في بلاد النوبة.

النوبة الحديثة

في العهد العثماني، عين السلطان سليم الأول حاكمًا على النوبة، وأقام الحصون في إبريم وجزيرة صاي، ووضع حاميات من جنود البوسنة وكان نفوذ المماليك سببًا في صراعات كثيرة سببت الاضطراب والنزاع حتى جاءت حملة بونابرت على مصر عام ١٧٩٨م، فزار علماؤها بلاد النوبة التي جاء ذكرها في كتاب «وصف مصر». إذ كتب عنهما العالم الفرنسي كوستاز دراسة تناولت حياتهم وطباعهم، وأشار إلى معيشة أهلها السلمية مع من جاورهم، ولطافة معشرهم، ووصفهم بالأمانة والإخلاص والتمسك بالدين الإسلامي، كما كتب عنهم الرحالة السويسري بورخارت الذي قدم صورة صادقة عن

المجتمع النوبي، وحياة العبابدة والبشارية في أوائل القرن الماضي.

وحرص محمد علي باشا على فتح السودان وضم بلاد النوبة، ومن الأسباب التي ترد الرغبة في تجنيد النوبيين والسودانيين في الجيش المصري لما عرفوا به من شجاعة وصبر. فضلاً عن القضاء على المماليك، والحصول على الذهب، وقد وصل على راس حملة إلى دنقلا في عام ١٨١٥م، ثم زار النوبة مرة أخرى في عام ١٨٣٨م.

وبعد معاهدة لندن كانت النوبة كمصر تابعة للدولة العثمانية.

وفي عهد الثورة المهدية كانت ميدانًا للمعارك بين الدراويش والجيش المصري التي انتهت بموقعة توشكى في أغسطس ١٨٨٩م، وحقق الاتفاق الثنائي بين الحكومتين المصرية والبريطانية في ١٩ يناير/كانون الثاني ١٨٩٩م، لبريطانيا الانفراد بحكم السودان واستغلال ثرواته. كما قسمت النوبة إلى قسمين: النوبة السودانية (أو العليا)، والنوبة المصرية (السفلى) على الرغم من التماثل العرقي والثقافي والاجتماعي لمجتمع النوبة.

وتعرضت بلاد النوبة للغمر بالمياه بأكثر من مرة، ففي عامي ١٩٠٧ و ١٩٢٩م تمت تعلية سد أسوان، وأنقذ بعض اثارها، وفي ٨ مارس/أذار ١٩٦٠م قادت اليونسكو حملة دولية لإنقاذ اثار النوبة المهددة بالغرق بسبب بناء السد العالي، وحققت الحملة كثيرا من النجاح. وتم تهجير النوبيين فى مصر إلى الشمال من مدينة كوم أمبو، بينما هُجّر اهل حلفا إلى وسط السودان.

وتركت هذه الهجرة اثاراً نفسية عميقة في النوبيين الذين لايزالون يتغنون ببلادهم ونيلها ونخيلها، ويذكرون ماثر أجدادهم في أشعارهم وأغانيهم.

وهم لا يزالون حريصين على لغتهم وعاداتهم وتقاليدهم، وقد نشط العمل النوبي في الفترة الأخيرة ممثلاً في قيام كيانات تهدف الى المحافظة على التراث النوبي بجمعه وحفظه باستخدام تقنيات العصر، وتأكيد الروابط التاريخية العميقة بين قسمي النوبة في مصر والسودان.

بداية الجولة

بعد هذه الجولة في تلافيف الجغرافية والتاريخ، نقوم بجولة في أرجاء متحف النوبة الذي تجسد مقتنياته معالم العصور التاريخية التي مرت ببلاد النوبة وأساليب حياة إنسانها وموروثه الحضاري الذي لا يزال كثير من اسراره مخبوءًا في باطن الأرض.

وجاء افتتاح متحف النوبة في ٢٣ نوفمبر/تشرين الثاني عام ١٩٩٧م، وقد كلّف نحو ٧٠ مليون جنيه مصري، وقامت بإنشائه منظمة اليونسكو تذكيرًا بدورها في إنقاذ آثار النوبة عند بناء السد العالي، وكان اختيار موقعه في حضن النيل مزجًا بين روعة الجغرافية وجلال التاريخ..

وتبلغ مساحة المتحف ٥٠ ألف متر مربع، تمثل الصالات المغلقة نحو ٧ آلاف متر مربع، ومساحة العرض الخارجي نحو ٤٣ ألف متر مربع.

وبدأت جولتنا في أرجاء المتحف بالاطلاع على نموذج (ماكيت) لنهر النيل، بداية من السودان حتى البحر المتوسط، ويوضح النموذج أهم المعالم الأثرية على ضفاف هذا النهر الخالد.

وقد ركز النموذج في الآثار التي كانت موجودة في بلاد النوبة.

ومن أهم المعالم الأثرية التي تمّ إنقاذها معبد أبو سنبل، ومعبد رمسيس الثاني، ومعبد زوجته نفرتاري.

وكانت هناك قلعة بوهين في وادي حلفا التي جرفتها مياه النيل.. وهناك أربعة معابد تم إنقاذها، وقد أهداها الرئيس المصري الراحل جمال عبدالناصر للدول التي شاركت في إنقاذ اثار النوبة، وهي إيطاليا، والولايات

المتحدة الأمريكية، وإسبانيا، وهولندا التي تحتفظ بها في متاحفها.

وبجوار السد العالي يوجد معبد بيت الوالي وكلابشة وطرطاسة.

ومن المناطق المفتوحة للزيارة حاليًا وادي السبوع، وعمدا، وقصر إبريم، ومتحف النوبة.. ومعبد فيلة، والمسلة الناقصة..

وتظهر الأقصر في النموذج ومعبد حتشبسوت والكرنك ومقبرة توت عنخ آمون، وتل العمارنة الأثرية في محافظة المنيا، كما تظهر الأهرامات وابو الهول إلى أن نصل إلى البحر المتوسط.

وقد قامت شركات مصرية بمسؤولية البناء، إلا ان النماذج وزجاجات العرض (الفترينات) قد قامت بتصميمها شركات أجنبية وفق أحدث طرائق العرض.

ويأخذ الشكل الخارجي للمتحف طراز المنزل النوبي.. ورمز المتحف يتشكل من مثلث إلى جواره ضلع، وهذا رمز للزخارف النوبية التي تكون في أعلى المنازل النوبية.

وهناك نظام حديث للتدابير الأمنية للحفاظ على مقتنيات المتحف.

قام بوضع تصميمات المتحف مهندسان أحدهما هو المهندس المصري محمود الحكيم، والثاني هو المكسيكي بدرولابيدس. وقد حاولا تجنب ما حدث من تكدس في المتحف المصري في القاهرة الذي يضم ١٢٠ الف قطعة أثرية، وعملا على توزيع المقتنيات بشكل جمالي يتيح فرصة المشاهدة والاستمتاع، فاعتمدا التسلسل التاريخي بتقسيم القاعات وفق العصور التاريخية لتضم كل قاعة مجموعة من المقتنيات التي تنتمي إلى عصر من العصور.

ويبدأ العرض بعصور ما قبل التاريخ (العصور الحجرية)، ثم الدولة القديمة، والدولة الوسطى، والدولة الحديثة.

وهناك قاعة تتناول النوبة في العصر المسيحي، وأخرى للنوبة الإسلامية، إلى أن نصل إلى الواقع المعيش للإنسان النوبي بما يشتمل عليه من مظاهر الفرح، وأساليب التعليم، وطرائق بناء المنازل، ووسائل الزراعة.

وقد حاولنا إبراز ملامح كل عصر من خلال التركيز في بعض المقتنيات الممثلة للعصر.

روعة الفخار

أبرز ما يميز عصر ما قبل التاريخ الأواني الفخارية ذات الأشكال الرائعة. ويضم هذا القسم نموذجًا لهيكل عظمي تمّ العثور عليه في أسوان. والهيكل الأصلي موجود في المتحف المصري بالقاهرة. وأكدت دراسة أجريت على هذا الهيكل أن عمره من ٢٠ إلى ٢٥ ألف سنة: وهو ثاني أقدم هيكل عظمي يتم العثور عليه في مصر. وواضح أنه يحتفظ بالقفص الصدري والعمود الفقري والحوض.

ومن مقتنيات هذا العصر أدوات الزينة وفؤوس حجرية وبعض العقود والأمشاط والمرائي.

وهناك جمجمة توضح أنه قد أجريت عملية جراحية في المخ (ترينة) لصاحبها.. ويبرز ذلك في انخفاض موجود في مقدمة الرأس. وكان صاحبها في سن كبيرة، كما توضح الأثياب والشقوق الموجودة في الجمجمة، وقد نجحت العملية، وعاش صاحبها فترة من الزمن.

وهناك نموذج يوضح شعائر الدفن المتبعة في ذلك العصر.. إذ كان يوضع الميت في وضع القرفصاء بما يشبه وضع الجنين وهو في بطن أمه، وكان اعتقادهم أن الإنسان قد ولد بهذه الهيئة، فلا بد أن يبعث وهو على الهيئة نفسها، ولإيمان المصري القديم والنوبي بالبعث بعد الموت، كان يضع في المقبرة الأواني الفخارية والحلي التي كان يستخدمها في الحياة الدنيا.



طراز البيت النوبي

بوهين.. القلعة الحصينة

تبرز في عصر الدولة الوسطى أيضًا الأواني الفخارية، ومن أهم مقتنياته تمثال الملك خفرع وهو من دون رأس.. وأهم ما يميزه نوعية الحجر المستخدم وهو حجر الديورايت، ويوجد في منطقة توشكى.

وهناك تابوت خشبي يعود لهيكاتا، ويرجع إلى عصر الأسرة الثانية عشرة، وقد نقشت على جدار التابوت نصوص دينية واسمها متون التوابيت، إذ كان يعتقد أنها تجلب الحظ والسعادة لصاحب التابوت.

غطاء التابوت مثبت بخوابير من الخشب، وهناك بعض الرسومات على هذا الغطاء يوضح أنهم كانوا على دراية بخطوط الطول والعرض وعلم الفلك. وتظهر مجموعة من النجوم هي مجموعة الدب الأكبر، وتتكون من سبعة نجوم متصلة بعضها ببعض على شكل زراعة.

وهناك تمثال حقائيب، وهو لقب لحاكم جزيرة الفنتين، وهو يعني الذي يحكم قلبه. ونجد أنه راكع يتقرب إلى إله بقرابين وهذا من الأوضاع النادرة، لأنه من المفترض أن يُتقرب إليه بوصفه حاكمًا.

وتوجد لوحة من الحجر الرملي لا يوجد عليها اسم أي أحد من الملوك، لكن موضح عليها كيف كانوا يجرون





تمثال إيزيس يرمز إلى الأمومة



تاج من الفضة

العمليات الحسابية باستخدام أشكال ورموز معينة.

وهناك تمثالان صغيران للإله حورس من الحجر الرملي وعلى صدر أحدهما خرطوش أمنحات، وعلى صدر الآخر خرطوش الملك سنوسرت.

ومن مقتنيات هذا العصر، قلعة بوهين، وشيدت في عام ١٨٧٥ ق.م. وكانت قلعة حصينة جدًا، وكانت موجودة في وادي حلفا، ونقطة الضعف الوحيدة لهذه القلعة أن مبانيها كانت من الطين، وعند بناء السد العالي غمرتها مياه النيل، ولم يتمكنوا من إنقاذها، وكانت ذات مساحة كبيرة، وبوابات صغيرة جدًا، وكانت البوابة لا تكاد تسمح بمرور جندي واحد، وذلك حتى يتسنى لجنود الحراسة الصمود لأطول فترة ممكنة في حالة تعرضها لأي هجوم أو محاولة اقتحام.

وللقلعة عدة أسوار، وهناك ساتر ترابي من الخارج، يعقبه مجرى مائي يعوق الاقتحام.. وكانت هناك حياة متكاملة داخل هذه القلعة.

وكانت القلعة تضم أفرانًا لصهر النحاس وتشكيله لصناعة الأواني والحراب.

عصر الأسرة الـ ٢٥

من أبرز مقتنياته تمثال يعد الأجمل في متحف النوبة، وهو تمثال حورماخت ابن الملك شباكة الذي كان واحدًا من أشهر حكام الأسرة الـ ٢٥.

وكان من العادات السيئة الممارسة تشويه آثار الحكام السابقين بقطع الرؤوس، أو جدع الأنف، أو قطع الأذن كنوع من الإذلال، ولكن يتميز تمثال حورماخت بأنه لم يمس، وهو مصنوع من حجر الكوارتزيت وهو شديد الصلابة، إذ كان النحت عليه يحتاج إلى جهد كبير. ويتميز كذلك بلمعة طبيعية، وعلى صدر التمثال قلادة مفتاح الحياة.

وتؤكد دقة المعالم وتكوينات الجسم من عضلات الصدر، وعضلات ذراعيه، وأظافر أصابع يديه براعة النحت.

وكان النحات يترك فراغًا بين الأرجل والأذرع والجسم، ثم اكتشف أن ذلك يعرض التمثال للكسر، فعمل ألا يكون هناك أي فراغ، بل استفاد من الوصلة التي بين الرجلين للكتابة عليها.

ويقول الأستاذ أحمد عبدالرحمن عبدالحكيم أمين متحف النوبة: هذا التمثال كان مع تمثال آخر في فترينة واحدة، ولكن السيد وزير الثقافة رأى أن يكون كل منهما في فترينة مستقلة لما يتميزان به من جمال.

وهناك بعض الألعاب التي كانوا يمارسونها مثل السنت وهي لعبة تشبه (السيجة).

ويضم هذا القسم بعض أزياء أهل النوبة وأساور وطواقم من الذهب، وتميمة للإله حورس من الذهب، ومجموعة تماثيل يطلق عليها أوشافتي، وهي كلمة تعني مجيب الأوامر، وكانت من المرمر أو القيشاني وكان يبلغ عددها نحو ٣٦٥ تمثالاً، بعدد أيام السنة.

ومجيب الأوامر يعني الذي يلبي خدمات المتوفى في العالم الآخر، وكان كل تمثال يلبي رغبة المتوفى في أحد أيام السنة. وقد يصل عددها إلى ألف تمثال.

وهناك جعران مقدس رمز الأبدية والخلود وهو من الحجر الرملي.. والجعران حشرة كان يعبدها المصري القديم، إلى جانب كثير من الحشرات والحيوانات التي كانت تعبد.

كان الجعران يكور الطمي ويجعله على شكل قرص.. واعتقد المصري أن هذا قرص الشمس، فاتخذوه رمزًا لعبادة الإله رع إله الشمس.. وجعلوا قرص الشمس أعلى الجعران.. وقد تم إنقاذ هذا الأثر من منطقة أبي سنبل وتم ترميمها.

ويمثل تمثال الإلهة إيزيس وهي ترضع ابنها الإله حورس رمزًا للأمومة، وهو من التماثيل الجميلة في المتحف لما فيه من دقة في التفاصيل.

وقد استمد الفن القبطي من هذا التمثال صورة السيدة العذراء وهي ترضع السيد المسيح عيسى عليه السلام.

ومن التماثيل الرائعة تمثال عنخ نسنفر إيبراع وهي ابنة الملك بسماتيك الثاني، وكانت آخر من اتخذت لقب زوجة الإله آمون.

وترتدي السيدة زيًا شفافًا يظهر معالم جسدها.. وتمسك بيدها اليمنى مفتاح الحياة، وبيدها اليسرى مِزَبَّة، وترتدي باروكة شعر عليها تاج.

ويضم القسم أيضًا تماثيل من الخشب لبعض الآلهة.. وهي لا تزال تحتفظ بالألوان وبالنقوش والكتابات التي عليها.

تماثيل الدولة الحديثة

وتوجد لوحات حجرية من عصر الدولة الحديثة، وتمثالان يبينان الشيخوخة، أحدهما لرجل مترهل

الصدر والبطن اسمه ريكتيكانا .. والآخر اسمه هروع، وعلى رجله نص هيروغليفي عن حياته. وتمثال لقرد يمثل الإله حجوتي وهو إله الحكمة وعلى رأسه قرص الإله رع إله الشمس.

وتمثال لفتاة اسمها ميريت أمون بمعنى محبوبة آمون، وهي ابنة نفرتاري زوجة الملك رمسيس الثاني، وخصلة الشعر في هذا التمثال ترمز إلي الطفولة. وعثر على تمثال لهذه الفتاة ارتفاعه نحو ١٦ مترًا عند مدخل أخميم بمحافظة سوهاج وتم نصب التمثال هناك، وهو معروض بشكل جميل.

ومن مقتنيات أشهر ملوك النوبة في الأسرة الـ ٢٥ راس الملك شباتكا ورأس الملك تهارقا، وهذان التمثالان من الجرانيت.. وواضح اللجوء إلى كسر الأنف في التمثالين الذي يرمز إلى محاولة إذلال صاحبها.

القطعة الرئيسة في المتحف

والقطعة الرئيسة في المتحف هي تمثال الملك رمسيس الثاني، الذي يعد أكبر تمثال فيه، وهو مصنوع من الحجر الرملي، وهناك جزء عند قاعدته من الحجر الطفلي، ويصل وزنه إلى نحو ٥ أطنان، وارتفاعه حتى التاج نحو ٨ أمتار.

وهذا هو التمثال الوحيد الذي أنقذ من معبد جرف حسين في جنوب أسوان مع فناء صغير من أفنية المعبد.

وقد تم تقطيع التمثال إلى كتل، تم توصيلها بعضها مع بعض بعد ذلك، وثبت على قاعدة جرانيت وهو يوجد في واجهة مدخل المتحف، حتى يمكن للداخل إلى المتحف وهو يهبط من أعلى درجة في السلم رؤية رجْل التمثال. وكلما هبط تتضح تفاصيل أخرى، والغرض من ذلك تأكيد أن هذا هو القطعة الرئيسة في المتحف. ولا يزال التمثال يحتفظ بألوانه وكتاباته.. أما الجديد في طريقة العرض، فهو وضع قواعد من الجرانيت خلف التمثال، وفي أعلاه صرح من الحجر الرملي وهو مدخل المعبد، وعليه ألقاب الملك.. مما يوحي للزائر بالجو الطبيعي للمعبد الأصلي.

أطول فترينة

هناك فترينة يبلغ طولها نحو ١٦ مترًا وتضم نحو ٢١٦ قطعة أثرية من ثلاث فترات تاريخية: عصر الدولة الوسطى، والدولة الحديثة، والعصر المروي، وهي تضم أدوات الزينة وأواني ذات أشكال مختلفة كالسمك، والصدف، والمراكب ، وأدوات جراحة من البرونز وغيرها.

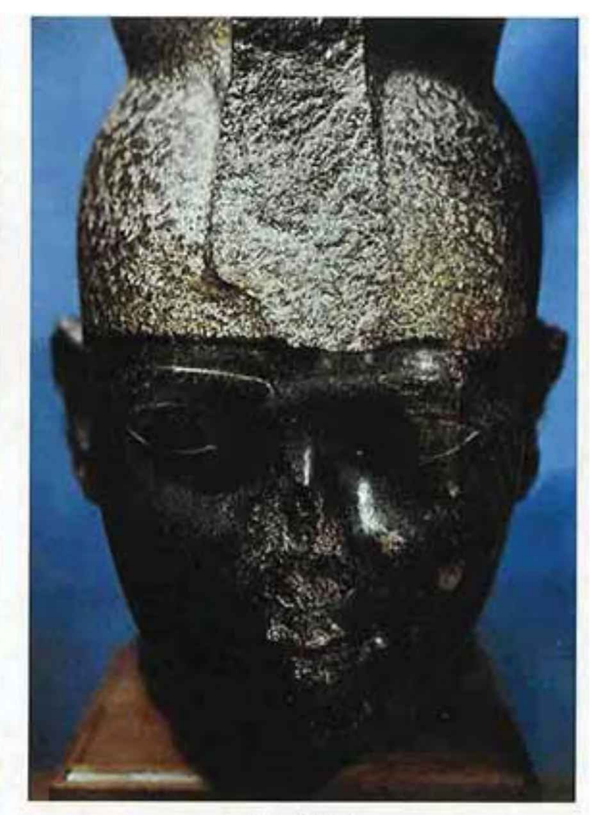
ومن اميز ادوات الزينة مكحلة ذات فتحات متعددة، تضع فيها المراة الوانًا مختلفة في التكحل.

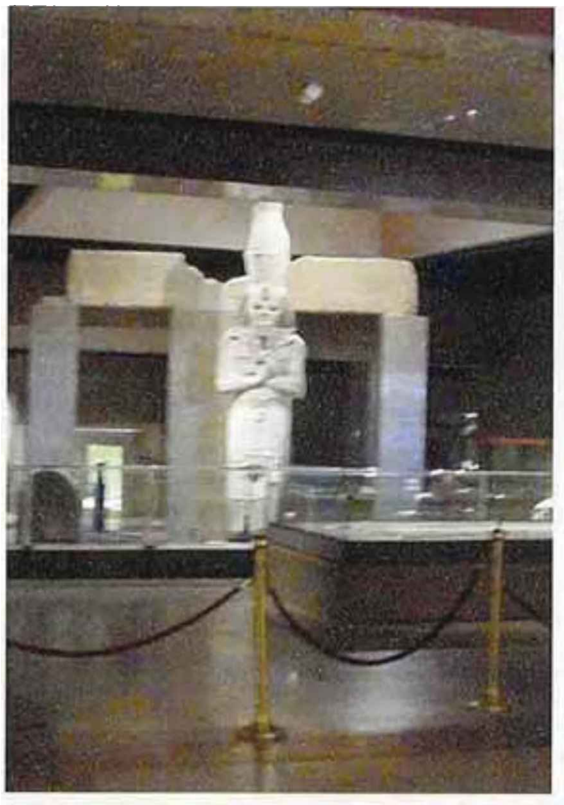
وتوجد في الفترينة مجموعة من الحراب تعود إلى الفترة من القرن الرابع إلى السادس الميلاديين وجدت في قسطل وبلانة، وهناك درع واق من جلود الحيوانات، ولجام حصان من الفضة وسبعة أسود من النحاس كانت تستخدم كحلي للكراسي والأسرة، ولعبة الضامة التي تتكون من خمس عشرة قطعة من الأبانوس، ومثلها من الصاج، وهي تشبه لعبة الطاولة.

وهناك مقصورة من قصر إبريم وقد تم إنقاذها وهي مقصورة أوسرسانت مصنوعة من الحجر الرملي لذا تلاشى ما عليها من كتابات.. وقد قطعت عند ترحيلها، وبعد ذلك تمّ تجميعها، وطريقة عرضها مميزة جدًا، بالإضافة إلى الإضاءة التي تكسبها طابعًا جماليًا.

ويوجد نموذج لمعبد فيلة الذي انقذته اليونسكو، وهو يوجد في جزيرة إيلجيكا في أسوان.. وتبعد ٥٠٠ متر عن مكان الجزيرة الأصلية.

ويضم هذا القسم حصانين من الجبس تم تصنيعهما ودهنهما بالأسود لتمييز طريقة عرض بعض الأدوات مثل: السرج، وأجراس البرونز.


رأس الملك ترهاق


تمثال رمسيس الثاني

أدوات الزينة

وفي إحدى الفترينات مجموعة من الحلي مثل عقد من الذهب، على شكل ثمرة الرومان، وأقراط من الفضة مطعمة بأحجار كريمة، وخواتم من الذهب، وتيجان فضة مرصعة بالعقيق، ومصباحان من النحاس الأصفر: أحدهما على شكل يمامة والآخر على شكل وجه إنسان، ومبخرة من البرونز على شكل أسد واقف، وفتحتان لخروج الهواء، ويخرج البخور من فم الأسد وأنفه.. وهناك عقود من الأحجار الكريمة تعود إلى الفترة من القرن الرابع إلى القرن السادس للميلاد، وكاحل من الخشب على شكل (أبو الهول) أو الصخر.

وهناك نموذج لأشكال مقابر في قسطل وبلانة، جزء منها من الصخر، والجزء الآخر من الطين.

العصر الروماني

يوجد تمثال رجل روماني عار يمسك بمصباحين.. ورجل يحمل شمعدانًا، وهو من أجمل القطع.. وفي الوضع الأفقي يبدو شكل كلب يطارد أرنبًا بريًا.. ولعل التماثيل العارية أكثر ما يميز هذا العصر

النوبة المسيحية

يضم هذا القسم الأواني الفخارية، والأمشاط والنسيج، وبعض الأيقونات، وهناك نموذج لآخر الأساقفة الذين كانوا في بلاد النوبة.

ولوحات الفرسك التي كانت موجودة على جدران كنيسة عبدالله لزقي، وفي إحدى اللوحات نجد مسيحيًا قيّده الرومان وهو داخل إناء فخاري قيل إنه كان به زيت

من آثار العهد المسيحي

أو ماء مغلي.. وهي من شواهد عصر الشهداء.. ومكتوب في اللوحة «يارب ارحمنا».

وهناك مناظر للسيدة العذراء والسيد المسيح، ويوجد نموذج لمدينة إخميندي وهي من الطين وقد تهدمت. وتأخذ منازلها شكل البيت النوبي المعروف، مثل السقف المقبب.

فن إسلامي

القطع الرئيسة في هذا القسم مشكاة من الزجاج ترجع إلى العصر العثماني، وهي مهداة من المتحف الإسلامي، ومكتوب عليها «الله نور السماوات والأرض»..

وتوجد رسالة على ورق البردي باللغة العربية وتبدأ بالبسملة، وهي بخط كوفي، وتعرف ببردية إبريم، ومرسلة من موسى بن كعب الوالي العباسي الذي كان يحكم مصر - آنذاك - إلى الحاكم النوبي واسمه خوليدور.

وفحوى الرسالة أن هناك تاجرًا اسمه محمد بن يزيد تم اغتياله ونهب ما معه.. وفي الرسالة يذكّر موسى بن كعب بمعاهدة اليقط التي بين العرب والنوبيين والتي تمنع مثل هذا الاعتداء.

وفي هذا القسم قطعتان من النسيج توضحان الزخارف التي كانت موجودة في ذلك الوقت.. مكتوب في إحداهما: العز والنصر والبقاء.. ومكتوب في الثانية: لم النظر أنا القمر بشكل متكرر. وهناك ما يعرف بـ «طاسة الخضة» وقميص





طفل صغير، وطاقية، وصدر جلباب ومفتاح خشبي وبعض المآذن التي كانت تستخدم في استطلاع الأعداء. كما أن هناك شواهد قبور من العصرين العباسي والفاطمي.. وتوجد عملات مختلفة، وبعض الصكوك، ومصاحف عثمانية وطلاسم.

العصر الحديث

يوجد في هذا القسم نموذج لمعبد دندور الذي أهدي لمتحف المتروبوليتان في نيويورك.. وهو محاط بالمياه، وداخله زهرة اللوتس والبردي.. وتبدو بعض الصور للآثار وأهم المعابد عند إنقاذها مع لوحة للدول التي شاركت في الإنقاذ.

وفي صالة صغيرة توجد إشارات إلى بعض المشروعات الحديثة مثل السد العالي وخزان أسوان والقناطر الخيرية.

ويضم المتحف قاعة عرض سينمائية تستخدم للمحاضرات والندوات، وهناك قاعة كبار الزوار، وصالة عرض مؤقت فيها بعض الآثار التي تعرض لفترة محددة.

البيت النوبي

يصور هذا القسم بعض مظاهر الحياة في النوبة المعاصرة، ويوضح الأنشطة التي يقوم بها أهل النوبة من خلال تماثيل من القبير.. فهناك سيدتان على سرير من الجريد، وهما تصنعان من الخوص حصيرًا، إذ تتميز المرأة النوبية بكونها تساهم في مختلف الأنشطة الاقتصادية، وهي تبدع في الأعمال اليدوية، مستخدمة ما في البيئة من ثروات طبيعية، وخاصة النخيل التي يرتبط بها الإنسان النوبي ارتباطًا قويًا، وهو يوظف معظم أجزائها لتلبية بعض متطلبات حياته، فهو يستخدم جذعها وسعفها عرشًا لبيته في شكل جمالي وفني بديع، كما يصنع من السعف حصيرًا، ويصنع من بلحه عسلاً، وغير ذلك من الاستخدامات التي تجعله شديد الصلة بالنخيل.

ويبدع النوبي في دباغة الجلود، واستخدامها في صناعة الأدوات التي يحتاج إليها، إلى جانب إبداعه في صناعة محاريث الزراعة والمراكب الشرعية، والسواقي وأدوات الزراعة المختلفة.

وهو يهتم كثيرًا بزخرفة بيته، فيجعل واجهة بيته لوحة فنية تتراقص عليها الألوان والأشكال التي يعبر بعضها عن معتقداته في الحسد وجلب الحظ كرسومات كف اليدين، والأطباق.

وفي المتحف نماذج لأدوات النوبي وفنونه كالإبريق وأواني تخزين الغلات، ودرع من جلود الزرافة، والمحراث، والسواقي، وأدوات الزراعة، وزخارف على الباب.

المراجع والهوامش

❖ نشكر للأستاذ اسامة عبدالوارث عبدالمجيد مدير المتحف النوبي في أسوان والأستاذ أحمد عبدالرحمن عبدالحكيم أمين المتحف لما قدماه من شرح واف ومعلومات قيمة خلال جولتنا في المتحف.

١. متحف النوبة، وزارة الثقافة المصرية (د.ن)، ٨٠ص.

٢. السودان القديم وآثاره، نجم الدين محمد شريف، مصلحة الآثار، دار الطباعة: قسم التأليف والترجمة، جامعة الخرطوم، ١٩٧١م.







الشركات المتعددة الجنسيات: أت

...واعها ومخاطرها

حسام فتحي أبو جبارة

قلقيلية ـ فلسطين

تعدّ الشركات المتعددة الجنسيات أداة من أدوات العولمة، تساعدها على إحكام هيمنتها وسيطرتها على العالم. والعلاقة بين هذه الشركات والعولمة الاقتصادية علاقة جدلية، فإذا كانت الشركات وسيلة دفع أساسية وأداة مهمة للعولمة الاقتصادية فإن العولمة تعدّ وسيلة لتحقيق أهداف الشركات وتوسيعها وقد تضاربت الآراء حول تعريف تلك الشركات وتسميتها. ويرجع ذلك أساسًا إلى اختلاف النظرة إلى تلك الشركات التي قد تنعت بكونها متعددة الجنسيات أو عابرة للحدود القومية أو الدولية أو الوطنية ذات الأفق الدولي.

فبعض الناس يرى أن الشركة مفهوم قانوني أساسًا، وليس مفهومًا اقتصاديًا، ومن ثم فهي القالب القانوني للمشروعات، وهذه المشروعات هي المشروعات المتعددة القومية، التي تعرف بأنها «مشروعات تمتلك أو تسيطر على وحدات إنتاجية في دولتين على الأقل، وتتصف بمركزية السيطرة على هذه الوحدات بواسطة المشروع الأصلي، وتمارس هذه السيطرة في إطار إستراتيجية إنتاجية عالمية موحدة».

أما الموسوعة السياسية فتعرفها بأنها «هي التي تمارس نشاطها في أكثر من بلد، وتسيطر على عدة وحدات إنتاجية لعدد من السلع والخدمات، وتسيطر ايضًا على منافذ التوزيع في كثير من البلدان أو هي التي تستثمر مباشرة في عدة بلدان، أو هي التي يكون المساهمون في رأس مالها وفي إدارتها ينتمون إلى عدة جنسيات».

أنـــــواع

وهناك عدة أنواع من الشركات المتعددة الجنسيات:

. الشركات المتعددة الجنسيات «الأولية»

سميت هذه الشركات بالأولية لأن أغلب نشاطها ينحصر أساسًا في القطاعات الأولية المنجمية أو الزراعية، مثل استخراج النفط والمعادن الأخرى أو الإنتاج الزراعي. وهذه الشركات هي الشكل الأول والمبسط للشركات المتعددة الجنسيات، ويرجع وجودها إلى القرنين السابع عشر والثامن عشر، عندما أقدمت على إقامة المزارع الكبرى في المناطق الاستوائية وتشغيل العبيد فيها، وتعدّ شركات استعمارية وجدت لخدمة الإمبراطوريات الصاعدة آنذاك مثل إسبانيا والبرتغال وهولندا وفرنسا وإنجلترا إلا أن زوال تلك الإمبراطوريات التدريجي لم يعن زوال تلك الشركات، فبعضها لا يزال حتى الآن، مثل شركة (إكسون Exxon) الأمريكية التي يبلغ عدد العاملين فيها نحو ٧٩٥٠٠ عامل، ودخلها الصافي نحو ١٠ مليارات دولار أمريكي سنويًا.

. الشركات المتعددة الجنسيات ذات الإستراتيجية التجارية

وهي الشكل السائد حاليًا في العالم، إذ إن الإنتاج في البلد المضيف بواسطة الشركات الفرعية الإنتاجية يرمي إلى تزويد الأسواق المحلية بالسلعة المشابهة للسلع التي تنتجها الشركة الأم، وهذا الشكل يعدّ أبسط شكل لتدويل الإنتاج.

ـ الشركات المتعددة الجنسيات ذات الإستراتيجية الإنتاجية

وتتميز من سابقتها بكونها تعتمد على إنشاء وحدات إنتاجية، وذلك بتنظيم الإنتاج دوليًا مثلما هو الحال مثلا بالنسبة إلى تنظيم إنتاج السيارات بين عدة شركات فرعية، يختص كل منها بصنع جزء من المنتوج النهائي، وتركيب العناصر المتكاملة التي تقدمها مختلف الوحدات الإنتاجية التابعة للشركة الأم. وفي هذه الحالة فإن غاية الإنتاج في البلدان المضيفة ليست التسويق والمتاجرة في تلك البلدان، وإنما تصدير الأجزاء المنتجة فيها لتركب في البلد الأصلي، أي بالقرب من الأسواق التي يتوافر فيها الطلب القوي على المنتوج النهائي الذي يحظى عند ذاك بميزة «علامة الصنع» للدول المتقدمة صناعيًا، مثل: ألمانيا أو اليابان أو سويسرا التي تتمتع بثقة المستهلك، مع العلم أن نسبة كبيرة من مركبات ذلك المنتوج (الألماني) أو(الياباني) تم صنعه في البلدان النامية.

إن هذا الشكل من الشركات هو أقل انتشارًا من الشكل السابق ويبرز خاصة في الشركات الأمريكية واليابانية والإنجليزية المختصة بإنتاج السيارات أو الآلات الإليكترونية والأجهزة الكهربائية، مثل شركة جنرال إلكتريك (General electric) الأمريكية المتخصصة في إنتاج الأجهزة الكهربائية والإليكترونية، التي تعدّ أكبر شركة متعددة جنسيات في العالم. إذ يبلغ صافي دخلها السنوي نحو ٩ مليارات دولار أمريكي، وعدد العاملين فيها ٢٨٤٥٠٠ شخص.

ـ الشركات المتعددة الجنسيات ذات الإستراتيجية التقنية والمالية

وهي الشركات المهيمنة حاليًا، إذ إن هذه الشركات تهتم ببيع المهارة والخبرة التقنية (التكنولوجيا) وبراءات الاختراع والتسيير الإداري. كما أن أنشطة ما يسمى بـ «الشركات الهندسية الاستشارية» ستتطور بشكل أسرع من الأنشطة الصناعية.

وإذا كان بعض الباحثين يعتقد أن الرأسمالية القومية قد تحولت إلى الرأسمالية العابرة للقارات، وأن هذا بدوره جعل الاحتكار سمة عالمية بدل السمة القومية للاحتكار التي كانت سائدة في مرحلة سابقة، فإن هناك سمات أساسية تميز الشركات الكبرى المتعددة الجنسيات التي تهيمن على اقتصاد العالم، عن تلك الاحتكارات الكبيرة التي كانت سائدة في السابق، ومن هذه السمات:

أ. على عكس الاحتكارات السابقة التي كانت تركز معظم نشاطها داخل إطار إمبراطورية استعمارية، فإن نشاط الشركات المتعددة الجنسيات ينتشر في عشرات الدول وتحاول الاستفادة من أي ميزة نسبية في أي دولة.

ب ـ كانت الاحتكارات مرتبطة دائمًا بصناعة محددة تشكل نشاطها الأساسي، أما الشركات المتعددة الجنسيات فإن من أهم سماتها تعدد الأنشطة التي تشتغل فيها دون أدنى رابط فني بين المنتجات المختلفة أحيانًا، والهدف من ذلك تعويض الخسارة المتمثلة في نشاط معين بأرباح تتحقق من أنشطة أخرى لها أسواقها المتميزة.

ج ـ كان موقف الاحتكارات إزاء التطور التقني يتسم بالحذر من التجديد وغلبة المحافظة، أما الشركات المتعددة الجنسيات فإن التطور التقني هو عمودها

> لا تبالي الشركات المتعددة الجنسيات بالأخلاقيات؛ لأن القاعدة الاقتصادية التي تحكم عملها هي تعظيم الربح، من خلال إنتاج أكثر ما يمكن من السلع بأقل ما يمكن من العمال

الشركات المتعددة الجنسيات بدأت تحل محل الدولة، كما حلت الدولة محل الإقطاعية تدريجيًا منذ خمسة قرون والأسباب في الحالتين واحدة: التقدم التقني، وزيادة الإنتاجية، والحاجة إلى أسواق أوسع

الفقري. فهي من حيث الإدارة في أشد الحاجة إلى ثورة المعلومات والاتصالات والتكنولوجيا. ولا نجافي الحقيقة إذا قلنا: إن الحاسب الآلي والإنترنت أضحى اليوم المصدر الرئيس والخبز اليومي للأنشطة المالية لتلك الشركات، وهذا يفسر لنا لماذا أنفقت إحدى الشركات المتعددة الجنسيات ٣٥ مليونًا من الدولارات لتسرع حاسباتها الآلية ثانيتين فقط في عملية دراسة الارتفاع المتوقع للأسهم في المستقبل. كما أن البنوك استثمرت في عام واحد هو عام ١٩٩٤م ما يعادل ١٩مليار دولار أمريكي في أجهزة وتكنولوجيا الحاسب الآلي فقط.

د ـ زاد دور النشاط المالي إلى أبعاد غير مسبوقة، وساعد على ذلك عدة أمور منها فقدان الدولة حقها السيادي المطلق في إنتاج النقود، إذ غزت أشكال النقود المصرفية الأسواق، وكذلك فإن ما زاد من صعوبة الأمر اختفاء أسعار الصرف الثابتة، وتعويم العملات، وهذا ما

بينما يتناقص نفوذ الحكومات الوطنية أصبحت الشركات المتعددة الجنسيات اليوم أكبر من الدول، يتصاعد نموها ونفوذها بشكل متسارع في ظل العولمة الاقتصادية

يجعل اقتصاد العولمة في يد حفنة من المقامرين والمضاربين، وفي هذا المجال يقدر جويل كيرتزمان، المحرر في مجلة Harvard Business Review الأمريكية أنه مقابل كل دولار يستثمر في الاقتصاد الحقيقي المنتج، فإنه يجري استثمار ما يراوح بين ٢٠ و٥٠ دولارًا في الأسواق العالمية غير الحقيقية القائمة على المضاربات والمجازفات، والتي يتمثل هدفها الرئيس في توليد المزيد من الأموال لا في إنتاج السلع والخدمات التي تعدّ وثيقة الارتباط بالاقتصاد الإنتاجي.

كما يقدر آلن ميتزلر، وهو مرجع موثوق على الصعيد العالمي فيما يتعلق بالسياسة النقدية والبنوك المركزية بأنه إذا ما اتفقت جميع البنوك المركزية في العالم فيما بينها على اتخاذ موقف معين لحماية عملة ما في مواجهة هجوم المضاربين، فإن أقصى ما يمكن أن تجمعه هذه البنوك هو ١٤ مليار دولار أمريكي يوميًا مقارنة مع ٨٠٠ مليار دولار التي يستطيع المضاربون الماليون ضخها في السوق!.

كذلك فإن دخول الشركات المتعددة الجنسيات في «حفلات» الدمج وشراء الممتلكات والشركات على المستوى الدولي لا يتصور دون مساندة من المؤسسات المالية. وفي النصف الأول من عام ١٩٩٩م وحده وصلت قيمة الاندماجات وعمليات الشراء عبر الحدود إلى أكثر من ٥٠٠ مليار دولار في الدول المتقدمة والنامية على حد سواء. ويعادل المبلغ السابق تقريبًا كل الاندماجات وعمليات الشراء التي حدثت خلال عام ١٩٩٨م، بأكمله (٥٤٤ مليار دولار أمريكي)، ويزيد بمعدل ٧ مرات عما حدث عام ١٩٩١م (٨٥ مليار دولار أمريكي) وذلك طبقًا لتقرير الاستثمار الدولي الصادر عن الأمم المتحدة.

ويرى جلال أمين أن الشركات المتعددة الجنسيات بدأت تحل تدريجيًا محل الدولة، كما حلت الدولة محل الإقطاعية تدريجيًا منذ نحو ٥ قرون والأسباب في



نشاط الشركات المتعددة الجنسيات ينتشر في عشرات الدول

الحالتين واحدة: التقدم التقني، وزيادة الإنتاجية، والحاجة إلى أسواق أوسع.

مخاطر الشركات المتعددة الجنسيات على الدول العربية

كثيرًا ما تسطر أقلام الكتاب الغربيين خصوصًا، روايات مثيرة، عن الثراء الخرافي الذي تمتاز به بعض الدول العربية وخصوصًا النفطية منها. ومع ذلك فإن قلة من يصدقون أنه في عام ١٩٩٧م، كانت عائلة واحدة تمتلك وتسيطر على موجودات من شركات وغيرها تبلغ مبيعاتها السنوية أكثر من ١٠٠ مليار دولار. وهو مبلغ يزيد على مجموع عائدات النفط السنوية لكل من السعودية والكويت والبحرين وقطر وعمان والإمارات العربية. ففي السويد تدير عائلة والنبرغ (Wallenberg) إمبراطورية شركاتها من خلال شركة Investor Holding Company التي تمتلك عائلة «والنبرغ» ٤١٪ منها، وتضم هذه الإمبراطورية ١٣ شركة من كبريات الشركات السويدية.

إن الشركات المتعددة الجنسيات أصبحت اليوم أكبر من الدول، يتصاعد نموها ونفوذها بشكل متسارع في ظل العولمة الاقتصادية، بينما يتناقص نفوذ الحكومات الوطنية إذ باتت تستولي عليه هذه الشركات والمؤسسات

المالية العالمية، وإضافة إلى الأمثلة التي ذكرناها فإن من مخاطر هذه الشركات على الدول العربية ما يأتي:

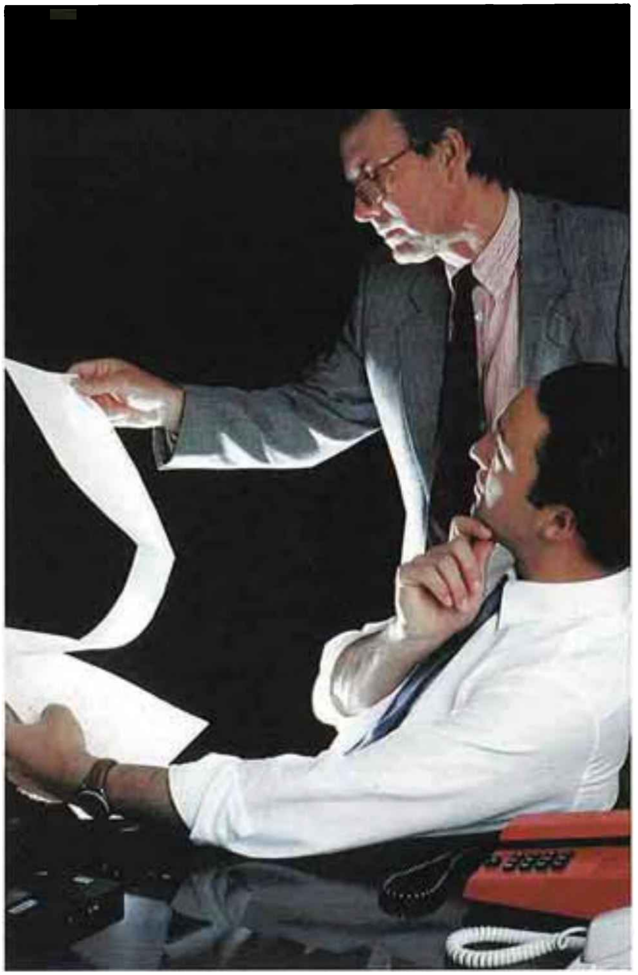
. هناك حكمة قديمة تقول «من يملك الذهب يملك الحكم» وإن مجرد مقارنة بين الدخل الصافي لبعض الشركات المتعددة الجنسيات وإجمالي الناتج المحلي (G D P) لبعض الدول العربية، تجعلنا نخشى من أن تنعكس تلك الحكمة على الدول العربية. فاستنادًا إلى مجلة «Forbes» الأمريكية المتضمنة ملحقًا خاصًا حول أكبر ٨٠٠ شركة في العالم، نلاحظ ما يأتي:

أ. بلغ حجم مبيعات شركة Daimler Chrysler الألمانية مثلا نحو ١٤٦.٥ مليار دولار امريكي، وهو ما يعادل إجمالي الناتج المحلي للمملكة العربية السعودية تقريبًا. أما دخلها الصافي فبلغ نحو ٩ مليارات دولار أمريكي، وهو ما يعادل إجمالي الناتج المحلي لقطر، الدولة العربية النفطية.

ب. إن إجمالي مبيعات الشركات الست الكبرى في العالم يزيد على ٥٦٠ مليار دولار أمريكي، في حين أن إجمالي الناتج المحلي لـ ١٨ دولة عربية يبلغ نحو ٥٠٠ مليار!.

ج. يقارب عدد الباحثين عن عمل في الجزائر. مثلاً . مليوني شخص، في حين يبلغ عدد العاملين في الشركات التسع الكبرى على مستوى العالم مليونين و١٢٦ ألف عامل ! وهذا يعني أن دولة مثل الجزائر قد

يقول إعلان لشركة Singer الألمانية: نعمل بسلام من أجل الاستيلاء على العالم ! وهذا يبين أن الشركات المتعددة الجنسيات قد حلت محل الاستعماري ذي النمط القديم المتمثل في الاحتلال المباشر والاستعمار



الشركات المتعددة الجنسيات تحدد مسار العالم!

لا تمانع من انتشار الشركات المتعددة الجنسيات فيها لتخليصها من أعداد البطالة المرتفعة؛ لأنها ستكون أقدر من الحكومة على توفير فرص عمل للباحثين عنها.

. تلجأ الشركات المتعددة الجنسيات إلى مطالبة الدول العربية بفتح أبواب اقتصادها وأسواقها مستغلة موافقة هذه الدول على النظام الجديد للتجارة العالمية المتعلق بفتح الأسواق أمام المنتجات العالمية دون قيود وخصخصة الاقتصاد؛ وذلك حتى تتمكن هذه الشركات من الدخول إلى هذه الأسواق بعضلاتها المفتولة؛ لكي تتنافس مع الشركات المحلية الصغيرة، وبالطبع فلن يكون



الشركات المحلية كيف تنافس الشركات العملاقة؟

هناك تكافؤ في المنافسة بالمعنى الصحيح؛ لأن هؤلاء الضحايا لا يستطيعون الوقوف على أقدامهم في مواجهة الشركات العملاقة ومنتجاتها، ولعل مقولة جون بوتنغ، رئيس المديرين التنفيذيين السابق في بنك «فيرست بنسلفانيا» الذي يعدّ من الشركات المالية المتعددة الجنسيات: « نحن نقرر من الذي يعيش ونحن نقرر من سيموت» هي دليل واضح على ذلك.

. لم تستفد أغلب الدول العربية شيئًا من نشاط هذه الشركات على صعيد زيادة موارد ميزانياتها، وذلك بفعل الضغوط التي مارستها الدول الغربية، بالذات الولايات المتحدة لمنع ما اصطلح على تسميته «الازدواج الضريبي» الذي يعني أن تقوم هذه الشركات بدفع الضرائب على دخولها للدولة الأم وللدولة التي للشركة نشاط فيها، ومقايضة هذا الأمر بالادّعاء أن الازدواج الضريبي يحرم الدول العربية من إمكانات توجه الاستثمارات الأجنبية إليها، يضاف إلى ذلك ما بذلته

مؤسسات العولمة، كالبنك الدولي، وصندوق النقد، من جهود لإيجاد توجه عام نحو فرض الضرائب غير المباشرة، التي من أهمها ضريبة المبيعات والقيمة المضافة، وإلغاء الضرائب المباشرة، وأهمها ضريبة الدخل، وبذلك يدفع المستهلكون الذين هم بالمحصلة مواطنو الدول العربية هذه الضرائب.

. يقول إعلان لشركة Singer الألمانية: «نعمل بسلام من أجل الاستيلاء على العالم!»، وهذا يبين أن الشركات المتعددة الجنسيات قد حلت محل الاستعماري ذي النمط القديم المتمثل في الاحتلال المباشر والاستعمار الفعلي. فمن أجل تسهيل عمليات شركة الهند الشرقية، ثم احتلال الهند واستعمارها، أما الآن فإن عمليات امتصاص الثروات يمكن تحقيقها من خلال هذه الشركات دون اللجوء إلى الاحتلال العملي، وذلك باتباع سياسات في غاية الذكاء، ولكنها أكثر مكرًا ودهاء وغدرًا وتنظيمًا، لتقوم هذه الشركات بامتصاص ثروات الشعوب العربية والإسلامية.

. تدّعي الدعوات والتسويغات المؤيدة لهذه الشركات، أنها ساهمت في تحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية، وفي نقل التكنولوجيا وتوطينها. والمتمعن في آثار هذه الشركات يلمس بكل وضوح أنها لم تسهم في تحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية المنشودة، فلا الدول العربية أصبحت دولاً صناعية على الرغم مما أقيم بها من وحدات إنتاجية لهذه الشركات، كما لم يتم توطين التكنولوجيا فيها بما يخدم اقتصاديات الدول العربية التي تعاني ضعفًا وتراجعًا كبيرين.

. لا تبالي الشركات المتعددة الجنسيات بالأخلاقيات؛ لأن القاعدة الاقتصادية التي تحكم عملها هي تعظيم الربح، من خلال إنتاج أكثر ما يمكن من السلع بأقل ما يمكن من العمال، ولذلك فهي على استعداد لعمل أي شيء لتحقيق هدفها بغض النظر عن المعايير الأخلاقية، ثم هي لا تبالي بتقديم الرشاوى من أجل زيادة رقعة انتشارها وأرباحها. وفي هذا المجال يقول بيير أوجين، رئيس منظمة الشفافية العالمية، وهي منظمة تهتم بمراقبة الفساد المالي والإداري على المستوى العالمي: «إن نسبة كبيرة من الفساد المنتشر في دول العالم الثالث هي من صنع الشركات المتعددة الجنسيات التي تتركز مقارها في الدول الصناعية، وتعمل على تقديم رشاوى كبيرة لمسؤولي الدول المختلفة من أجل الفوز بالصفقات».

المراجع

. حسام عيسى، الشركات المتعددة القومية: دراسة في الأوجه القانونية والاقتصادية للتمركز الرأسمالي المعاصر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، (د ت).

. موسوعة السياسة، الجزء الثالث، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٥م، ص ٤٥٨.

. عوني المشني، مجلة «آفاق»، السنة ١، العدد ٣، ربيع ١٩٩٩م، ص ٧٩.

. إسماعيل صبري عبدالله، مجلة «المستقبل العربي»، العدد ٢٢٢، أغسطس ١٩٩٧م، ص ١٢، ١٤.

. عبدالحي زلوم، نذر العولمة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٩م، ص ٢٣٧.

. روبرت جي صامويلسون، مجلة «الكتب وجهات نظر»، العدد ١٢، فبراير ٢٠٠٠م، ص ٣٤.

. جلال أمين، مجلة «المستقبل العربي» العدد ٢٢٨، فبراير ١٩٩٨م، ص ٢٥.

. جمال قريوتي، مجلة «كنعان»، العدد ١٠٠، يناير ٢٠٠٠م، ص ٨٢.





يهود اليمن : الجـ



زيد بن علي الفضيل

الطائف ـ السعودية

على الرغم من طول استمرار الوجود اليهودي في جنوب الجزيرة العربية (اليمن) وغربها منذ ما قبل الإسلام حتى الوقت الراهن، إلا أن الباحثين لم يحددوا بدقة بدايات ذلك الوجود. ولم تتضح هوية معتنقي الديانة اليهودية فيها هل كانوا من الأقوام العبرية المهاجرة أم أنهم من السكان الأصليين. ولم نعرف بشكل واضح الأسباب الداعية إلى انتشار العقيدة اليهودية في تلك البقعة النائية التي تفصلها البراري والقفار، والقلاع والوهاد عن أرض الميعاد؛ ولعل السبب راجع إلى إغفال النقوش المسندية المكتشفة، والآثار اليمنية القديمة ما يشير إلى ذلك. كما أن المصادر اليونانية، واليهودية، والنصرانية، والعربية قد اختلفت في روايتها حول بدايات النشأة والتكوين لليهود في اليمن، وهذا ما يترك للباحث خيار الترجيح بين مختلف تلك الروايات التاريخية.

النشأة والتكوين

تعود أبكر تلك الروايات بالوجود اليهودي في اليمن إلى القرن العاشر قبل الميلاد، عندما أرسل النبي سليمان عليه السلام مرافقين مع ملكة سبأ حال عودتها إلى مملكتها بعد زيارتها له في عاصمته واعتناقها لدينه (١)، في حين ترجع الرواية الثانية الوجود اليهودي إلى مرحلة الأسر البابلي على يد نبو خذ نصر في منتصف القرن السادس قبل الميلاد، إذ تمكن ـ كما تشير الرواية ـ عدد من اليهود من النجاة بأنفسهم وأموالهم وأولادهم إلى شمال الجزيرة العربية وصولا إلى جنوبها حيث اليمن (٢)، أما الرواية الثالثة فتشير إلى أن وصول اليهود إلى اليمن كان في القرن الأول الميلادي بعد تدمير الإمبراطور الروماني تيتوس مدينة القدس(٣)، وبالنسبة إلى الرواية العربية التي رواها ابن هشام فتذكر أن الملك الحميري تبان أسعد أبو كرب تعرف إلى حبرين يهوديين حال مروره بيثرب بعد عودته من حرب في المشرق، فاصطحبهما معه إلى اليمن، وكانا قد تمكنا من ثنيه عن تدمير الكعبة حال مروره بمكة، وخلال مسيرهما معه إلى اليمن تمكن الإعجاب بهما من قلبه، فاعتنق دينهما، وحض شعبه على ذلك (٤).

وهكذا فإن مجمل الروايات قد تباينت زمنيًا، فمن القرن العاشر قبل الميلاد وحتى أواخر القرن الرابع الميلادي تقريبًا، وتباينت سببيًا: فمن الإيمان طواعية من قبل الشعب اليمني الممثل بسبأ وحمير بعدئذ، إلى الهجرة القسرية التي مارسها الشعب اليهودي هربًا بنفسه وماله، وهو ما يصعب التسليم به جزافًا، فاليمن لم تكن بالأرض المجاورة لمنطقة الهلال الخصيب، كما أن المسافة بينها وبين المواقع الحضرية في شمال الجزيرة يصعب قطعها على ابن الصحراء، فكيف بالغريب عنها، فضلاً عن بعدها الجغرافي عن نقاط محاور التنزيل الرباني، والوجود الديني للشعب اليهودي في بلاد الشام، وهو ما يحيل القيام بالهجرة الجماعية التي توحي بها مجمل الروايتين السابقتين، دون أن يتعارض ذلك مع هجرة أفراد من الشعب اليهودي إلى وسط الجزيرة

العربية لأسباب خاصة دينية كانت، أو سياسية أو غير ذلك. إذ تؤكد الرواية العربية أن الملك اليمني الحميري قد تقابل مع حبرين يهوديين بيثرب (المدينة المنورة) كان لهما الأثر في اعتناقه ديانتهما، ولعلها هي البداية الحقيقية للوجود اليهودي في اليمن، كما تشير إلى ذلك مجمل الدلائل الأثرية والتاريخية التي لم تقطع علميًا بتبعية ملكة سبأ الوارد ذكرها في القرآن الكريم إلى اليمن، لخلو النقوش واللقى الأثرية المكتشفة حتى الوقت الراهن من ذكر لها ولغيرها في التاريخ اليمني القديم، علاوة على أن شعب سبأ قد جاد ذكره في السجلات الآشورية مما يدل على وجودهم في شمال الجزيرة العربية خلال تلك الحقبة (٤).

وقد أرجع بعض المؤرخين اليمنيين اعتناق الشعب اليمني اليهودية دون المسيحية إلى أنه كان بهدف إيجاد عقيدة سماوية يمكن من خلالها مقاومة الدولة البيزنطية المسيحية التي عملت على السيطرة على اليمن من خلال مملكة الأحباش المسيحية، وعبر إرسال المبشرين لتنصير الشعب اليمني، ومن ثم فقد كان لزامًا على ملوك اليمن الحميريين إيجاد عقيدة قوية ومعادية يمكنهم من خلالها مواجهة الغزو المسيحي(٦)، كما فسر بعض الباحثين اعتناق حكومة اليمن الحميرية الدين اليهودي بدافع من الكراهية للوجود المسيحي الحبشي المحتل بعض المناطق الساحلية اليمنية على البحر الأحمر.

وأيًا ما كان الأمر، وما هي دوافعه، فإن من المرجح أن يهود اليمن لم يكونوا من الأقوام العبرية المهاجرة، بل كانوا من الأرومة اليمنية التي، كغيرها من الشعوب القديمة، آمنت باليهودية استجابة لحركة التبشير اليهودي آنذاك والذي ليس بالضرورة أن يكون قد تم على أيدي الموسويين من بني إسرائيل، بل على أيدي غيرهم ممن اعتنق الديانة اليهودية، ومما يؤكد ذلك ما وصلت إليه نتائج الدراسة العلمية التي أجرتها جامعة تل أبيب حول الجينات الوراثية ليهود اليمن، التي تبين أنها لا تختلف عن جينات القبائل العربية (٧)، على الرغم من انفصال اليهود عن غيرهم حياتيًا ومعيشيًا طوال هذه المدة.

أوضاع اليهود الدينية في اليمن إبان الحكم الإسلامي

لم تمض مدة طويلة على هجرة الرسول محمد عليه الصلاة والسلام إلى المدينة حتى كان معظم اليمن قد دخل في الإسلام محبة ورغبة، فكان أن تلاشت مختلف المذاهب والأديان الوثنية، وانحسر نطاق الأديان السماوية الأخرى، دون أن يواجهوا معارضة من الدين الجديد، إذ ﴿لا إكراه في الدين﴾ البقرة: ٢٥٦. كما جاء في الذكر الحكيم، ولذلك فقد أكد الرسول عليه الصلاة والسلام لمعاذ بن جبل رضي الله عنه حين بعثه إلى اليمن أنه: من أقام (من الملل السماوية) على دينه، وأقر بالجزية، تُرك ودينه، وله ذمة الله وذمة رسوله وذمة المؤمنين، لا يُقتل، ولا يُسبى، ولا يُكلف إلا طاقته، ولا يُفتتن لترك دينه (٨)، ولم يختلف النهج الراشدي


مقتنيات يهودية


رسم يجسد جانبًا من حياة اليهود العرب



عن المنهج النبوي في كيفية التعامل مع المخالفين من اليهود والنصارى. فهذا الخليفة الرابع علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - يوصي عامله الأشتر النخعي حين ولاه على مصر بحسن معاملة أهلها الذين لا يخرج كونهم عن: «إما أخ في الدين، أو نظير في الخلق» كما جاء في العهد المشهور (٩).

ولذلك فقد حفظ المسلمون عبر مختلف الفترات

فسر بعض الباحثين اعتناق حكومة اليمن الحميرية الدين اليهودي بدافع من الكراهية للوجود المسيحي الحبشي المحتل بعض المناطق الساحلية اليمنية على البحر الأحمر

الزمنية للطائفة اليهودية في اليمن حقوقهم المادية والمعنوية، فتحسنت أوضاعهم الاجتماعية والحياتية في ظل الأمن الذي كفله الإسلام لهم، وتحققت حريتهم الدينية عبر ممارستهم شعائرهم التعبدية في عدد من بيوت العبادة، التي لم تتعرض للإهانة أو الهدم خلال فترات الفوضى السياسية والأمنية والاجتماعية في اليمن، وهو ما أكده حاخام مدينة صنعاء يحيى بن إسحاق في معرض حديثه مع نزيه العظم الذي زار اليمن في أوائل القرن العشرين الميلادي، فقد أشار إلى أنه توجد في صنعاء ١٥ مدرسة دينية، و ١٩ كنيسة، وشدد على مدى حريتهم في ممارسة الشعائر الدينية، وتطبيق قواعد الشريعة اليهودية، دون أن يعترضهم معترض (١٠).

وليس ذلك فحسب، بل فقد عمدت الدولة العثمانية خلال حكمها اليمن على تعيين شخص على رأس الطائفة اليهودية عرف بالحاخام باشا الذي منح حق

إصدار الأحكام على أبناء الطائفة، وقد استمر المنصب قائمًا في عهد الأئمة وبخاصة الإمام يحيى حميد الدين، الذي تعززت على عهده سلطة الحاخام على الطائفة، بحيث لم يكن لأحد دون الإمام نقض ما أبرمه من حكم (١١)، بل إنه كان للحاخام يحيى الأبيض، ومن بعده الحاخام سالم سعيد الجمل الحق في الدخول على الإمام يحيى في أي وقت ليعرضا عليه شكواهما، أو ليحلا مشكلة بين يهودي ومسلم، كما لم يقتصر الأمر على ذلك، بل تعداه ليصل إلى طلب بعض اليمنيين المسلمين من الحاخام التدخل لدى الإمام لحل بعض مشكلاتهم لديه (١٢).

وإضافة إلى حريتهم في ممارستهم شعائرهم الدينية المختلفة، فقد تمتعوا بالاحتفال بأعيادهم المتعددة مثل عيد الفصح وعيدالكيبور(الغفران)، وعيد رأس السنة ويسمونه عيد (العوشة)، فيرقصون ويحتفلون بمشاركة المسلمين الذين لم يتحرجوا في إبداء فرحتهم والرقص معهم (١٣).

أما فيما يتعلق بأحوالهم الاقتصادية فإنها لم تتضرر بما هو مقرر عليم من جزية ضئيلة سنوية (١٤)، عوضًا عن انهم، وكأقلية اجتماعية ودينية، لم يشملهم مجمل قواعد الأعراف القبلية المنصوص عليها داخل المجتمع اليمني، مما مكنهم من العيش بحرية واطمئنان بين جموع القبائل اليمني، وهو ما لاحظه العالم الإنجليزي هيو سكوت الذي كتب في نهاية الثلاثينيات من القرن العشرين الميلادي قائلاً: إن اليهود في اليمن كانوا مرتاحين من وضعهم، وإن الناس تعاملوا معهم حسب العادات المحلية (١٥).

أوضاع اليهود الاجتماعية في اليمن خلال الحكم الإسلامي

لم يكن على اليهود من التزام تجاه المجتمع المسلم في اليمن والعالم الإسلامي قاطبة سوى دفع الجزية المقررة، وعدم ممارسة الربا أو القيام بأي عمل يسيء إلى الإسلام والمسلمين، وعليه فقد تمتع المجتمع اليهودي في اليمن بممارسة حياتهم بالكيفية التي تتوامم مع معتقداتهم الدينية، وتشريعاتهم الحياتية، فعمدوا إلى التزوج فيما بينهم، وحرصوا على استمرارية تعليمهم الديني، وحافظوا على مجمل عاداتهم وأعرافهم الدينية الحياتية الخاصة.

وقد انقسموا مجتمعيًا بحسب العرف الديني إلى قسمين هما:

أولاً: هارونيون وهم من ذرية أوائل من قدم مع الملك الحميري السابق الذكر بحسب الرواية العربية للنشأة اليهودية، ولا يشكلون سوى ١٠ ٪ من مجمل عدد يهود اليمن، ويتولون تنفيذ الشعائر الدينية، وعقد الأنكحة، كما يقومون بالذبح والختان وغير ذلك.

ثانيًا: غير هارونيين وهم المعتنقون للديانة اليهودية من عامة أفراد الناس (١٦).

كما تميز مجتمع اليهود من غيرهم في اليمن بعادة احتفاظهم بالزنانير المسدلة كذؤابتين متدليتين من على شعور رؤوسهم، وقد فرضت في العهد الحميري العقيدة على عهد الملك اليهودي ذي نواس لتمييزهم من باقي اليمنيين (١٧)، وتجدر الإشارة إلى أن هذه العادة لم تنقطع خلال القرون حتى الوقت الراهن، إذ لا تزال موجودة عند اليهود اليمنيين المتدينين المهاجرين إلى

اشتغل اليهود في اليمن بالمهن الحرفية والأنشطة اليدوية مستغلين عزوف فئات المجتمع اليمني عن العمل بها فكان أن سيطر اليهود على مقدرات الحياة الاقتصادية بمجمل تفاصيلها

فلسطين المحتلة، كما أنها قد شكلت العلامة الفارقة بين الإنسان اليهودي وغيره من عامة الناس المسلمين في اليمن، ذلك أن لا فوارق لغوية وثقافية بين اليهود وغيرهم داخل إطار المجتمع القبلي والمدني بصفة عامة.

وبالنسبة إلى المسكن فقد انتشر اليهود في مختلف ارجاء اليمن ريفًا وحضرًا، وإن كان تركزهم في المدن أكثر لطبيعة حياتهم المهنية. وقد كان اليهود في اليمن مثل بقية مناطق العالم يميلون إلى السكن في أحياء خاصة بهم تحمل أسماءهم، ففي مدينة صنعاء مثلاً، حُدد لهم حي مستديم عرف بقاع اليهود الواقع في الغرب من المدينة، والمنقسم إلى ٢٠ حارة، يحوي ما يقرب من ١٠ آلاف نفس تقريبًا، وفي مدينة عدن الصغيرة تقاسم اليهود السكن مع السكان المحليين المسلمين، بل إن عددهم في بعض الفترات قد فاق عدد المسلمين، وبخاصة بعد احتلال بريطانيا للمدينة عام ١٨٣٩م، كما لم يختلف الأمر في عدن عن صنعاء من حيث انزواء اليهود في أحياء خاصة بهم، وهو ما ساد مختلف التجمعات السكانية اليهودية في مختلف مدن اليمن وقراها، وهذا ما وفر لهم الحماية خلال فترات الفوضى والاضطرابات إذ كان الاعتداء عليهم وهم ليسوا طرفًا في النزاع يعدّ عملاً ممقوتًا اجتماعيًا (١٨).

وقد اشتغل اليهود في اليمن بالمهن الحرفية والأنشطة اليدوية مستغلين عزوف فئات المجتمع اليمني عن العمل بها فكان أن سيطراليهود على مقدرات الحياة الاقتصادية بمجمل تفاصيلها، ولم يعد للفرد اليمني وصولا إلى صانع القرار الرئيس من قدرة على الاستغناء عن مختلف الخدمات التي يقدمها الفرد اليهودي المحتكر لصناعة الحلي، وصناعة الأسلحة التقليدية (الخناجر والسيوف)، وكل ما هو متعلق بها والصناعات الجلدية، وأعمال النجارة والزخرفة، وأعمال الحياكة وا لتطريز، وأعمال البناء، وغيرها من الحرف اليدوية.

كما اشتغل بعضهم الآخر بالتجارة مستفيدين من خاصية حرية التنقل التي كفلتها لهم الأعراف القبلية في اليمن، وهو ما حدا بعدد من الرحالين الغربيين إلى التنكر بزي اليهود حال تجوالهم في بقاع اليمن، إضافة إلى ذلك فقد سهل المحتل البريطاني في عدن والمحميات الجنوبية لهم إجراء الكثير من العمليات التجارية بحرية ودون قيد، مما أدى إلى احتكارهم الكثير من الصناعات اليدوية، وعددًا من الوكالات التجارية، كتجارة البن اليمني، وريش النعام وغيرها (١٩).

تجدر الإشارة إلى أن عددًا منهم قد شغل مناصب عالية في الدولة خلال مختلف الحقب التاريخية وبخاصة في الأعمال التي تتعلق بالخدمات، ومنها ما كان على عهد الإمام القاسم بن الحسين المتوفى سنة ١١٣٩هـ/ ١٧٢٦م، الذي قلد زعيم الطائفة اليهودية في عهده وظيفة المسؤول الأول عن الجمارك، والقصور، والبساتين في اليمن (٢٠)؛ وما كان أيضًا في زمن الإمام يحيى حميد الدين المتوفى سنة ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م، الذي أسند مهمة سك العملة النحاسية إلى بعض منهم (٢١)، واعتمد في عدد من صفقاته الخارجية عليهم، كما حدث مع التاجر اليهودي إسحاق سبيري، علاوة على ذلك فلم يمنعهم من المساهمة المالية في الشركة اليمنية للتجارة والصناعة والزراعة حال إنشائها (٢٢)، وكان من جراء ذلك أن انتعشت الحركة الاقتصادية بين الجالية

تميز مجتمع اليهود بعادة احتفاظهم بالزنانير المسدلة كذؤابتين متدليتين من على شعور رؤوسهم. وقد فرضت في العهد الحميري العقيدة على عهد الملك اليهودي ذي نواس

اليهودية، واشتهرت بعض البيوت فيها بالتجارة مثل أسرة حبشوش وغيرها.

أوضاع اليهود السياسية خلال الحكم الإسلامي في اليمن

لم تستمر سلطة اليهود السياسية في اليمن مدة طويلة، إذ أخذت دولتهم - إن جاز لنا القول - في الاضمحلال بصورة متسارعة تحت وطأة الاحتلال المسيحي بقيادة مملكة الأحباش في أواخر القرن السادس الميلادي، الذي بدوره لم يستمر طويلاً حيث تمكن سيف بن ذي يزن الحميري من تحرير اليمن بمساعدة الفرس الوثنيين من ربقة ذلك الاحتلال، فعاشت اليمن في فراغ ديني بعدها حتى كان دخولها في الدين الإسلامي في أوائل القرن السابع الميلادي السنة التاسعة للهجرة، ليتربع الإسلام على أفئدة ذلك الشعب تلبية لدعوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما جاء في الأثر، ومن حينه انضوت اليمن أرضًا وشعبًا تحت لواء الدولة الإسلامية خلال مختلف الحقب التاريخية، وعاش اليهود فيها أقلية دينية لها حقوقها، وعليها واجباتها تجاه الدولة، بحسب ما تقرره التعاليم الدينية تجاه ما تعارف عليه المسلمون بأهل الذمة .

وقد اختلفت المصادر في عدد اليهود اليمنيين بصورة عامة، غير أن المرجح أن عددهم وصل مع مطلع القرن العشرين إلى ما بين٧٥ و١٠٠ ألف نسمة موزعين على ألف مركز داخل أرجاء اليمن (٢٢)، متمتعين في معظم الفترات التاريخية بالأمن والسلام إلا من بعض الفترات التي تعرضوا فيها لبعض أنواع العقاب الناتج من ممارستهم أمورًا تُعد من قبيل العصيان على الدولة والمجتمع، كالتمرد أو الخروج على التقاليد اليمنية العامة المرعية من قبل الطائفة اليهودية، أو محاولة التملص من دفع الجزية، أو التلاعب في النقد المدفوع، أو بيعهم الخمور وتعاطيهم لها علنًا، أو اللجوء إلى أساليب الغش في البيع وغير ذلك مما يعرضهم لعقاب الدولة الإسلامية في اليمن.

شغلت فكرة ظهور المسيح المخلص، أذهان الكثير من أبناء الطائفة اليهودية في عدد من الفترات التاريخية، ومن ذلك ما حدث في أواخر القرن السادس الهجري حين أعلن الحبر يعقوب بن ناثانئيل أنه المسيح المخلص، داعيًا إلى أنه مكلف بالعمل على دمج الديانة اليهودية بالإسلام (٢١)، لكن دعوته هذه لم تلق قبولاً وتأييدًا واسعًا بين صفوف الطائفة اليهودية آنذاك.

وفي القرن الحادي عشر الهجري انتشرت بين فئات الطائفة اليهودية في اليمن دعوة سبتاي زيفي الذي ظهر في مدينة أزمير مدعيًا أنه المسيح المخلص، وتجول داعيًا لنفسه بين سالونيك والقاهرة والقدس دون أن تلقى دعوته أي قبول واسع، لكنها ولتعلق أبناء الطائفة اليهودية في اليمن بفكرة المسيح المخلص قد لاقت قبولاً رائجًا جعلت الكثير منهم يعمل على العودة إلى فلسطين، فأخذوا في بيع ممتلكاتهم دون إذن من الإمام المتوكل على الله إسماعيل (١٠٥٤ - ١٠٨٧هـ/ ١٦٤٤- ١٦٧٦م) حاكم اليمن آنذاك، وأخذ بعضهم في التلاسن مع المسلمين بسوء، فكان أن حرر أحد القضاة، ويدعى شهاب الدين أحمد بن سعد الدين، سؤالاً إلى الإمام يستفسر فيه عن موقف المسلمين من ممارسة اليهود أعمال البيع والهجرة الجماعية دون إذن مسبق من

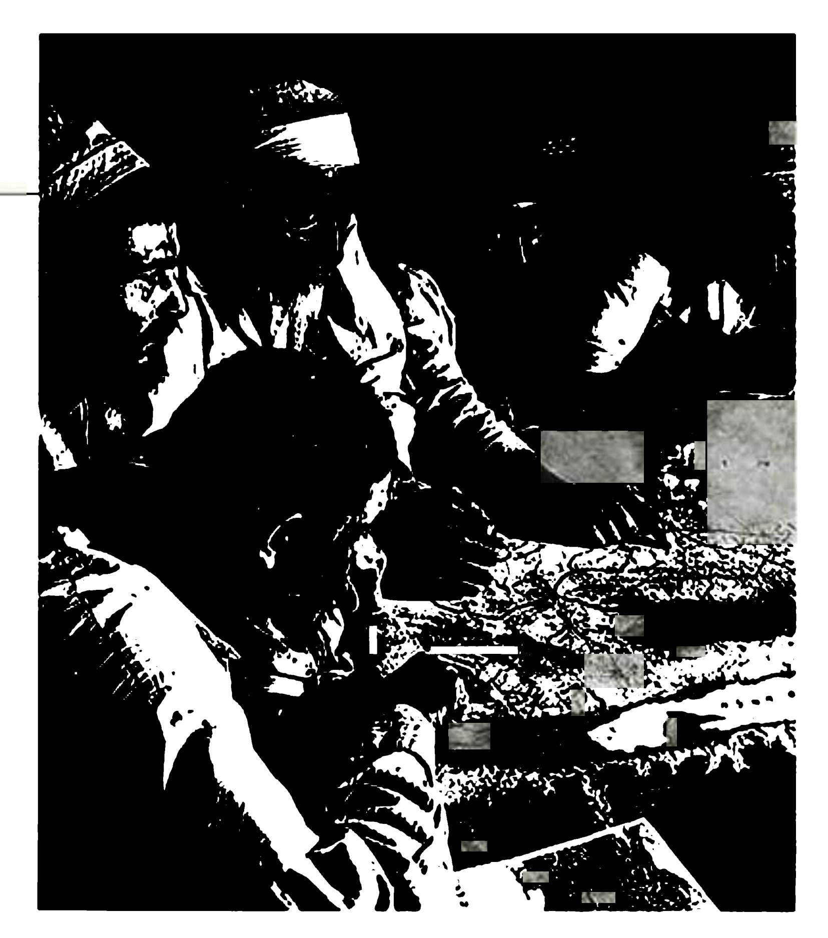
عمدت الدولة العثمانية خلال حكمها اليمن على تعيين شخص على رأس الطائفة اليهودية عرف بالحاخام باشا الذي منح حق إصدار الأحكام على أبناء الطائفة



يهوديات يمنيات بلباسهن التقليدي

الإمام، وكذلك عن الموقف من سلوكيات بعضهم الفاسدة تجاه المسلمين، فكان جواب الإمام يقضي بأن عدم وقوف اليهود على رسم الذمة مدعاة إلى نقض التزامات العهد تجاههم، ففهم الناس من جوابه أنه يهدر أموالهم وانتشر ذلك في آفاق اليمن، فانتهب اليهود في عدد من المناطق، حتى وقف ذلك بأمر من الإمام الذي قام بتاديب المنتهبين، وفي تلك الأثناء قام بعض يهود صنعاء بتتويج أحد رؤسائهم، وعملوا على تنصيبه وإعلاء كلمته، فما كان من الإمام إلا أن أمر بالقبض عليه وقطع عنقه، وتعزير من ساعده من اليهود بإسقاط العمائم من على رؤوسهم، وسجن بعضهم (٢٥)، ولم ينته الأمر عند ذلك، بل قام بعض يهود صنعاء بالتطاول على النبي محمد عليه الصلاة والسلام، وعلى المسلمين، وإعمال الغش التجاري معهم، وهذا ما أجبر الإمام المتوكل إسماعيل على القيام بإجلاء يهود صنعاء وتخريب كنائسهم، وتم تنفيذ ذلك في عهد خليفته الإمام المهدي أحمد بن الحسن الذي قام بتهجير يهود صنعاء، إلى مدينة موزع على ساحل البحر الأحمر لمدة يسيرة، ثم سمح لهم بالرجوع ليس إلى مواقعهم القديمة في صنعاء وإنما إلى حي جديد خاص بهم، عرف باسم قاع اليهود وذلك بعد سكينتهم، وشفاعة أحد كبار الأحبار اليهود في اليمن المقيم في تعز لهم، ويدعى الشبزي (٢٦).

وبحكم سيطرة فكرة إمكانية ظهور المسيح المخلص الذي به ومن خلاله ستعود الدولة اليهودية في فلسطين



أجيال من يهود اليمن

على أذهان أفراد المجتمع اليهودي اليمني قاطبة، فقد عرف أبناء الطائفة خلال مختلف المراحل التاريخية ظهور المدعين بمسيحيتهم (الكاذبة)، التي لا تلقى إقبالاً في بعض الفترات من قبل علماء الطائفة اليهودية وأفرادها، وذلك لتعلقهم الكبير بمختلف مظاهر الحياة الدينية، التي كانت تميز المجتمع اليهودي في اليمن، أسوة بفئات المجتمع اليمني المسلم، ولذلك فلم تواجه المنظمة الصهيونية الكثير من الصعوبات في إقناع أبناء الطائفة اليهودية بالهجرة إلى الأرض الموعودة (فلسطين المحتلة) وذلك مع بداية القرن العشرين الميلادي.

لقد تمكنت المنظمة الصهيونية بواسطة عدد من أفرادها الذين زاروا اليمن متخفين بلباس يهودها المسموح تنقلهم بحسب ما تقتضيه الأعراف اليمنية دون قيد أو شرط، ودون خوف أو رهبة لحصانتهم الاجتماعية وفقاً لما تقرره الأعراف والعادات والتقاليد القبلية اليمنية (٢٧)، تمكنت من تعزيز روح الهجرة إلى فلسطين بين أوساط المجتمع اليهودي في اليمن، وبذلت من أجل ذلك كل السبل الممكنة، ونجحت جهودهم في ذلك، خصوصاً أن يهود اليمن كانوا على معرفة بالقدس، وعلى اعتقاد كبير بأن ساعة الفرج لهم قد قربت، وهو ما يؤكده إريك ماكرو الذي زار اليمن عام ١٨٨٢م بقوله: «إن اليهود القاطنين بقرية قرب صنعاء أظهروا معرفتهم بالقدس وبروتشايلد العظيم الذي كانوا يعتقدون أنه حاخام عظيم لليهود، وكانوا يتوهمون أنه يسكن القدس، وأنه اشترى أرضاً ليمنحهم إياها، وعلى هذه الشائعة هاجر أكثر من مئة أسرة يهودية من صنعاء إلى القدس لتنفيذ ذلك» (٢٨).

وقد توالت هجرات اليهود اليمنيين إلى فلسطين بعد ذلك بصورة كبيرة، حيث هاجر خلال عامي ١٩١١م و١٩١٢م نحو خمسة عشر ألف يهودي، واستمرت الهجرات في الأعوام اللاحقة حتى كان عام ١٩٤٨ - ١٩٤٩م، التي هاجر فيها غالبية أبناء الطائفة اليهودية بعد إعلان قيام دولة إسرائيل فيما عرف بعملية «بساط الريح أو بساط سليمان»، ولم يبق في اليمن منهم سوى ما يقرب من ٣٠٠ فرد آثروا البقاء داخل أرجاء اليمن.

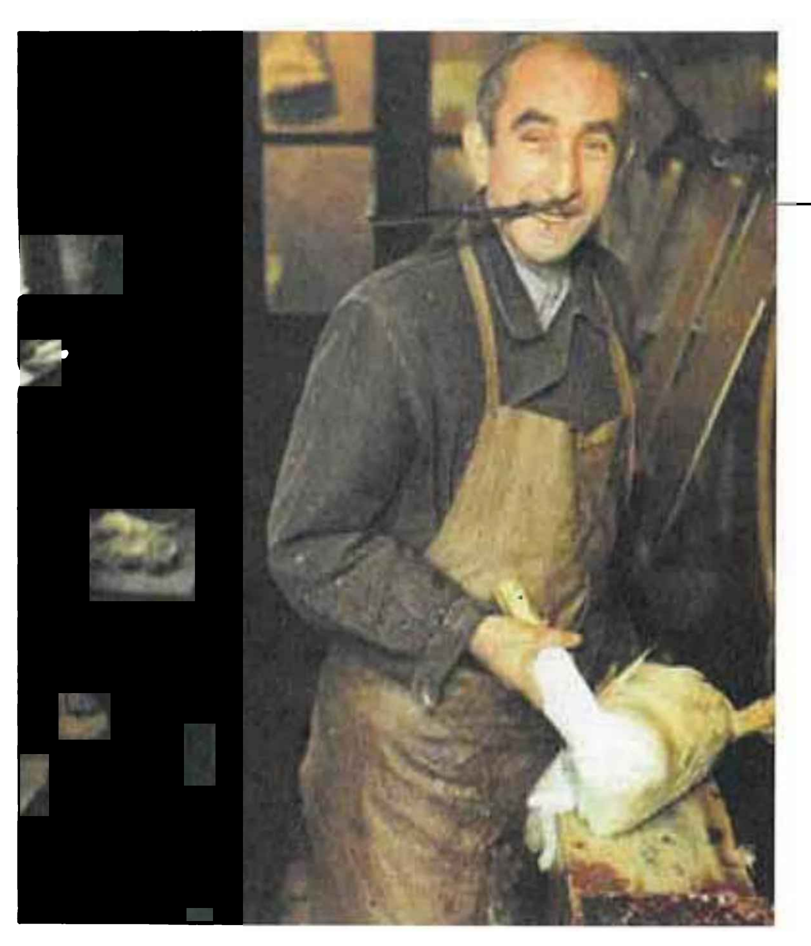
الخاتمة

وعليه فيتضح مما سبق أن الطائفة اليهودية اليمنية

حفظ المسلمون عبر مختلف الفترات الزمنية للطائفة اليهودية في اليمن حقوقهم المادية والمعنوية، فتحسنت أوضاعهم الاجتماعية والحياتية في ظل الأمن الذي كفله الإسلام لهم

التي ينتمي غالبيتها إلى الأرومة العربية الجنوبية قد عاشت طوال أربعة عشر قرنًا من حكم المسلمين في أجواء من التسامح الديني والحياتي الذي أمكنهم من خلاله المحافظة على هويتهم، وشعائرهم الدينية، ومختلف عاداتهم وتقاليدهم الاجتماعية، في ظل منطقة عرفت بتقلباتها السياسية، ومتغيراتها الاقتصادية، وتنوعها الفكري، وتباينها الاجتماعي الذي وإن كان للوهلة الأولى ميزة إيجابية لهم، لكنه، وبقليل من التدبر، يعدّ خاصية سلبية يمكن معها استحواذ فكرة اتحاد الأغلبية على الأقلية والعمل على نفيه بمختلف السبل المشروعة وغير المشروعة.

لقد عرف اليهود طبيعة العقل العربي في اليمن الذي تسيطر عليه مفاهيمه القبلية المبنية على قواعد ثابتة من الأخلاق والوفاء، فحرصوا على التحرك من خلالها، ورضوا كأقلية دينية، وربما عرقية تبعًا لذلك، بالعيش داخل المنظومة القبلية، ووفقًا لسلمها الاجتماعي متمتعين بمزاياها الاقتصادية، فلا يدفعون ضرائب ولا أعشارًا ولا زكاة فطر، ولا رسومًا مالية أخرى، بل يكتفون بدفع أموال زهيدة بالنسبة إلى ما يدفعه المُكلف المسلم تعرف بالجزية، تعمل على تخليصهم من حمل السلاح، كما نوه بذلك نزيه العظم في معرض حديثه مع بعض أبناء الطائفة في صنعاء: ومتمتعين أيضًا بمزاياها الاجتماعية التي وإن شابها الدونية في بعض مظاهرها، لكنها حققت لهم الأمان والاستقرار داخل أروقة المجتمع اليمني بما يمكن تشبيهه بالحصانة الاجتماعية، وهم ليسوا بدعًا أو متفردين في ذلك، بل إن القواعد القبلية تضمن لعلماء الدين المسلمين الحياة الآمنة حتى في أحلك الظروف الأمنية التي ينصاع فيها المتحاربون لراية العالم البيضاء حال رفعها بينهم فيعقدون العزم على إتمام الصلح، واعتبار مكان ذلك هجرة لها حرمتها القبلية.



سيطر اليهود على الاقتصاد باحتراف الأعمال اليدوية

لقد كان لإدراكهم الفعلي لحيثيات ذلك العقل القبلي اليمني أثره الإيجابي فيهم، فهم لم يكتفوا بالخلاص من مجمل الالتزامات المالية التي يدفعها غيرهم من أفراد المجتمع اليمني المسلم، بل إنهم استغلوا، وربما رسّخوا، بطريقة مباشرة وغير مباشرة أيضًا، عزوف أفراد المجتمع اليمني قاطبة عن العمل اليدوي ليتولوا القيام بذلك، محققين خاصية الاحتكار والسيطرة التجارية المرتبطة بالحياة اليومية، مما أكسبهم مكانة خاصة، وأهمية بالغة في نفوس جل اليمنيين من أعلاهم إلى أدناهم المحتاجين إلى خدماتهم المهنية، فكان أن تنفذوا بأسلوب غير مباشر.

كما أدرك عدد من موظفي المنظمة الصهيونية أهمية تلك الميزة الإيجابية ليهود اليمن، فعمدوا على استغلالها، وأخذوا التجول متنكرين بالزي اليهودي بحرية واطمئنان، محرضين أبناء الطائفة على الهجرة



احترف يهود اليمن الصناعات اليدوية

إلى أرض فلسطين. وفي مقابل ذلك فقد أدركت القوى السياسية في عهد المملكة المتوكلية اليمنية أهمية هذه الميزة التي تمكن اليهود من التنقل بين أرجاء القبائل دون اعتراض من أحد فعملت على الاستفادة منها بالشكل الذي يصب في خدمة مصالحها، وهو ما يبرز سماح الإمام يحيى حميد الدين - على سبيل المثال - لحاخام اليهود بالدخول عليه في أي وقت يشاء، وإن كان لا يخلو ذلك من إحساس بالمسؤولية الدينية تجاه اليهود كأهل ذمة مستضعفين.

الجدير بالذكر، أنه، على الرغم من التوافق الثقافي بصفة عامة والتشابه الجيني، كما أكدت ذلك مختبرات جامعة تل أبيب بين المجتمع اليهودي واليمني، قد آثرت الطائفة اليهودية الانعزال في أحياء خاصة بها أشبه ما تكون بالمستوطنات، بعيدين عن أنماط حياة المجتمع اليمني الريفي منه والمدني، ويعود ذلك إلى الإحساس بالأقلية الفكرية التي تشكل هاجسًا سيطر على مناحي الحياة اليهودية، مما سرب الخوف إلى نفوسهم موحيًا لهم بحتمية التلاشي في حال الاندماج مع المجتمع اليمني المسلم، وهذا عوضًا عن مظاهر العبادة اليهودية التي تفرض نوعًا من الصرامة الدينية في الحياة حتى على مستوى أكل الإنسان، لذلك فقد حرص اليهود على التجمع بقدر المستطاع دون أن يمنع ذلك أحدهم من الاختلاط الحياتي مع أفراد المجتمع المسلم. لهذا فقد كانت فكرة الانعزال عن باقي مناحي المجتمع في اليمن نابعة من داخل أروقة المجتمع اليهودي، وليس كما يعتقد بعض الباحثين أن منشأها التفرقة العنصرية التي عاشها اليهود في مختلف أرجاء العالم الغربي، ذلك أن الفرق بَيّن بين العالمين الغربي المسيحي،



والشرقي الإسلامي على وجه الخصوص. فالمسيحية تعيش عداءها الأيديولجي التاريخي مع اليهودية لاتهامها بقتل المسيح عيسى عليه السلام. أما المسلمون فلا يملكون في أنفسهم أي بذرة للعداوة الأيديولوجية مع اليهود كطائفة دينية، فهم، بداية، من أهل الكتاب الذين فرض الله على المسلمين مراعاة حقوقهم. وليس ذلك فحسب، بل وأجازت الشريعة الإسلامية الزواج منهم، والأكل من مأكلهم، وغير ذلك من مدلولات المعاملات الأخوية.

وهو ما ينفي نظرية العداء الأيديولوجي العنصري السلبي بين المسلمين جماعات وأفرادًا مع اليهود على الرغم من حقيقة الخلاف الأيديولوجي معهم.

المراجع الهوامش

١- محمد عكاشة، يهود اليمن والهجرة إلى فلسطين. الطبعة الثانية (غزة: ١٩٩٨م)،٦.

٢- المرجع السابق، ٩، ١٠.

٣- المرجع السابق، ١١.

٤- محمد أرشيد العقيلي، اليهود في شبه الجزيرة العربية، عمان:١٩٨٠م، ٧٤.

٥- محمد عبدالقادر بافقيه، تاريخ اليمن القديم، بيروت: ١٩٨٥م، ٥١: وانظر: أنطوان مورتكات، تاريخ الشرق الأدنى القديم، دون تاريخ ودار نشر.

٦- عكاشة، مرجع سابق، ص ١٦.

٧- المرجع السابق، ص ٣٦: وانظر الموسوعة اليمنية، بيروت: مؤسسة العفيف الثقافية، ١٩٩٢م، ج ٢، ١٠٣٢ وما تلاها.

٨- محمد علي الأكوع، الوثائق السياسية اليمنية من قبل الإسلام إلى سنة ٣٢٢هـ بغداد (١٩٧٦م)، ١٤٠.

٩- نهج البلاغة، وشرح الإمام محمد عبده، بيروت: مؤسسة المعارف، د ت.٦٢٢، كتاب الإمام علي للأشتر النخعي حين ولاه على مصر.

١٠- نزيه مؤيد العظم، رحلة في بلاد العرب السعيدة، بيروت، ١٩٨٦م، ١٤٦.

١١- عكاشة، مرجع سابق، ٨٣.

١٢- من حديث للمؤرخ اليمني مطهر الإرياني على قناة الجزيرة القطرية حول يهود اليمن.

١٣- من حديث للمؤرخ اليمني مطهر الإرياني على قناة الحزيرة القطرية حول يهود اليمن.

١٤- العظم، مرجع سابق، ٦٦.

١٥- قائد نعمان الشرجبي ، الشرائح الاجتماعية التقليدية في المجتمع اليمني، بيروت: ١٩٨٦م، ٢٤٨.

١٦- من حديث للمؤرخ اليمني مطهر الارياني على قناة الجزيرة القطرية حول يهود اليمن.

١٧- عكاشة، مرجع سابق، ٤٣؛ الشرجبي ، مرجع سابق، ٢٤٩.

١٨- الموسوعة اليمنية، ج٢، ١٠٣٤.

١٩- عكاشة، مرجع سابق، ٧٣.

٢٠- عكاشة، مرجع سابق، ٦٢.

٢١- الشرجبي ، مرجع سابق، ٢٥٤.

٢٢- عكاشة، مرجع سابق، ١٠١.

٢٣- الموسوعة اليمنية، ج٢، ١٠٣٤.

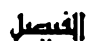
٢٤- أيمن فؤاد سيد، تاريخ المذاهب الدينية في بلاد اليمن، القاهرة:١٩٨٨م، ٢٠٤: عكاشة، ٥١.

٢٥- عبدالله بن علي الوزير، تاريخ اليمن المسمى طبق الحلوى وصحائف المن والسلوى، تحقيق: محمد حازم، بيروت: ١٩٨٥م، ٢٢٢؛ يحيى بن الحسين القاسم، يوميات صنعاء، تحقيق: عبدالله الحبشي، أبوظبي: ١٩٩٦م، ١٤٦.

٢٦- عكاشة، مرجع سابق، ٥٨.

٢٧- يمكن الرجوع في ذلك إلى: الشرجبي ، مرجع سابق: وإلى حديث المؤرخ مطهر الإرياني وغيرهما.

٢٨- الشرجبي ، مرجع سابق، ٢٤٧.





وجهة نظر حول التراث الـ



محمد فؤاد الذاكري

حلب – سورية

يحكى عن رجل عاش في زمن بعيد.. كان يحب الترحال والسفر، وفي إحدى رحلاته فاجأته عاصفة ثلجية شديدة، اختفى بعدها ولم يعثر له على أثر، وشب ولده الوحيد متابعًا خطا والده، وفاقه في الترحال، وذات ليلة كان يرتاح بجانب صخرة ودهش لما رأى، فقد أحس بأنه ينظر إلى المرآة، فرك عينيه أكثر من مرة وأدام النظر، كان ينظر إلى نفسه، إلى صورته الشخصية مطمورة تحت الثلج وأدرك أخيرًا أنه ينظر إلى جثة والده المفقود التي حفظها الثلج جيدًا من أي فساد، في وضعيتها التي توقف عندها الزمن، وكان والده يحتفظ بنضارة الشباب، أما الابن فقد ظهرت عليه أمارات الهرم، وللمرة الأولى أصبح الوالد أصغر سنًا من ولده.

أجداد أنضر شبابًا!

تشهد الساحة الثقافية في الوقت الحاضر، نهضة تراثية علمية، إن صح التعبير، تتمثل في الإقبال على تحقيق كتب التراث ونشرها كما تتمتع بنسبة معقولة من القراء... ونفاجأ جميعًا بما تحويه هذه المخطوطات التراثية التي لم يكشف عن نقابها إلا القليل من معلومات ومعطيات مهمة قد تغير نظرتنا إلى كثير من الأمور، فالتراث العلمي العربي ظل محفوظًا في خزائن الكتب وفي بطون المجلدات والأوراق سليمًا على حالته الأولى كما تركه أصحابه، وندهش نحن أبناء هذا التراث المجيد وورثته بأن الآباء والأجداد كانوا أنضر شبابًا وحيوية، وأكثر قدرة على الاستنباط والمحاورة وأكثر تسامحًا وقبولاً، وكل ما هو مطلوب منا أبناء العصر الحالي: أن نحسن القراءة والفهم...

التراث العلمي العربي، حمّال أوجه، هذه حقيقة لا مراء فيها، ويذكر الجميع في بداية إرهاصات المشروع الثقافي التراثي منذ فترة ليست طويلة، كثرة النقاش حول هذا الاتجاه الجديد الذي لم يسبق التعرف إليه على صعيد عامة القراء التي كانت تزود بمعلومات بسيطة بدائية حول.. أن العرب أول من اكتشف كذا... وهم أول من فعل كذا، إلى آخره دون الدخول في تفاصيل مهمة ومفيدة. في البدايات انبرى بعض المستغربين بتأثير من دوافع أيديولوجية ضيقة أو بقصر نظر تاريخي محض لمهاجمة التراث العلمي (العلم العربي) بأنه إزجاء للوقت، وبأن هذه الأعمال التراثية تصلح لعرضها في المتاحف فقط، أو من باب الترف الفكري، وحاول بعضهم أن يلتزم الحياد بموقف وسطي توفيقي مطالبين بأن يؤخذ من التراث العلمي الأشياء (الجيدة المفيدة) وينبذ ما عدا ذلك، بحسب المعايير المعاصرة والأحكام المسبقة..

ولا بد من القول أن التراث العلمي العربي يمثل تاريخ العلم وفلسفته، والمراحل والتطورات التي مرت بها المسيرة العلمية من العصور الوسطى أو ما قبلها حتى الزمن الحاضر، ومتى كانت دراسة تاريخ العلم وفلسفته شيئًا قابلاً للمساومة؟ إن هؤلاء الأفراد ينطلقون من عقيدة الانتماء الغربي للعلوم حسب تعبير الباحث

رشدي راشد، فهم انسياقًا مع هذه العقيدة، يعدّون العلم ـ نظريًا ـ يونانيًا، وهو من حيث التجربة والتطبيق وليد القرن السابع عشر، والعلم العربي هو خزان حفظت فيه العلوم اليونانية القديمة (الهلينيستية).

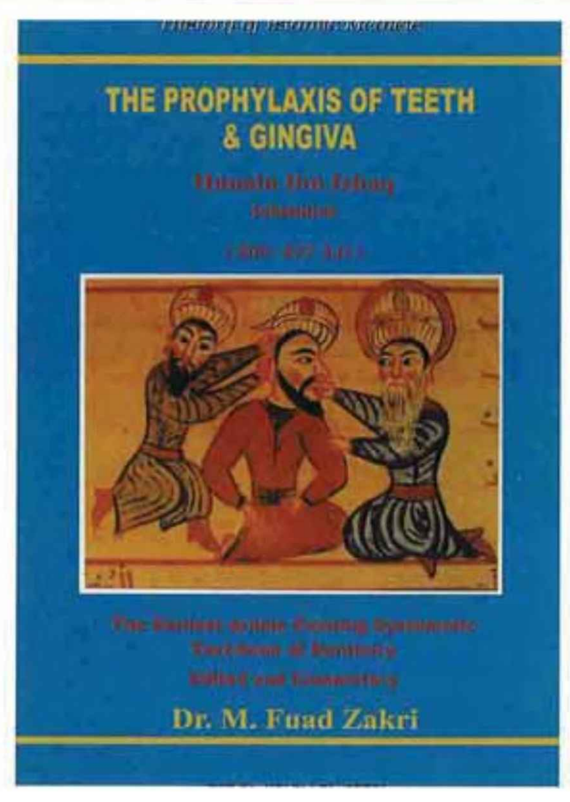
علم عالمي

والواقع غير ذلك فالعلم العربي عالمي بمصادره ومنابعه بتطوراته وامتداداته، فعن طريقه يمكن قراءة كل الإنتاج العلمي القديم (فلك ـ رياضيات ـ هندسة ـ جغرافيا ـ ملاحة ـ نبات ـ زراعة...إلخ)؛ لأن العلماء الذين كانوا يكتبون بلغتهم الأم (سرياني ـ فارسي ـ سنسكريتي...) كانوا يقومون هم بأنفسهم أو بتكليف غيرهم بنقل مؤلفاتهم إلى العربية، التي أصبحت لغة العلم بدءًا من القرن التاسع الميلادي وأخذت بعدًا كونيًا، فلم تعد لغة التعبير عند العرب فحسب بل عند عدة شعوب. ولا لغة تمثل ثقافة واحدة معينة بل لغة كل المعارف، الم يقم ابن سينا البخاري بكتابة مؤلفاته العظيمة باللغة العربية، وكذلك فعل الرازي الفارسي الأصل. وهكذا دشن العالم العربي طرقًا جديدة، وامتد إلى حقول علمية جديدة. ومكّن من التقاء تيارات علمية مستقلة وتمازجها في ذلك الحين.

وكيف يمكن فهم تطورات العلوم الحديثة واستيعابها إذا غاب عن بالنا العلم العربي ودوره الجبار الذي قام به، لقد استقى أسلافنا العلم من الهند والصين واليونان واضافوه إلى إرث اليمن ومصر وأنطاكية وبلاد بابل، وترجموا وطوروا واخترعوا بحيث أضحى علمهم علم العالم على امتداد سبعة قرون، ولغتهم لغة العالم.

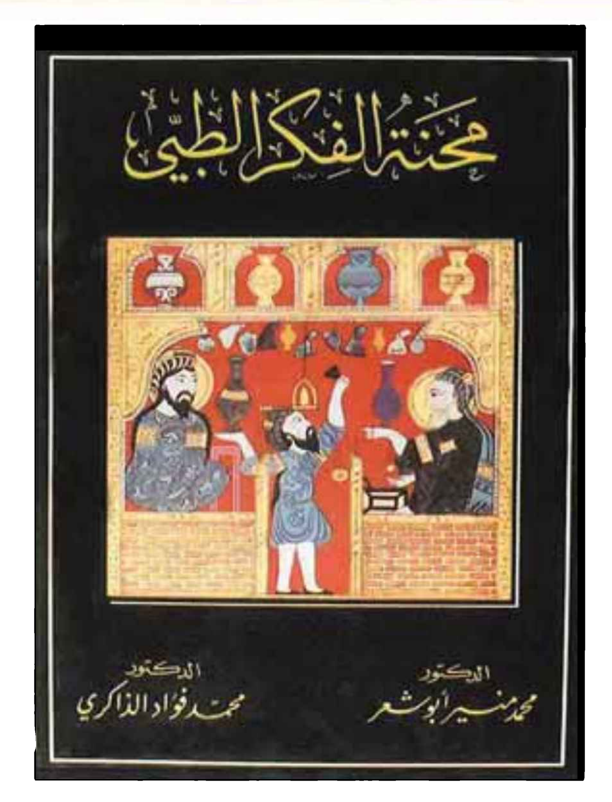
معاناة الباحثين

ويعاني الباحث التراثي من جملة ما يعانيه الحصول على صور المخطوطات العلمية القديمة للتحقيق



أحد إصدارات كاتب التراث العلمي العربي

والدراسة. فالتراث العربي دوّنه أفراد من مختلف أصقاع العالم من بخارى وسمرقند وفارس والأندلس وبغداد والقيروان ودمشق. جمعوا عصارة فكرهم ونتاج عبقريتهم على الورق وشاءت الظروف أن تنتقل تلك الأوراق والمخطوطات في رحلة العلم الطويلة إلى أماكن أخرى وتتكدس فيها وتتجمع. فالعلم لا وطن له، مثل أوربا وأمريكا وبلاد أخرى.. وبقيت مشكلة الحصول على صور أو نسخ من هذه المخطوطات. فبعض الدول يرى أن تلك المخطوطات كنز قومي، إلى درجة أنه لا يجوز لأحد مهما كانت صفته العلمية الاطلاع عليها، وهنا لب المشكلة فكيف يمكن أن نقدم تراثنا للعالم إذا لم تتيسر للباحث مهمته، ثم إن الحصول على صور المخطوطات لن ينقص من قيمة المخطوط الأصلي شيئًا، بل على العكس ينفض الغبار والنسيان عنه، ويعيد إليه



إصدار آخر للكاتب

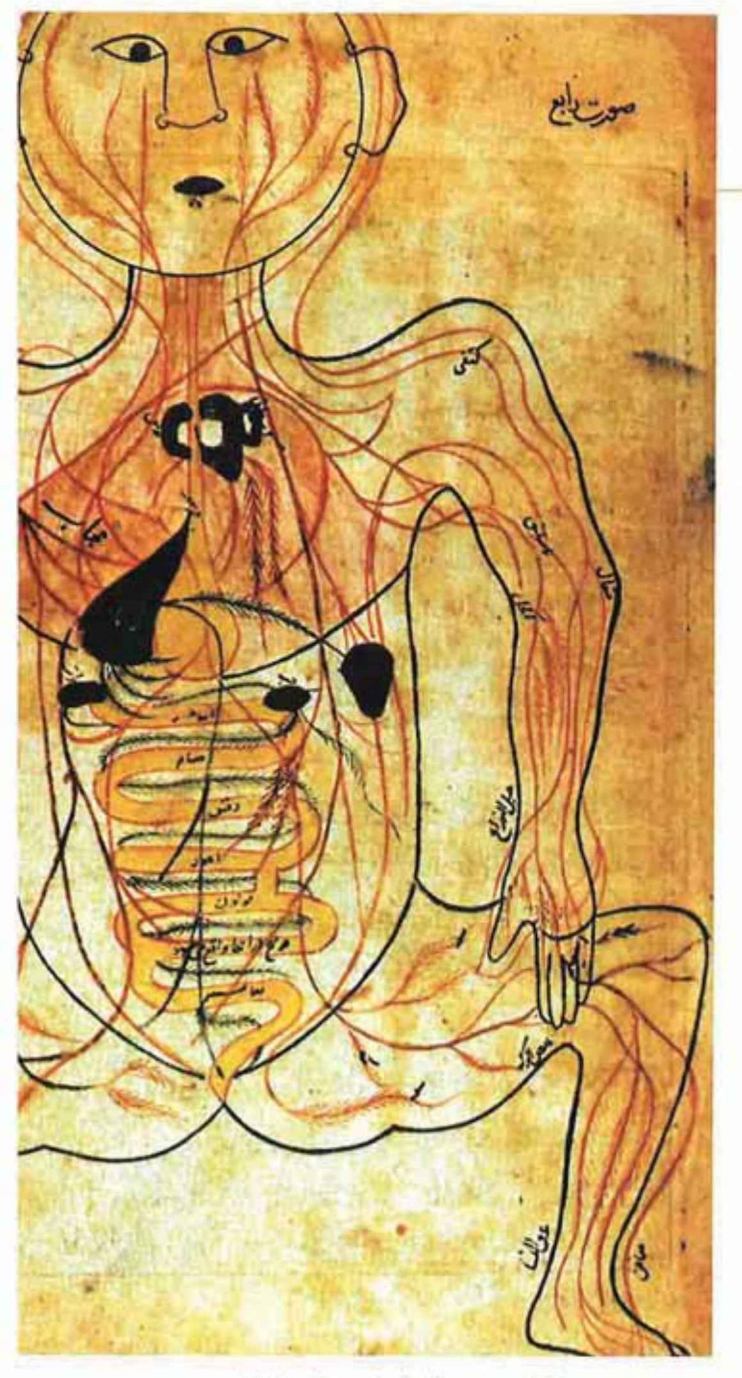
بريقه القديم ويزيد من قيمته المادية.

كما أن هذه المخطوطات العلمية بما تحويه من معلومات ومعطيات، هي إرث إنساني عالمي، دوّنها أسلافنا لكل الناس لتنتفع منها البشرية قاطبة ولا تدخل أبدًا في نطاق المعلومات السرية أو المحظورة ولا يحق لأي جهة مهما كانت مؤسسة أم أفرادًا، أن تحجبها عن الاطلاع والمداولة حتى لو كانت مالكه للنسخة الأصلية: إن هذا الفعل يقع تحت نطاق المحاسبة والمساءلة الجزائية..

وفي المقابل يجب الاعتراف بما تؤديه بعض المؤسسات الثقافية العربية بتسهيل الأمور أمام الباحثين. وعلى سبيل المثال: معهد التراث العلمي العربي بحلب، ومركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض، ومركز جمعة الماجد بدبي، وغيرها، التي تزود الباحث الجاد مشكورة بما يحتاج إليه من صور للمخطوطات المتوافرة لديها، ولكن هناك الكثير من المخطوطات القيمة في مكاتب العالم ما زالت حبيسة الأدراج، يغطيها الغبار تنتظرها أيدي الباحثين بشوق، على أمل أن يتحقق مشروع عالمي تقوم به منظمة (اليونسكو) أو غيرها بنشر صور للمخطوطات، وهي بالمئات لتصبح متاحة لجميع الباحثين.

ويصادف الباحث في جملة متاعبه أفراد يشغلون مراكز حساسة في مؤسسات تراثية عريقة، وهم بطبيعتهم معادون للتراث، ولكل شيء يمت إليه، ولا يؤمنون بقضيته، ومع ذلك لهم الكلمة الفصل في الأمور التراثية ذات الصبغة الإدارية وتواجدوا في مناصبهم بفعل فاعل، ويصح أن نطلق عليهم (مضاد للثقافة والتراث). ويضطر الباحث إلى التعامل معهم بحكم موقعهم في مناصبهم الحساسة وعوضًا من أن يكونوا عونًا للباحث ومساعدين له، نراهم يخترعون الأعاجيب والأفاعيل لعرقلة مسيرة البحث التراثي ووضع العصي في العجلات، بل لا يتورعون عن التضييق والإيذاء، على الرغم من تصريحهم العلني المستمر بعكس ذلك، إنها حالة ازدواجية تعيشها بعض المؤسسات الثقافية في الوقت الراهن، لقد أعطى أسلافنا وقدموا للبشرية إنتاجًا علميًا لا يقدر بثمن، دون أن ينتظروا المكاسب والأرباح المادية، كما يفعل بعض الناس الآن. إن البحث التراثي يتطلب الأريحية العلمية وتبادل المعلومات والمعارف، كما يتطلب الصبر والجهد، وبعبارة أخرى التضحية، في سبيل رسالة آمن الباحث بقدسيتها ومشروعيتها...

إن هؤلاء الأشخاص تمثلهم النادرة التالية: في أثناء الحرب العالمية الثانية حوصر كاتب في مدينة (ستالينغراد) في شقته وحيدًا منعزلاً، تحت وابل القذائف والقنابل، كان يتوقع الموت في كل لحظة، ولم يكن يوجد لديه سوى كمية كبيرة من التبغ، من دون الورق الخاص



صورة عن التشريح توضح مابلغه المسلمون من تطور في الطب

المطلوب للف التبغ وتدخينه، وفتش طويلاً، ولكن لم يكن لديه سوى ورق كتابه المخطوط الذي ألفه، ويمثل حصيلة جهد سنوات من عمره، وهو النسخة الوحيدة لديه، وحار في أمره.. إذا كان لابد من الموت القريب فما هو الأفضل بالنسبة إليه تدخين السجائر أم ترك الكتاب لمن بعده، وهكذا بدأ بالتدخين مستخدمًا ورق كتابه المخطوط حتى أتى عليه كله...

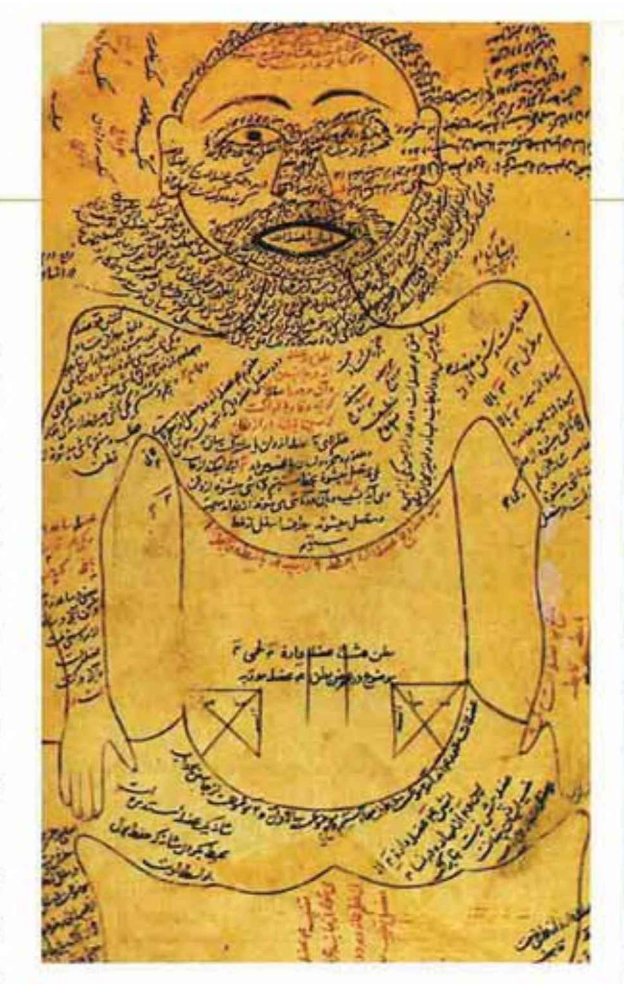
هذه المرارة الشائعة عبر عنها أبو علي البصير الذي عاش في النصف الأول من القرن الثالث الهجري، فقد كان واقفًا بباب الجوسق، وكانت المواكب تمر أمامه فيسأل أصحابها فيقال: هذا فلان التركي، وهذا فلان الخزري، وهذا فلان الفرغاني، وهذا فلان الديلمي، ولا يذكر له أحد من العرب المذكورين، ولا من أبناء المهاجرين والأنصار، فيقول: يا بني النعمة، اصبروا لهم كما صبروا لكم.

هموم تراثية

وفي منحى آخر يتعلق بالفجوات العلمية والقراءة الخاطئة، يبرز تساؤل يشكل تحديًا حقيقيًا يتعلق بالتأصيل الجديد للحقول المعرفية في التراث العربي، فقد درج المؤرخون على تقسيم فترات التاريخ العربي إلى أدوار ضعف وقوة، متناوبة ومتكررة.

ودأب جمهرة من الباحثين على تقويم المؤلفات والمصادر التراثية بحسب هذا الترتيب الزمني المصطنع الذي تثار حوله أكثر من علامة استفهام، فوصف بعض الفترات التاريخية بالضعف العلمي لا يتسم بالدقة أبدًا، فالأحكام تطلق جزافًا. أما إما اعتمادًا على دعاوى بعض المستشرقين، وإما لدوافع سطحية ضيقة مجال الرؤية فيها خطان متوازيان محددان ليس غير، وبإسقاط معاصر خاطئ لواقع قديم غني، أن أي فترة تاريخية في تراثنا العلمي، تتعلق بنا وبذواتنا، يجب ألاّ نتردد في دراستها بشكل موسع ومعمق ونستخرج منها الأحكام والنتائج المطلوبة بدلاً من القفز الآلي وإصدار الأحكام المسبقة.

فعلى سبيل المثال يعدّ بعضهم أن طلقات المدافع الفرنسية أواخر القرن السابع عشر كانت دافعًا ليقظة عربية، ويعتقدون أنها نقطة الانطلاق الأساسية في كل



صورة أخرى عن التشريح

الميادين، وهم بذلك يريدون إثبات الفضل لجيش نابليون في بداية (عصر علمي جديد) بدأ في أوائل القرن الثامن عشر يعبر عنه (بالنهضة العربية) بدأ وانتشر من مصر إلى باقي البلاد العربية، وبشكل خاص في بلاد الشام التي كانت تصنف حسب هذا الاتجاه بعيدة عن **كل تماس علمي مع الغرب، وتأسيسًا على ما ورد، عُدّ أن تأسيس المدرسة الطبية في أبي زعبل عام ١٨٢٧م بإشراف الفرنسي كلوت بك (١٧٩٣ . ١٨٦٨م) هو بداية لعصر علمي جديد، وأن أول كتاب طبي علمي هو كتاب «القول الصريح في علم التشريح» تأليف الفرنسي بايل وترجمة يوحنا عنحوري والمطبوع في بولاق عام ١٨٣٢م، ولكن الأبحاث الحديثة بدأت تكشف بعض النواقص في هذا الشأن، وأظهرت أن الطبيب الحلبي صالح بن السلوم المتوفى عام (١٦٧٠م) سبق تلك الترجمات بفترة** طويلة إذ قام في النصف الأول من القرن السابع الميلادي بدراسة معظم أفكار أحد أعلام مؤسسي النهضة الأوربية وتلخيصها وترجمتها، وهو باراسيلز المتوفى (١٥٤١م) عن طريق كتابيه «الطب الكيميائي الجديد» و«الكيمياء الملكية». وهكذا كان لابن السلوم الحلبي الأسبقية في نقل التيارات والنظريات الطبية التي برزت منذ القرن السادس عشر للميلاد إلى اللغة العربية في مؤلفاته، وكان واسع الاطلاع على تلك التيارات الطبية الجديدة، بالإضافة إلى معرفته بنظريات الطب التقليدي.

هذه الدراسات الموثقة والمعمقة تظهر بشكل عفوي غير منظم، ولكنها تساهم في تغيير كثير من المفاهيم والنظريات التي نستظل ونتفيأ بظلها ونرددها ونعدّها من المسلمات والبديهيات، ولكن ذلك لا يكفي، فكيف يساهم التراث العلمي العربي في (إعادة كتابة التاريخ) هذه الدعوة القديمة الجديدة التي يتمنى الجميع تحقيقها دون أن يتصدى لها أحد.

لقد أدرك أجدادنا أن العلوم ليست مقصورة على حضارة دون سواها أو شعب دون آخر أو أمة دون أخرى، وعرفوا حقيقة غالية هي أن توالي الزمن وحده هو الذي يحمل بذور التراكم العلمي مع مراعاة الظروف المعرفية والأدوات العلمية المتوافرة في كل زمن، فقد عرف **الجغرافيون العرب القدامى أوربا بأجمعها، وكتبوا عنها باستثناء أقصى شمالها وعرفوا النصف الجنوبي من آسيا، كما عرفوا إفريقية الشمالية وساحل إفريقية الشرقي، وتركوا وصفًا مفصلاً لجميع البلدان، من إسبانيا غربًا إلى مصب السند شرقًا مع وصف دقيق للأماكن المزروعة وأماكن وجود المعادن، وجذب اهتمامهم الجغرافيا الطبيعية والحياة الاجتماعية والصناعة والزراعة واللغة والتعاليم الدينية، ولم تقتصر معرفتهم على بلاد الإسلام وحدها، بل تجاوزت بصورة ملحوظة**

للعرب تراث فني هائل يعكس ثراء حضارتهم

حدود العالم، كما عرفه اليونان، وكما يؤكد المستشرق الروسي (كراتشوفسكي) أن البحث العلمي أثبت أهمية المعلومات التي جمعوها حتى عن بلاد نائية مثل أرخبيل الملايو وجنوب أوربا.

شمولية النظرة

إن البحث التراثي يتطلب نظرة إنسانية شاملة تعلو الجميع ولا تترفع عنهم. والمطلوب أن نتعلم ونعتبر من أخطاء السابقين وهفواتهم، وليس من الضروري أن نبني حداثتنا بإنقاص جهود السابقين وتسفيهها. وعدم وجود أقسام علمية متخصصة في تاريخ العلوم وفلسفتها في المراحل الجامعية الأولى في مختلف الجامعات العربية أدى إلى حالة ضبابية معرفية في إدراك مدى أهمية التراث العربي، وغني



عن البيان أن الحصول على شهادة جامعية علمية متخصصة في أحد الفروع العلمية على اختلافها لا يؤهل حاملها للتعامل الصحيح مع التراث وقضاياه المتشعبة، فالأمر يتطلب وعيًا تراثيًا حقيقيًا تراكميًا لا يمكن إدراكه من خلال الحصول على صور تذكارية وتبادل الأحاديث الجانبية في الندوات والمؤتمرات.

إن الإشكالية الحقيقية تتعلق بجملة قضايا متفرعة أبرزها: مفهوم التراث العلمي العربي والموضوعات والحقول المعرفية التي يغطيها ويتعرض لها، والمنهجية العلمية الصحيحة في البحث التراثي، أو التوازن الدقيق بين باحث يحيا في الألفية الثالثة ويحاول استكناه عقول مجموعة من الأفراد عاشوا في أوقات بعيدة مختلفة وكشف علومهم وأفكارهم بموضوعية وحياد، ولابد من التصريح بأن الباحث التراثي، قد لا يتبنى أو يدافع عن بعض الآراء والموضوعات التي يتناولها، ولكن الوصول إلى الحقيقة يقتضي العرض المحايد المتوازن والمتكامل.

ومن أكبر الصعوبات التي تواجهنا، أمام التراث العلمي العربي بعموميته وشموليته، وبمقدار ما نتمكن من استكشافه، تكون الفرصة متاحة للوصول إلى رؤية اكثر صوابًا، ومن ثم نحن مطالبون بالبحث في كل ذلك الكم الضخم من المصادر الموروثة والمراجع والمخطوطات باحثين عن أوجه النشاط العلمي العربي، وأن نكون جزءًا من محاولة اكتشاف كيف كان يفكر (السابق) وطريقة تفكيره ومنهجيته، ومن ثم الانطلاق نحو رحاب أوسع حتى نصل إلى نتائج محددة، ولكن بعض الباحثين كما نصادفهم يتأرجحون بين تيار وأخر دون هدى، كحاطب ليل يحمل كل ما يصادفه ويتخبط بين شجرة وشجيرات.

وهذا يعكس بجلاء صورة عن تبديد جهود مضنية لتيار من الباحثين، لمجرد انطلاقهم في نبش التراث العربي وأخباره، والخروج بنتائج تعوزها الموضوعية والدقة العلمية، من مواقع رد الفعل الموجه، إما إلى الأخرين المتجنين على الحضارة العربية، وإما إلى المشككين في أصالة التراث العلمي العربي، معتقدين أنهم بذلك يسدون خدمة جليلة لعروبتهم، وما هم بفاعلين. إذ ليس في الحضارة العربية الإسلامية، ولا في العرب والمسلمين، البحث التراثي على أسس متداعية عمادها تجريد الانجاز العلمي من سياقه، والتاريخي من أنساقه والخلط بينهما.

إن التراث العلمي العربي يمكن أن يساهم إلى حد كبير في حوار الحضارات بين الشرق والغرب، ويؤدي دورًا في تقريب وجهات النظر المختلفة والمتنافرة، فهو ثمرة احتكاك عدة ثقافات وحضارات وتلاقحها، استطاع أجدادنا ببراعة صياغتها وإغنائها، فأصبحت نسيجًا متفردًا ليس مقطوع الجذور، ولكنه تراث حضاري مهم ومتشعب لا يستغنى عنه في مسيرة الحضارة والمدنية عبر التاريخ.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الحِكْمَةَ أن اشْكُر للَّه، ومن يَشْكُر فإنما يَشْكُر لنَفْسِه، ومَنْ كَفَرَ فإنَّ اللَّه غنيٌّ حَميدٌ﴾. لقمان:١٢.

المراجع

١. تاريخ الأدب الجغرافي العربي. اغناطيوس كراتشكوفسكي نقله عن الروسية: صلاح الدين عثمان هاشم، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط٢، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م.

٢. موسوعة تاريخ العلوم العربية. إشراف رشدي راشد، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٧م.





فن الرسم الع



ألبرت سكيرا
ترجمة: فاضل كمال الدين
بابل ـ العراق

سيتمثل ردّ فعْل الكثير من قارئي هذه المقالة بتوجيههم السؤال الآتي: "هل هناك حقًّا وجود لفن رسم عربي؟ وإذا كان هناك وجود لمثل هذا الفن. فما خصائصه؟ وحتى عندما يتيسر للقارئ الاطلاع على الرسوم وتضاءل شكّه بوجود هذا الفن. فإنه سيبقى مع ذلك في حيرة من الطبيعة الحقيقية لفن الرسم العربي. ولذلك يجب علينا توضيح المقصود بعبارة "فن الرسم العربي".

من العربي؟

أولاً: ما المقصود هنا، في هذه المقالة، بكلمة «عربي»؟ الجواب هو أن لهذه الكلمة تاريخًا طويلاً، فقد ظهرت أول مرة في كتابة منقوشة يعود تاريخها إلى عام ٨٥٣م قبل الميلاد. وهي كتابة يتحدث فيها الملك الأشوري «شالما نصر الثالث» عن أحد المتمردين ويسميه «العربي» الذي ألحق الملك الأشوري الهزيمة به في إحدى الحملات. ومنذ ذلك الحين انتشر استخدام هذه الكلمة، غير أن دلالات هذه الكلمة أخذت تتغير من وقت إلى آخر بحيث إنها صارت مكتنفة بالغموض. وعلى سبيل المثال نذكر أن الكلمة كانت تشير (ومازالت وإلى درجة ما) إلى «البدو» الرُحَّل في الصحراء، وذلك مقارنةً لهم بالسكان الدائمي الإقامة في أماكن معينة. وفي أحيان أخرى تشير كلمة «العربي» إلى القاطنين في شبه الجزيرة العربية وبعض المناطق المحيطة بها. وفي الوقت الحاضر تشير كلمة العربي إلى مجموعة شعوب في الأقسام الجنوبية الغربية من آسيا وشمال إفريقية، وهي شعوب ناطقة باللغة العربية.

ولكننا لن نستخدم، في هذه المقالة، أيّ معنى من هذه المعاني التي ذكرناها، وإنما سوف نستخدم كلمة «العربي» هنا بمعناها الأوسع لتشير إلى الحضارة العالمية لتلك الأمة التي يعود أصلها إلى دين العرب الجديد، الدين الإسلامي، الذي كان قد أصبح قوةً عسكرية وسياسية في شبه الجزيرة العربية، هي قوة أخذت تتماسك بفعل اللغة العربية التي أصبحت لغة العبادة الإلهية والإدارة والعلم والشعر.

وعلى الرغم من هذه المساهمات العربية، حظيتّ حضارةُ ذلك العالم الواسع بتطوير كبير بسبب القوة الفكرية والمهارة الفنية اللتين كان يمتلكهما رجال من أصول عِرقية أخرى مثل الفرس، والمصريين، والبربر، والأتراك الذين كان معظمهم من المسلمين.

ولم تكن الأهمية الأولى للرابطة العِرقية في تلك الأقوام، وإنما كانت هناك مشاعر قوية تجمع بين المسلمين في تلك العصور الوسطى. وكان هناك شعور قويّ لدى تلك الأقوام المختلفة بانتمائها إلى حضارة عربية مقدَّرَة من السماء. وكانت اللغة العربية ـ لغة الدين والعلم ـ أهم وسيلة للتماسك والالتحام بين تلك الأقوام والأجناس.

ينصبّ الاهتمام الأول، في هذه المقالة، على فنّ الرسم الذي كان أحد نتاجات ذلك المصهَر الضخم الذي انصهرت فيه الأشكال الفنية السابقة للإسلام وأشكال

الفن اللاحقة، ثم تبلورت من جديد لتكوين أساليب فنية جديدة ذات خصائص معينة ومميزة. وكانت تلك الإبداعات التصويرية ذات صفة عربية خالصة في بداية الأمر وبالمعنى الضيّق لهذه الكلمة، ولكن سرعان ما أصبحت تلك الإبداعات التصويرية جزءًا من إنجازات حضارة كثيرة اللغات ومتعددة الجنسيات. ثم جرى استخدام الأساليب الفنية المختلفة بطرائق شديدة التباين من قبل الغالبية العظمى من المسلمين. غير أن تلك الأساليب كانت تتصف بدرجة كافية من الديناميّة لتؤثر في فنون أديان أخرى كانت تعيش تحت «خيمة الإسلام».

وبعد سقوط الخلافة العباسية في عام ١٢٥٨م، استمرت تلك الأساليب الفنية في تأثيرها الخلاّق في فنون الدول الأخرى في الأقطار الناطقة باللغة العربية، مثل: مصر، ثم بعد ذلك في أثناء حكم الأتراك (من أواخر القرن الثالث عشر إلى القرن الثامن عشر). وأدّت تلك الأساليب الفنية أيضًا دورًا كبيرًا في الفن الفارسي في القرنين الثالث عشر والرابع عشر. غير أن قلب ذلك العالم الفني كان هو الأقطار الناطقة باللغة العربية.

ويمكن الافتراض هنا بأنه لم تسنح الفرصة أبدًا للأساليب الفنية الإسلامية غير الفارسية لكي تزدهر ازدهارًا خلاّقًا في بلاد فارس وفي أجزاء أخرى من المناطق الشرقية من الخلافة. ويعود سبب ذلك إلى أنّ التقاليد التصويرية التي تطورت في القصور الساسانيّة (من القرن الثالث إلى القرن السابع) كانت شديدة التخندق والانعزال. بالإضافة إلى أنّ المشاعر المعادية للعرب قد حالت دون ظهور مناخ فنّي يمكن أن يؤدي إلى مزيد من التطوير المثمر لأساليب فنية عربية، وهكذا، فالمساحة التي سنتحدث عنها في هذه المقالة تتكوّن وبالدرجة الأولى من العراق، وسورية الكبرى، ومصر، وهي تضم أيضًا وبالدرجة الثانية مناطق أخرى واقعة بين إسبانيا ومراكش، في القسم الغربي، وهضبة بلاد

فارس في القسم الشرقي. وتمتد الفترة الزمنية ذات العلاقة من اواخر القرن السابع إلى القرن الرابع عشر.

وأما عبارة «فنّ الرسم»، فسوف نستخدمها هنا بأوسع معنى لها، أي أنها لا تقتصر على الأعمال الجُصّيّة والرسوم على المواد الشائعة الاستخدام، مثل: الخشب، والورق، وإنما هي تتعدى ذلك لتشمل الزجاج، وأعمال الفسيفساء الحجرية والفخّار الذي يحمل صورًا.

ومن الواضح أنّ المجال الأوسع الذي كان متاحًا للرسام هو أن يرسم أشكالاً هندسية أو نباتات وأزهارًا أو أن يهتم بالخطّ، وهو أمر يميّز الفنّ الإسلامي حقًا.

مراحل مبكرة من الفنون التصويرية

(المعالم الأموية: ٦٩١ - ٧٥٠م)

مازالت أقدم الأعمال التصويرية التي ابتدعتها الحضارة الإسلامية محفوظة على الجدران الداخلية من «قبّة الصخرة» في «القدس» والتي هي تمثل أول المباني الكبيرة التي تمّ تشييدها في عام ٦٩١م بأمر من الخليفة عبدالملك (٦٨٥ - ٧٠٥م). وتتألف قبة الصخرة من قبة كبيرة ومرتفعة واثنين من المماشي اللذين يحيطان ببروز صخري.

وتبيّن أعمالُ الموزاييك الزجاجية التي تغطي الأقواس في المماشي وتلك الأعمال الزجاجية، الموجودة في القبة، عدة أنواع من صور النباتات المتمثلة بأشجار وأوراق أشجار وثمار. ويشيع هنا أيضًا استخدام أشكال نباتية متكررة تظهر فيها أيضًا صور لمزهريّات وزخرفة قرنية الهيئة. ويشير هذان التصميمان وكذلك الاستخدام الواسع جدًا لصور ترمز إلى نبات «الأقنثا» الشائك وذي الأوراق الكثيرة والكبيرة إشارة واضحة إلى المضيّ في استخدام تصاميم فنية كلاسيكية، وهو أمر يجب ألاّ يثير الاستغراب بالنظر إلى أن القدس كانت واقعة تحت الاحتلال البيزنطي قبل ذلك بخمسين سنة فقط. ومن الأمور غير الاعتيادية ذلك الاستخدام الواسع جدًا لأشكال عمودية من النباتات المتراصة التي تشيع فيها أزهار غريبة الشكل وذات حجم كبير جدًا. وهذا نوع من التصاميم كان قد عمل على تطويره النقاشون على الحجر وصانعو الفضة في بلاد فارس في عهد الساسانيين. وكانت التصاميم الفارسية قد ظهرت في الفن السوري في الفترة السابقة للإسلام غير أن تلك التصاميم لم تكن في مثل هذه الوفرة ويمثل هذه الأشكال غير الكلاسيكية، وهناك خاصية أخرى مميزة لتلك التصاميم وهي خاصية كثرة استخدام أشكال المجوهرات المصنوعة من اللؤلؤ والأحجار الكريمة وإضافة هذه الأشكال إلى صور النباتات. وهناك أيضًا التيجان البيزنطية والفارسية ذات الأنواع المختلفة، والأكاليل، والقلائد، والأعمال الزينية المعلقة في جوانب الأروقة المقابلة للصخرة المركزية في قبة الصخرة.

وفيما يتعلق بأعمال الفسيفساء، ممّا لاشكّ فيه أن هذه الأعمال هي إنجاز فنّي كبير، ولها تأثير في النفوس، وكان الغرض منها يتجاوز مجرّد الزخرفة؛ لأنها كانت تلبي متطلبات دينية وجمالية من التي كان الخليفة يريدها، وكان المقصود منها اجتذاب الناس وهديهم إلى الدين الإسلامي. ويبيّن أمرُ استخدام أشكال نباتية بحتة مع استثناء رسوم الأشخاص تطابقًا مع الاتجاه الإسلامي الذي كان قد ظهر إلى الوجود حديثًا.

مباهج حياة القصور

عند اقتراب نهاية الفترة الأموية، تعاظم الضغط على السلالة الأموية من قبل العناصر المتمردة، وتجمّعت تحت قيادة أحد ابناء العبّاس عمّ النبي صلى الله عليه وسلم.

وكان أحد المساعي المبكرة للسلالة العباسية الجديدة هو نقل العاصمة إلى القسم الشرقي، وهكذا

تمّ في عام ٧٦٢م وعلى نهر دجلة، تأسيس «مدينة السلام» التي عُرفت باسم بغداد على غرار اسم قرية سابقة كانت تقوم في المكان نفسه. وأتى الدعم الرئيس للسلالة العباسية من الشرق.

في تلك الفترة، تعرَّضَ تماسك الخلافة إلى صدوع عميقة، ففي عام ٧٥٦م انسحبت إسبانيا من الحكومة المركزية. ثم استقلت، شبه استقلال، عدة أقاليم هي مراكش، وتونس، وبلاد فارس الشرقية، بحيث إن الخليفة كان لا يُعدّ أكثر من رئيس اسميّ لها. وأهم ارتداد كان ارتداد «مصر» التي حكمتها، من عام ٩٦٩م إلى عام ١١٧١م، سلالة منشقة من «تونس» ومعارضة للخلفاء العباسيين، وأخذ يتعاظم تأثر الحكّام العباسيين بوزرائهم. وفي وقتٍ لاحق وصلت السلطة الفعلية إلى أيدي قادة حرّاس القصر الأتراك.

وفي أواسط القرن العاشر، لم يكن الخليفة أكثر من رئيس صُوَريٍّ فاقدٍ للسيطرة الكاملة حتى على العراق.

وعلى الرغم من التفكك السياسي في تلك الفترة، ازدهر الأدب وازدهرت الفنون، وكانت تلك الفترة من فترات السلم ولوْ أنها اتصفت بعدم الاستقرار الاجتماعي، ومن الطبيعي أن تكون موضوعات الرسوم المعلقة في القصور، خلال تلك الفترة الأولى من حكم العباسيين، مختلفة عن تلك التي كانت سائدة في أثناء حكم الأمويين. ويبدو أن من بين الموضوعات الرئيسة، وأهمها كانت تلك الموضوعات التي تلبي متطلبات حياة القصور في تلك الفترة. وعُثِرَ على بعض تلك الرسوم التي من أهمها تلك التي تمّ اكتشافها في قصر«الجوْسِق» وخاصةً في القسم المخصص للحريم منه. وهناك لوحة متقنة ومحتوية على رسم لنباتات «الأقنثا» الشائكة وعددٍ من الحيوانات وصور لأشكال آدمية ما هي سوى نسخة لاحقة للوْحة رومانية جميلة سابقة، ولكنّ معظم الرسوم في تلك الفترة تعكس طرازًا في الرسم مغايرًا للطراز «الهليني الشرقي» هو الطراز الفارسي الساساني. والصفة الساسانية في تلك الرسوم تذكُر المرءَ بقصة وَرَدَت في كتاب «ألف ليلة وليلة»، وهي تشير إلى أنّ الرسوم قد نُفِّذَتْ في سُرادق الحديقة وبالأسلوب الفارسي ومن قبل عدد من الرسامين الفارسيين كان الخليفة قد استدعاهم لهذا الغرض.

وهناك مثال نموذجي عن الأسلوب المرتبط بمدينة «سامراء» هو صورة لفتاتين ترقصان وتحملان آنيتين بأيديهما المتقاطعة وتسكبان من وراء رأسها شرابًا في حاويات. وكلّ ما على هاتين الراقصتين من أدوات زينة ولآلئ وألبسة فاخرة يدل دِلالة واضحة على أنهما تعودان إلى قصر الخليفة.

وهناك أيضًا صورة لمشهد من مشاهد الصيد. وبصفته نوعًا آخر من أنواع التسلية، تبيِّن فتاة تقتل غزالاً في أثناء عملية الصيد.

ازدهار فنّ الكُتُب

ابتداءً من العقد السابع من القرن الثاني عشر، أخذ يظهر إلى الوجود فن جديد ومزدهر فيما يتعلق بإعداد اللوحات الفنية. وتم التعبير عن ذلك الفن بعدة وسائل هي: أعمال معدنية، وأوان خزفية، وأعمال قرميدية، وأعمال جصّية. وما إن حلّت نهاية القرن الثاني عشر حتى اكتسب هذا التطور الجديد قوة دافعة جديدة، انعكست في مجال إعداد المخطوطات الحاوية أجمل المنمنمات التي كانت قد ظهرت في النصف الأول من القرن الثالث عشر.

وكان الشعراء العرب الأوائل يكثرون من ذكر الحيوانات في قصائدهم جاعلين منها مادة لأدبهم، ويكشف وصفهم للحيوانات، وخاصة الخيول والجمال، عن قوة ملاحظتهم. ولذلك ليس من الغريب أنْ يتحدّث عن الحيوانات وباللغة العربية عملٌ من أرقى الأعمال



كتاب «كليلة ودمنة»: «الأسد و«دمنة»، ابن اوى، سورية، عام (١٢٠٠ - ١٢٢٠م)

الأدبيـة أيّ كتـاب «كليلة ودمنة»، وهـذا الكتـاب كـان هو النسـخـة العربيـة من مـجـموعـة حكايات هندية قـديمة تضم قصصًا عن الحيوانات وتنسب إلى أحد الحكماء البرهميين هو «بيديا» ولكن الذي قام بالترجمة إلى اللغة العربية، وهو ابن المقفع المتوفى في عام ٧٥٩م، لم يترجم ترجمةً مباشرة من النصّ الأصلي للحكايات المكتوبة باللغـة السنسكريتيـة وإنما اعتـمـد في التـرجـمـة على نسخة فارسية يعود تاريخها إلى القرن السادس. وقد ذكر «ابن المقفع» في المقدمة أنه قد استخدم حيوانات في الحكايات لكي يحرّك اهتمام الملوك بالإضافة إلى اهتـمـام الشـبـاب وعـامـة الناس؛ لأن كـتـاب الحكايات الهندي الأصلي كان يتحدث في الواقع، عن أمراء. وقد قيل أيضًا: إن رسومًا بألوان مختلفة كانت قد أضيفت إلى الكتاب لغرض زيادة استمتاع القارئ ومن أجل زيادة تأثير التعاليم الأخلاقية التي تتضمنها تلك القصص.

وأمـا الطراز الإيقـوني في الرسم، فـإنه يظهـر في

المجلدات العشرين من «كتاب الأغاني» لمؤلفه أبي الفرج الأصفهاني الذي انتهى العمل فيه عام ١٢١٩م بعد أربع سنوات من الجهد.

تعاقُب التأثيرات الخارجية في فنّ الرسم العربي

خلال الفترة الأموية، كان العنصران الرئيسان في فنّ الرسم العربي هما العنصر الكلاسيكي والعنصر الفارسي، وكان هذان العنصران موجودين جنبًا إلى جنب في تلك الفترة، وكانا مجردين من الصبغة الإسلامية. ولكن في الفترة العباسية اللاحقة، أصبح العنصر الفارسي في فنّ الرسم العربي هو العنصر السائد، وخلال الازدهار الجديد في هذا الفن الذي كان قد ابتدأ في نهاية القرن الثاني عشر، استرجع العنصر الكلاسيكي سيادته بسبب التأثير البيزنطي القوي في هذه المرة. وبعد التطوّر الذي حصل وعلى امتداد ستة قرون، أصبح العالم العربي قادرًا على تحقيق تكامل بين التأثيرات «الكلاسيكية» والبيزنطية، من جهة، والأساليب الخاصة به، من جهة أخرى. وقد تحقق هذا التكامل عن طريق احتفاظ فن الرسم العربي بالأنماط والأساليب البيزنطية والقيام، في الوقت نفسه، بتكييف ذلك على طريقة حياة العرب والمسلمين. وهذه العملية تتضح جدًا في الكتابات والآداب الإغريقية المترجمة إلى اللغة العربية التي توافرت بموجبها مخطوطات بيزنطية مزخرفة، وتحمل أشكالاً لأشخاص. وممّا يوضّح هذه المسألة التحليل لمخطوط سقراط الذي يعود تاريخه إلى عام (١٢٢٩م) والموجود في متحف توبكابو سراي في إستانبول. وهناك فقرة في هذا المخطوط ضمن إطار زخرفي، وتشير إلى أن المخطوط كان قد كتب لأغراض شمس الدين أبي الفضائل محمد الذي حكم، وكما هو واضح، القسم الشمالي من «بلاد ما بين النهرين» وأجزاءً من الأناضول وسورية أيضًا.

والصورة الاستهلالية في المخطوط المذكور هي صورة رائعة ومزدوجة. وكلُّ جزء من جزأيها يبيِّن رسومًا لأشخاص على أرضية ذهبية، وفي إطار من أقواس. ويشاهد في الصورة الظاهرة في الجانب الأيمن شخص جالس، هو سقراط كما هو واضح، وهو يخاطب الشخصين الظاهرين في الصفحة المقابلة. وهذان الشخصان يحملان كتبًا.

وهناك عدة مخطوطات في تلك الفترة تجتمع فيها خصائص فارسية وبيزنطية وعربية. وأحيانًا تظهر هذه الخصائص بصورة منفصلة وفي منمنمات مختلفة. ولكن هناك أيضًا رسوم يمتزج فيها عنصران او اكثر من هذه العناصر، امتزاجًا دالاً على البراعة.

وفي وقت مبكّر يعود إلى القرن السابع، كان المزخرفون البيزنطيون للمخطوطات يضيفون أحيانًا أشكالاً بشرية في رسومهم الاعتيادية التي تصور أعشابًا طبية لغرض الإشارة إلى نوع المرض الذي كان ينفع في علاجه نوع معين من الأعشاب أو لغرض توضيح طريقة جمْع ذلك العشب وتحضير دواء منه. وكان الظهور الأول لأشكال أولئك الأشخاص التوضيحيين في النسخة العربية من مخطوط سقراط قد تحقق في مجلد يعود تاريخ كتابته إلى عام ١٠٨٣م وكان يعتمد على نسخة يعود تاريخها إلى عام ٩٩٠م. وفي تلك المجلدات البيزنطية والعربية الأُولى، كانت الأشكال البشرية لم تزل صغيرة جدًا بالقياس إلى النباتات وكانت تُوضع في مواضع غير ملائمة.

إنجازات في بغداد

كان فنّ الرسم العربي قد وصل إلى كامل قدرته على التكامل بعد عام ١٢٠٠م في عاصمة الخلافة العباسية، وحقق الروعة الكاملة هناك في الربع الثاني من القرن المذكور.

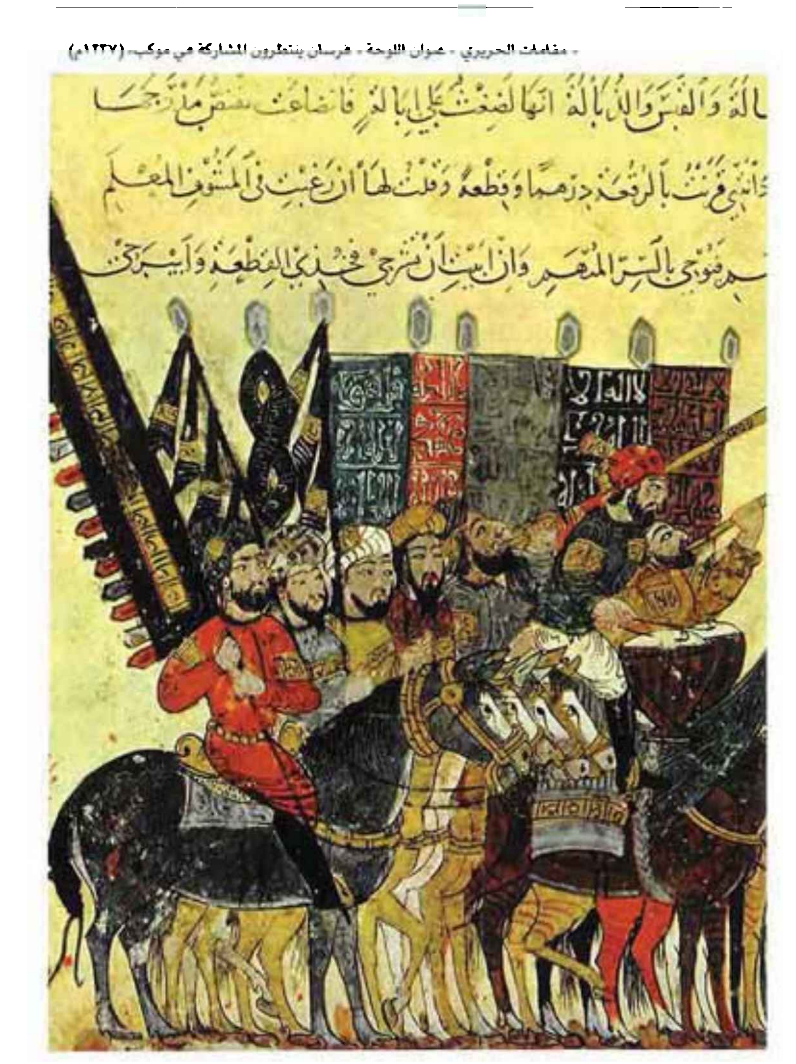
والشاهد الأول على هذا التطور الحاصل هو كتاب

عن طبّ بيطري متعلق بالخيول وهو «كتاب البيطرة» لمؤلفه أحمد بن حسين بن الأحنف، وتدل المعلومات الواردة في هذا المخطوط، الموجود في المكتبة الوطنية في القاهرة، على أن هذا المخطوط كان قد كتب في بغداد في عام ١٢٠٩م. ونحن نستطيع القول بأن هذا المخطوط العربي، مع المنمنمات الواردة فيه، كان قد اعتمد على قوالب فنية بيزنطية.

وتتمثل مرحلة اكتمال النضج بمنمنمة مزدوجة (منمنمتين) في الصفحتين الاستهلاليتين من مخطوط آخر هو «رسائل إخوان الصفا» الذي هو موسوعة يعود تاريخها إلى القرن العاشر. وتدل المعلومات الواردة في هذا المخطوط على أنه كان قد كتب في بغداد في عام ١٢٨٧م، وهكذا تدلّ هذه المعلومات على أن المخطوط المذكور يعود تاريخ وضعه إلى ما بعد الاحتلال المغولي الكارثي للعاصمة العباسية في عام ١٢٥٨م. ومع ذلك فالمخطوط لا يعكس أي خصائص جديدة أو مستوردة من الشرق الأقصى والتي هي خصائص أصبحت شديدة الوضوح في وقتٍ لاحق. وعلى الرغم من أن المنمنمتين المذكورتين كان تاريخ رسمهما يعود إلى زمن متأخر نسبيًا من القرن الثالث عشر، غير أنهما تمثلان الأسلوب البغدادي البحت في ذروته وفي جانبه الديناميّ.

وفي حين أن القسم الأعلى من الجانب الأيسر يذكر لنا عنوان الكتاب وهو «رسائل إخوان الصفا» يبيّن لنا الجانب الأيمن أن هناك خمسة من المؤلفين للمخطوط هم: أبو سليمان محمد بن مسار البسْطي الذي يسمى المقدسيّ أيضًا، وأبو الحسن علي بن زهران الزنجاني، وأبو أحمد النهراجوري، والعوفي، وزياد بن رفاعة.

وتمثل صورةُ هؤلاء المؤلفين إبداعًا ذا قيمة كلاسيكية كبيرة، وقد شاع استخدام هذه الطريقة في الزخارف على ورق البردي.



• مقامات الحريري - عنوان اللوحة - فرسان ينتظرون المشاركة في موكب، (١٢٣٧م)

مخطوطات "مقامات الحريري" العظيمة

وصل فنّ الرسم العربي إلى ذروته في المجهود المتنوع والخالد والمنعكس في الرسوم الواردة في «المقامات» الموضوعة في بغداد، وبما أن الفصول الخمسين من «مقامات الحريري» تجري أحداثها في عدة أماكن، فإنّ الرسوم الواردة منها تعطينا فيها لا يجاريه فهم لواقع الحياة في العالم العربي وخاصةً في العراق: لأن المقامات كانت قد وُضعت في العراق. ونحن نشاهد فيها حدثًا يحدث في جامع وأحداثًا أخرى في مكتبة أو في سوق عامة أو في مقبرة، أو في مخيّم في الصحراء، أو

في قصر أحد الحكّام. وبسبب الواقعية التي تتصف بها تلك الرسوم، فهي تكشف عن ملامح كثيرة من حياة الناس في القرون الوسطى.

ومن بين النسخ المختلفة من «مقامات الحريري»، اشتهرت النسخة الموجودة في المكتبة الوطنية في باريس لأن عددًا من الرسوم الواردة فيها كانت قد نُشرت ومعظم المنمنمات فيها كانت قد عُرضت في معرض أُقيم في باريس في عام (١٩٣٨م). وهذه النسخة من المخطوط، وما فيها من صور عددها تسع وتسعون صورة، كانت قد أُعدت وُزودت بالرسوم في عام (١٢٣٧م) من قبل «يحيى بن محمود الواسطي» الذي يُسمى أيضًا وللسهولة «الواسطي» نسبة إلى مدينة «واسط» في جنوب العراق التي كان الفنان ينتمي إليها. وأما النسخة الثانية من مخطوط «المقامات» فهي توجد في «معهد الدراسات الشرقية» في اكاديمية العلوم في «لينينغراد». ولكن هناك أجزاء في هذه النسخة لم تحظ بالمحافظة التي تستحقها وقد ضاعت منها الصفحات الإحدى عشرة الأولى، ولم يُذكر فيها تاريخ كتابتها، ولم يُنشر من منمنماتها سوى عدد قليل. ولهذه الأسباب، لم تلق هذه النسخة الاهتمام الذي تستحقه، ومع ذلك فإنّ الرسوم الواردة فيها تمتلك قوة تعبيرية عظيمة. ويقول «دين. أس. وايس»: إنه يجب اعتبار هذه النسخة الأقدم من بين النسخ المختلفة من مخطوطات «المقامات».

ومما لاشكّ فيه أن هناك نُسخًا أخرى من «المقامات» ولكنها فقدت،ومما يدل على صحة ذلك وجود نسخة أخرى مزخرفة، وتمّ اكتشافها مؤخرًا، وهي موجودة الآن حسب العنوان الآتي: (إستانبول، سليمانية، أسعد أفندي، ٢٩١٦). وكما هو الأمر في النسختين الأخريين، تحتوي نسخة «إستانبول» على الذخيرة النفيسة نفسها من الحكايات والنوعية نفسها من الرسوم.

تأثير الغزو المغولي

تتمثل نقطة الانعطاف الكبير في تاريخ الرسم العربي الإسلامي بالغزو المغولي للشرق الأدنى الذي تتوج باحتلال بغداد في عام ١٢٥٨م وقتل الخليفة العباسي الأخير. وكان ذلك الغزو كارثة لا نظير لها في تاريخ العرب. وحتى عندما لم يكن يتم تدمير المدن وقتل سكانها،

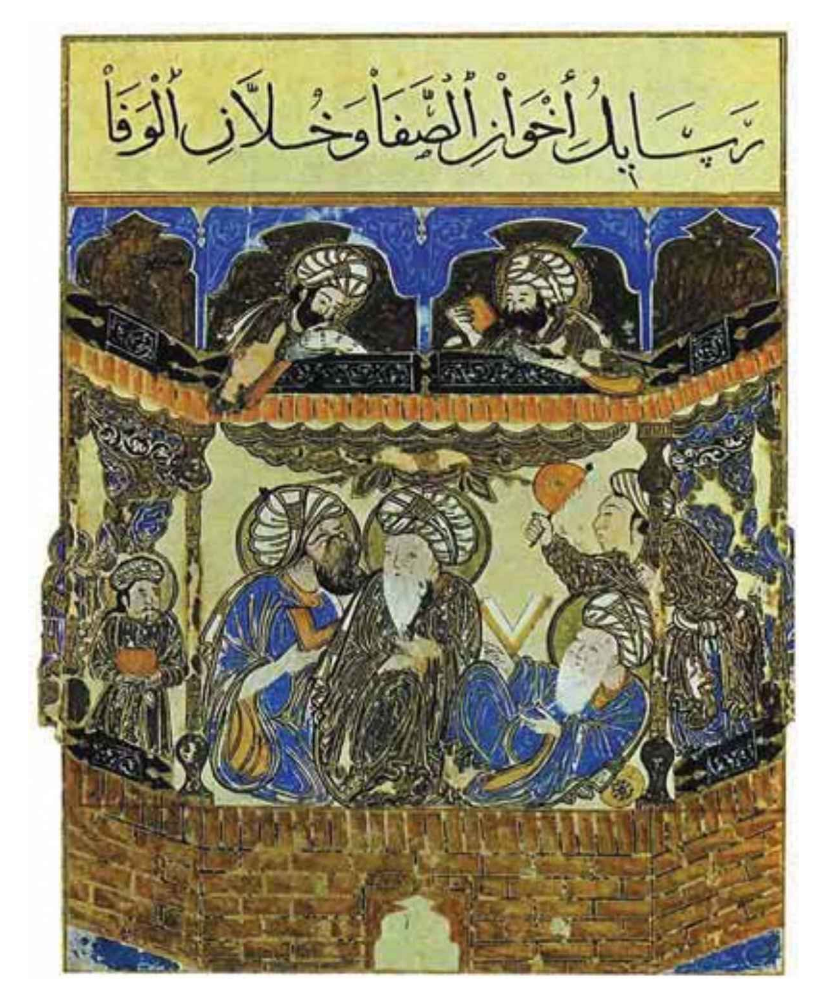


«مقامات الحريري» - «قطيع من الجمال» - المقامة الثالثة والثلاثون، بغداد، ١٢٣٧م، مرسومة من قبل «الواسطي» - محفوظة في باريس

كانت ظروف المعيشة تتغير تغيرًا كبيرًا. وقد أدت تلك الجائحة إلى تخريب المناخ الاجتماعي والاقتصادي وإلى ازدهار فنّ الرسم في المخطوطات وخاصة في مدن العراق.

وقد حصلت تغيرات كبيرة ثلاثة: أولها، هو أنّ عددًا من الفنانين وجدوا أن عليهم الهجرة إلى أماكن أكثر أمنًا وهي في الأجزاء الغربية أو الشمالية الغربية. وكان هناك فنانون آخرون هاجروا شرقًا بحثًا عن عمل في العواصم المغولية الحديثة التأسيس. وقد خلقت التغيرات الكبيرة في البيئة نوعًا آخر من التغيرات إذ إن الفنانين العاملين في ظلّ سادة جُدُد. كان يجب عليهم تكييف أنفسهم مع الظروف الجديدة وللاختلاف في الأذواق. والنوع الثالث من التغييرات هو أنه وبالنظر إلى أن الشرق الأدنى، ومن ضمنه العراق، كان جزءًا من إمبراطورية كبيرة في الشرق الأقصى، فإنّ الفنّ في الشرق الأدنى أصبح الآن خاضعًا لتأثيرات الشرق الأقصى. وقد تجاوز انتشار ملامح الفن الصيني حدود الدولة المغولية بكثير بحيث إن هذه الملامح الفنية أصبحت تشاهد أيضًا في سورية ومصر.

ويبدو أن العراق قد استمر في فنّ زخرفة



«رسائل إخوان الصفا». مؤلفون ورفقا». بغداد. عام ١٢٨٧م.

المخطوطات، ولكنّ بأساليب محدودة. وعلى الرغم من وقوعه قرنًا ونصف القرن تحت وطأة حكم المغول الذين كانوا وثنيين في البداية، ثم صاروا مسلمين بعد ذلك. والآن أصبح المركز الحقيقي للفنّ هو دولة المماليك في مصر وسورية حيث ظهر بعض أجمل أنواع زخرفة الكتب العربية. واستمرت في الظهور مع حصول تغيير فيها. وعلى الرغم من أنّ فنّ الرسم هنا لم يصل أبدًا إلى المستويات الفنية الرفيعة التي وصل إليها في النصف الأول من القرن الثالث عشر غير أن الثُلث الأخير من القرن الثالث عشر والنصف الأول من القرن الرابع عشر كانا قد شهدا انتعاشًا ضئيلاً في الفنّ.

وفيما يتعلق بتأثير الغزو المغولي في فنّ الرسم، نذكر هنا أنّ إحدى المجموعات الرابعة من المنمنمات التي يعود تاريخها إلى تلك الفترة هي مجموعة مؤلفة من إحدى عشرة صورة في بداية المخطوط المعنون «منافع الحيوان» الموضوع من قبل «ابن بختيشوع». وكان هذا المخطوط قد كتب في «مراغة» في القسم الشمالي الشرقي من بلاد فارس وبين عامي ١٢٩٤ و١٢٩٩، ولأغراض شخص معين له ذوق فنّي متميّز، ولكنه ليس من الأمراء أو من الحاملين لألقاب رسمية. والصور الواردة في الفصول الأولى هي استمرار للتقاليد العربية في الرسم خلال الفترة التي سبقت الفترة المغولية. ومقارنة بالرسوم في هذه الفصول الأولى، تحتوي بقية فصول المخطوط على أعمال عدة رسامين كانوا متأثرين، وبدرجات متباينة، بأنواع مختلفة من فنّ الرسم الصيني. ومن هذا التجاوز في الأساليب، نستطيع الافتراض بأنّ فنانين من أصول مختلفة قد التقوا في هذا المركز المغولي لينتجوا مخطوطات مزخرفة.

ومن بين تلك الجماعة من الفنانين كان هناك رسام من جنوب العراق استمر في الرسم حسب التقاليد الفنية التي كان قد تعلمها. ففي الصورة المعنونة «فيلان» نجد أنّ هناك الأرض المشوشة نفسها التي تقف عليها الحيوانات المرسومة. والأشجار والطيور نفسها التي تتكرر أشكالها في رسومات عربية أخرى وخاصة الرسوم التي مصدرها بغداد. وفي عدد من صور هذه المجموعة الأولى (الاستهلالية) يستطيع المرء أن يلاحظ وجود المجموعة نفسها في الأفكار عن الخصائص المتعلقة بحيوان معين والطريقة التلقائية نفسها في التصوير التي ميّزت مثلاً الصورة المعنونة «قطع من الجمال» الواردة في مخطوط «المقامات» المحفوظ في باريس الذي يعود تاريخه إلى عام ١٢٣٧م.



كتاب «البيطرة» لمؤلفه «احمد بن حسين بن الأحنف»، عنوان الصورة «فارسان» بغداد، عام ١٢١٠م.

تشكّل فنّ رسم المنمنمات

(فترة المماليك: ١٢٥٠ ـ ١٣٩٠م)

كانت الفترة الأخيرة التي أنتجت أسلوبًا خاصًا ومستديمًا هي فترة السلالة الأولى من الحكام المماليك في مصر وسورية والذين يُسمون «المماليك البحريين». وكانت السلالتان الحاكمتان من المماليك أو العبيد قد نالتا هذه التسمية بسبب أنّ رؤساء الدولة كان أجدادهم يعملون بصفة عبيد أجانب، ومن أصل تركي في أغلبهم ومن حرّاس الملك. وجميع أصحاب المناصب الرفيعة أو الأمراء كانوا من هؤلاء المماليك وقد تمت ترقيتهم إلى مناصبهم بسبب القدرات التي كانوا يمتلكونها. وكان التنظيم الصارم للوظائف المدنية والعسكرية يتألف من هرمية ذات مراتب ووظائف متعددة وكانت جميع شؤون الدولة متمركزة في القاهرة وفي دمشق أيضًا بالدرجة الثانية.

وهذا النظام التنظيمي ينعكس في جانبين من الفنّ في هذه الفترة. وهذا الفنّ هو فنّ شديد الصرامة في تكوينه، وقياسًا إلى سائر أشكال الفنّ الإسلامي، فهناك أشكال هندسية معقدة تغطي جدران الجوامع وقببها وهي تغطي أيضًا منابر الوعظ والأبواب والنوافذ وعددًا من الأشياء

المعدنية وأغلفة الكُتب وزخارف القرآن الكريم والسجاجيد أيضًا والجانب المهم الآخر هو أن أحد أشكال التزيين الرئيسة كان يتمثل بالغرَض الخطّي (خط اليد) لاسم السلطان أو الأمير مع ذكر جميع القابه وبالتفصيل، ومع شعار النبالة الخاص به. وهذا الاهتمام بالنظام الصارم وبالشكلية الجامدة هو الذي يفسّر عجز الرسام في فترة المماليك عن إنتاج فنّي واقعي يصور أحداث الحياة اليومية، ويحتوي على مضامين سيكولوجية ويبين العيوب الاجتماعية أيّ أنّ ذلك الفنّ لم يكن من نوع الفن الوارد في مخطوطات «المقامات» المحفوظة في «لينينغراد» و«باريس».

واقدم مثال على أسلوب الفن في زمن المماليك هو مخطوط فريد يعود تاريخه إلى عام (١٢٧٣م) وعنوانه «دعوة (مأدبة) الأطباء» الذي هو كتاب يتضمن حوارًا يهدف إلى فضح الدجّالين من الأطباء، ومؤلف الكتاب هو طبيب في بغداد ومن القرن الحادي عشر واسمه «ابن بطلان».

والمخطوط الذي يمكن وصفه بأنه مخطوط بارز، ومن مدرسة المماليك، هو مخطوط «المقامات» المكتوب في عام (١٣٣٤م) الذي هو الآن في المكتبة الوطنية في «فيينا». ويبين الصورة الاستهلالية في هذا المخطوط حاكمًا وبيده قدح وهو محاط بحاشيته. ويعكس إطارُ الصورة كلّه نمطًا زخرفيًا عربيًا ملونًا ومتقنًا. وهذا النوع من التصوير يقوم على أساس قوالب فنية فارسية يعود تاريخها إلى زمن الساسانيين. ومن النماذج المشابهة لهذا النوع هي الصورة الاستهلالية في «كتاب الأغاني» الذي يعود تاريخه إلى (١٢١٥ ـ ١٢١٩م) الموجود في إستانبول. وكذلك الصورة الاستهلالية في «كتاب الترياق» الموجود في «فيينا» حيث إن هاتين الصورتين تتضمنان حاشية متقنة وحسب أسلوب الفن العربي الذي يعود إلى مدرسة «الموصل» الفنية.

الزخارف القرآنية

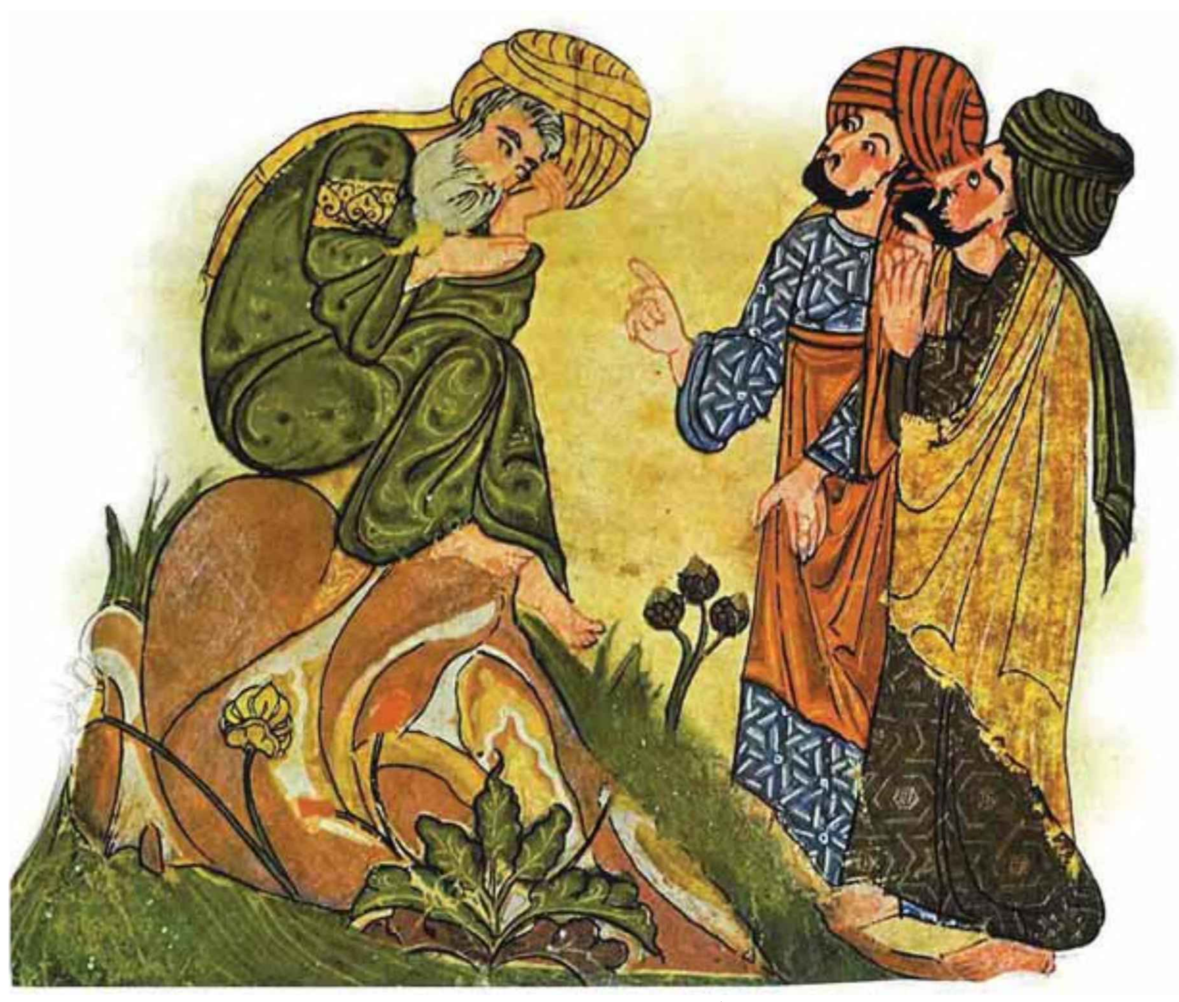
(من أواخر القرن التاسع إلى القرن الرابع عشر)

بالإضافة إلى الرسوم المصنوعة لأغراض حياة القصور وفي المراكز الحضرية، كان هناك صنف ثالث من فنّ الرسم وكان تاريخه موازيًا لتاريخ الصنفين الآخرَين. ويتمثل هذا الصنف في الفنّ بزخرفة زينية بحتة للمخطوطات وخاصة القرآن الكريم، وهو فنّ زخرفة هندسية بالدرجة الأولى وبواسطة أشكال نباتية بصفة أشكال ثانوية. ومن القرن الحادي عشر فصاعدًا، أُضيف فنّ الخط اليدوي ليكون مكملاً للتصاميم. وعلى الرغم من أن الزخرفة أصبحت نوعًا راسخًا في إضافة أعمال زينية إلى القرآن الكريم. غير أنها كانت قد جُوبهت في البداية باعتراضات من قبل رجال الدين، ولكن تلك الاعتراضات لم تؤدّ إلى إعاقة تطور فنّ الزخرفة في نهاية الأمر.

وكانت الزخارف القرآنية الأولى عبارة عن أشكال زينية تفصل بين الآيات القرآنية، وبعد ذلك ظهرت الأشكال التي تفصل بين السُوَر. ثم أُدخلت أيضًا بعد ذلك أشكال لتزيين الحواشي ثم أُدخلت بعد ذلك التقسيمات المختلفة للنصوص القرآنية الكريمة. وأخيرًا ظهرت الصفحات الاستهلالية للسور القرآنية الكريمة بزخارف كاملة مع إضافة ما يماثلها أحيانًا، وفي نهاية السُوَر.

ومن الأمثلة النموذجية على الصفحات التزيينية الاستهلالية إحدى الصفحات المحفوظة الآن في مكتبة «شستربيتي» في (دبلن). وهذه الصفحة تعكس نوعًا من تصاميم ذات اتجاه أفقي في الزخرفة، وهو نوع كثير الوجود بالقياس إلى الشكل المربع في الزخرفة أو التصميم العمودي.

ولهذا الأمر عدة أسباب منها أن المفاهيم الدينية تؤكد ضرورة أن يكون حجم المخطوطات القرآنية كبيرًا



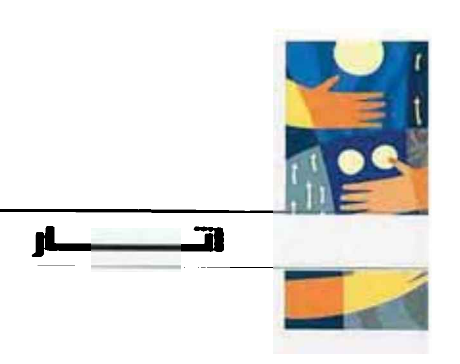
كتاب «مختار الحكم ومحاسن الكلم» لمؤلفه «المبشر» «سقراط مع طالبين». سورية. النصف الأول من القرن الثالث عشر

وأن تختلف أشكال هذه الزخرفة عن زخرفة الكتب الأخرى التي تكون زخرفتها عمودية، وكما كانت الحال في المخطوطات الرومانية القديمة.

وتتألف زخرفة الصفحة القرآنية المحفوظة في مكتبة شستربيتي في شكل مستطيل يحتوي على زخرفة مركزية مع وجود زخرفة أخرى في الحاشية. وينعكس الشكل المتشابك من الزخرفة في الصفحة الاستهلالية المحفوظة في مكتبة شستربيتي بوجود حلقات في زوايا المربعين وتقاطع أضلاعها في الأعلى وفي الأسفل.

وكثيرًا ما يكون من الصعب تعقب أصل الزخرفة في صفحة معينة من الصفحات الاستهلالية القرآنية.

ولكن من الواضح أن الصفحة القرآنية المحفوظة في مكتبة شستربيتي هي نسخة إسلامية مماثلة لصفحة الإهداء الواردة في المخطوط البيزنطي المشهور لـ سقراط الذي يعود تاريخه إلى عام ٥١٢م والمحفوظ الآن في المكتبة الوطنية في فيينا.



جـــامع ســـنان باشـ

...ا في بريزرن

محمد الأرناؤوط

عمّان – الأردن

عادة ترتبط المدن المعروفة برمز ما يميزها من غيرها حتى يصبح من الصعب فصل الرمز عن الأصل، خاصة إذا كان ذلك الرمز يرتبط بأحداث معينة تبقى في الذاكرة الجماعية. من هذا النوع يمكن اعتبار جامع سنان باشا بالنسبة إلى مدينة بريزرن ذات التاريخ المجيد والواقع العجيب.

كانت بريزرن Prizren أهم مدينة في كوسوفا، ومن أكبر المدن في البلقان خلال العهد العثماني، كما تعترف بذلك الطبعة الجديدة من «الموسوعة الإسلامية»(1) ولم تتخلّ عن موقعها إلا في عام ١٩٤٦م حين تم اختيار مدينة بريشتينا عاصمة لكوسوفا لأسباب سياسية. ومع ذلك لا تزال بريزرن تحتفظ بملامح تاريخها المجيد، إذ إنها تكاد تكون المدينة الوحيدة التي حافظت بكليتها على الطابع الشرقي/العثماني الواضح بجوامعها ومدارسها وحماماتها وسبلها وبيوتها إلخ.. ومن بين المنشآت الكثيرة التي بنيت في بريزرن خلال الحكم العثماني يبرز جامع سنان باشا بموقعه المميز وفنه المعماري وتاريخه الخاص به.

عـراقة

وتجدر الإشارة إلى أن بريزرن التي يعتقد أنها قامت قرب المدينة الرومانية المجاورة ثراندا Theranda قد ذكرت أول مرة بهذا الاسم (بريزرن) في عام ١٠١٩م على أنها مقر لمطران أرثوذكسي. ولكن في الفترة اللاحقة افتقدت الاستقرار نتيجة للصراع على المنطقة بين بيزنطة وبلغاريا وصربيا. وهكذا فقد دخلت الإمبراطورية البلغارية الثانية ١٢٠٤ - ١٢٣٠م ثم أصبحت في قلب الدولة الصربية بعد توسعها. وقد اهتم بها بشكل خاص الملك دوشان الذي بنى ديرًا في ضواحيها واتخذها عاصمة ثانية للإمبراطورية التي أعلنها في عام ١٣٤٦ - ١٣٤٨م، والتي انهارت بعد وفاته في عام ١٣٥٥م.

في ذلك الوقت كان العثمانيون قد أخذوا يقتربون من كوسوفا حيث جرت في سهولها في صيف عام ١٣٨٩م المعركة المشهورة (معركة كوسوفا أو «قوصوة» كما كان يكتبها العثمانيون) التي انتهت بخضوع المنطقة لهم. ولكن الدولة العثمانية لم تبسط الحكم المباشر على هذه المنطقة إلا في عام ١٤٥٥م.

وعلى الرغم من أن بريزرن كانت «عاصمة إمبراطورية» قبل قدوم العثمانيين إلا أنها كانت مدينة متواضعة لم يتجاوز عدد سكانها ثلاثة آلاف نسمة حسب تقديرات المؤرخين. ومن هنا فإن الازدهار الحقيقي للمدينة جاء بعد الفتح العثماني، حيث توسعت بسرعة بعد أن أصبحت مركزًا للسنجق الذي يحمل اسمها، وأصبحت أكبر مدينة في كوسوفا، ومن أكبر المدن في البلقان.

منبع الشعراء

وخلال الحكم العثماني الطويل (١٤٥٥ - ١٩١٢م) انتشر الإسلام بسرعة في المدينة. وهكذا بعد أقل من



جامع سنان باشا متوسطًا بريزرن

قرن (١٥٣٠م) كانت نسبة المسلمين في المدينة قد اقتربت من ٤٠٪، وبعد عشرين سنة أخرى (١٥٥٠م) أصبحت نسبة المسلمين تمثل غالبية السكان (نحو٧٠٪). والمهم هنا أن بريزرن، مع ما بني فيها من جوامع ومدارس، أصبحت تعدّ أيضًا من مراكز الثقافة الإسلامية في المنطقة. فقد برز فيها كثير من العلماء والكتاب الذين ألفوا في اللغات الشرقية (العربية والتركية والفارسية)، واشتهرت خاصة بالشعراء حتى أصبحت تلقب بـ «منبع الشعراء».

ومن هؤلاء الشعراء المعروفين مولانا محمد الملقب بـ «سوزي» الذي تعدّ وقفيته التي تعود إلى عام ١٥١٣م، من المصادر المهمة عن هذا التطور السريع الذي عرفته المدينة، وهكذا بالاستناد إلى هذه الوقفية فقد بنى الشاعر «سوزي» جامعًا يحمل اسمه (يعدّ من أقدم الجوامع في كوسوفا)، ومدرسة للأولاد وضع فيها بعض الكتب التي يعدّها بعض الباحثين نواة أول مكتبة في بريزرن.



على الرغم من أن بريزرن كانت "عاصمة إمبراطورية" قبل قدوم العثمانيين إلا أنها كانت مدينة متواضعة لم يتجاوز عدد سكانها ثلاثة آلاف نسمة

جامع سنان باشا

وقد جاء بعد الشاعر «سوزي» شخصيات أخرى بنت الجوامع والمدارس التي جعلت بريزرن من مراكز الثقافة الإسلامية في المنطقة، ومن هؤلاء كان سنان باشا الذي بنى جامعه المعروف في قلب بريزرن المطل على نهر «بستريتسا» الذي يخترق المدينة.

وفي الواقع لقد كان في تاريخ الدولة العثمانية عدة شخصيات تحمل هذا الاسم (سنان باشا)، من بينهم اثنان عاشا في الوقت نفسه، وفي المكان نفسه مما جعل نسبة هذا الجامع تختلط فيما بينهما (٢). أما الأول فهو سنان باشا الذي اشتهر بلقب «فاتح اليمن»، الذي تولى الصدارة العظمى خمس مرات، والذي ولد ونشأ في قرية توبويان Topojan قرب بريزرن مما جعل بعضهم يتوهم أنه هو الذي بنى هذا الجامع (٣). وفي الحقيقة أنه بنى بالفعل جامعًا، ولكن إلى الجنوب من بريزرن في موقع كاتشانيك الذي نمت حوله بلدة جديدة (٤).

أبقت السلطات العسكرية اليوغسلافية على جامع سنان باشا تحت سيطرتها لكونه مخزنًا للعتاد العسكري، وذلك على الرغم من قيمته المعمارية التاريخية لأنه من أهم الجوامع العثمانية في البلقان

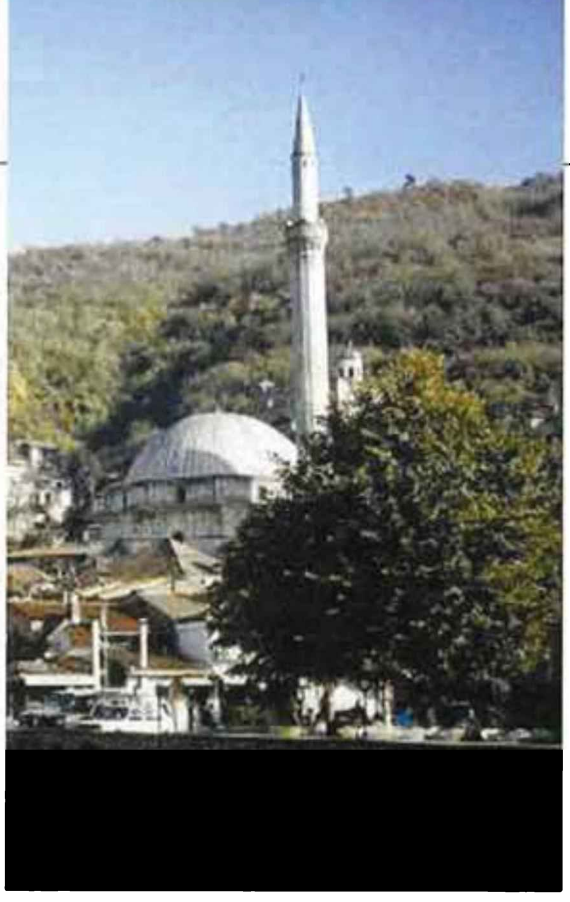
أما سنان باشا الآخر، الذي يضاف إلى اسمه لقب «صوفي» لتمييزه من الأول، فهو أيضًا من أبناء المنطقة، فقد ولد في قرية Vila قرب بريزرن وارتقى مع الزمن في الهرمية العثمانية حتى أصبح واليًا على بودا والبوسنة والشام.

وقد بنى صوفي سنان باشا جامعه في بريزرن في عام ١٦١٥م على ما يعتقد، مع أن بعض المؤرخين يرون أنه قد يكون قبل ذلك، وهو لا يزال يعدّ حتى الآن من أهم الجوامع التي بنيت خلال العهد العثماني. ويتميز الجامع بموقعه المرتفع المطل على نهر بستريتسا وبمساحته الكبيرة (٢٧٥٥م٢) وهيكله المبني من الحجر الصلب ومنازله العالية (٤٢م) وقبته الكبيرة في الوسط والقبب الثلاث التي كانت تغطي مدخله، بالإضافة إلى الأعمال الفنية التي تزين جدرانه من الداخل.

ولكن هذا الجامع الشامخ عايش ما حل بالمدينة وأصبح بالفعل رمزًا لتاريخ بريزرن. فبعد نصف قرن من إنشائه تقريبًا اندلعت الحرب العثمانية النمساوية ١٦٨٩ - ١٦٩٠م التي تحولت بعد عدم نجاح الحصار العثماني لفيينا إلى كارثة على الدولة العثمانية. فقد اندفع الجيش العثماني في خريف ١٦٨٩م باتجاه البلقان ووصل إلى كوسوفا حيث أحرق بعض المدن ومنها بريزرن في تشرين الثاني ١٦٨٩م. وقد تكرر هذا الوضع في الحرب النمساوية العثمانية خلال عام ١٧٣٧م، التي سلم منها هذا الجامع وغيره.

عاصمة وعاصفة

وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر برزت بريزرن عندما اختارها العثمانيون في عام ١٨٦٨م لتكون عاصمة للولاية الجديدة التي تحمل اسمها، ثم أصبحت


الجامع وقد احتضنته الطبيعة

تحمل اسم «ولاية كوسوفا»، والتي اختارها الألبانيون لتكون مقرًا لـ «رابطة بريزرن» ١٨٧٨ ـ ١٨٨١م التي طالبت الدولة العثمانية بتوحيد الألبان في ولاية واحدة يتمتعون فيها بالحاكم الذاتي، والتي دشنت الحركة المطالبة بالاستقلال الذاتي حتى عام ١٩١٢م الذي شهد انطلاقة الحرب البلقانية ونهاية الحكم العثماني في البلقان.

وقد شهدت المدينة/المنطقة عاصفة من الأحداث المتداخلة، فقد شب صراع بلغاري صربي حول المدينة/المنطقة، الذي تداخل مع الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤ ـ ١٩١٨م، وانتهت بريزرن/المنطقة إلى أن تلحق بالدولة الجديدة (يوغسلافيا) التي نشأت في نهاية عام ١٩١٨م. وفي كل هذه الأحداث كان جامع سنان باشا شاهدًا على هذه التطورات ومتأثرًا بها.

فبعد الاحتلال الصربي المونتنغري لكوسوفا في خريف عام ١٩١٢م، الذي صاحبه مجازر وهجرات للمسلمين منها، أغلق الكثير من الجوامع أو استخدمت لأغراض عسكرية. ومن هذه الجوامع كان جامع سنان باشا. ومع اندلاع الحرب العالمية الأولى قامت بلغاريا (حليفة النمسا المعادية لصربيا) باحتلال بريزرن ومعظم كوسوفا في خريف عام ١٩١٥م، حيث أبقت على جامع سنان باشا مخزنًا للعتاد العسكري. وهناك لدينا إشارة إلى انفجار حصل في جامع سنان باشا في يوم الإثنين ٢٩ سبتمبر/ أيلول ١٩١٥م، مما نشأ عنه بعض الأضرار.

وبعد نهاية الحرب الأولى، التي شهدت انسحاب القوات البلغارية والنمساوية ودخول القوات الصربية والفرنسية، أدخلت كوسوفا ضمن الدولة الجديدة (يوغسلافيا) على الرغم من معارضة أغلبية السكان من المسلمين. وضمن الدولة الجديدة (يوغسلافيا الملكية ١٩١٨ ـ ١٩٤١م) كانت المعاناة الكبرى للمسلمين التي يشهد عليها ما حصل لجامع سنان باشا(٥).

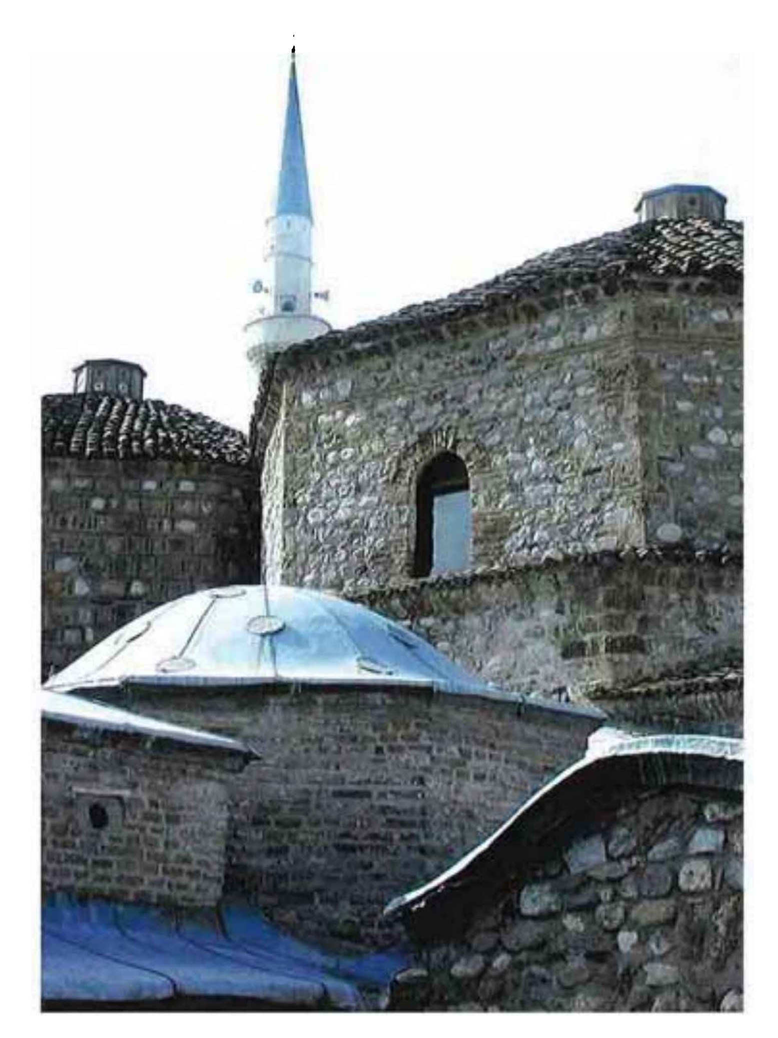
فقد أبقت السلطات العسكرية اليوغسلافية على جامع سنان باشا تحت سيطرتها لكونه مخزنًا للعتاد العسكري، وذلك على الرغم من قيمته المعمارية التاريخية، لأنه من أهم الجوامع العثمانية في البلقان، وبقي على هذا الوضع المزري حتى انهيار يوغسلافيا في نيسان عام ١٩٤١م. ولكن هذا الوضع لم يكن كافيًا بالنسبة إلى القوى المتعصبة (المعادية للمسلمين) في الدولة الجديدة.

كان في تاريخ الدولة العثمانية عدة شخصيات تحمل هذا الاسم (سنان باشا)، من بينهم اثنان عاشا في الوقت نفسه، وفي المكان نفسه مما جعل نسبة هذا الجامع تختلط فيما بينهما

احتفال في حانة

وهكذا، بتحريض من هذه القوى، تقرر في مايو/ أيار عام ١٩١٩م البدء بهدم الجامع واستخدام حجارته في بناء «دير كبار الملائكة» بحجة أن هذا الجامع بني بحجارة ذلك الدير الذي بناه الملك الإمبراطور دوشان. مع أن الأبحاث التاريخية/ الأثرية قد أثبتت خطل ذلك (٦). وهكذا في مايو/ أيار عام ١٩١٩م بدأ هدم مدخل الجامع مع القباب الثلاث التي كانت عليه، ولكن متانة البناء أدت إلى اقتلاع بعض الأحجار من واجهة الجامع. وقد تصادف في ذلك اليوم أنه كان يمر أمام الجامع شاعر بريزن الشيخ عمر لطفي بشاريزي، الذي انفعل بالحدث وأنشأ قصيدته المشهورة «الجهلة» (٧).

ادعاء بأن جامع سنان باشا بني بحجارة «دير كبار الملائكة»



وحسب الشهود الذين بقوا أحياء فقد قام المهندس الصربي إيفان فانغلوف I.Vangelov المشرف على هدم الجامع مع مساعديه بالاحتفال بما انجز في اليوم الأول في حانة «الشادروان» القريبة، مما أثار سكان المدينة ودفعهم إلى التظاهر ثم إلى اغتيال المهندس فانغلوف نفسه. ولأجل ذلك فقد اتهم مفتي بريزرن الحاج رستم شبورتا بتدبير ذلك، وحكم عليه بالسجن مدة عشرين سنة ومصادرة ثروته. وبسبب الهيجان الذي ساد المدينة فقد اضطرت السلطات إلى تأجيل هدم الجامع والإبقاء عليه مخزنًا للعتاد العسكري، وهو ما استمر عليه الحال حتى أبريل/ نيسان عام ١٩٤١م. ففي ذلك الوقت اجتاحت القوات الألمانية يوغسلافيا مما ادى إلى انهيارها وانقسامها إلى عدة كيانات.

أثر تاريخي

وفي هذا الإطار ضم معظم كوسوفا مع بريزن إلى ألبانيا، التي كانت تحت الاحتلال الإيطالي. وللخراب الذي لحق بالجامع من الخارج والداخل نتيجة لكل الأوضاع السابقة فقد تمت مخاطبة السلطات الإيطالية في تيرانا خلال عام ١٩٤٢م لإرسال خبراء في ترميم الآثار لمعاينة وضع الجامع. وبالفعل فقد جاء من روما خبيران في الآثار الإسلامية فعاينا الجامع ووضعا تقريرًا عن الأمور المطلوبة. وبالاستناد إلى ذلك فقد كان من المقرر أن ياتي من روما في عام ١٩٤٣م فريق لإنجاز الإصلاحات والترميمات الضرورية للجامع، إلا أن استسلام إيطاليا أنذاك حال دون ذلك.

ومع نهاية الحرب العالمية الثانية وعودة بريزرن/كوسوفا إلى الدولة الجديدة التي تشكلت في عام ١٩٤٥م (يوغسلافيا الفدرالية تحت حكم الحزب الشيوعي) بقي الجامع مهجورًا على ما هو عليه حتى عام ١٩٤٨م حين أدخله «المعهد الإقليمي لحماية الآثار



الثقافية، ضمن المنشآت ذات القيمة الثقافية الخاصة. وقد كان هذا يعني أن الجامع قد أصبح تحت رعاية الدولة كأثر تاريخي، مع ما يستوجب ذلك من إصلاح وترميم له. ولكن هذه الأعمال بعد طول انتظار تولاها «معهد العمران وحماية الآثار الثقافية» بعد أن أصبح هذا الجامع يدخل ضمن مسؤوليته. وقد قام المعهد بعد إجراء الأعمال الأولية بوضع خزائن عرض نقلت إليها مجموعة من المخطوطات الشرقية (في العربية والتركية والفارسية) المحفوظة في مكتبة محمد باشا لكي يحول الجامع إلى مركز للمخطوطات الشرقية في كوسوفا. ولكن الجماعة الإسلامية، التي تمثل المسلمين أمام الدولة وترعى أمورهم الدينية والثقافية، اعترضت على ذلك أمام القضاء، وكسبت القضية بإعادة الجامع إلى ما بُني لأجله: الصلاة للمسلمين.

وعلى الرغم من ذلك فقد بقي الجامع على ما هو عليه، إذ إن المدير الجديد «للمعهد الإقليمي لحماية الآثار الثقافية» مالك أوسي M. Osi لم يدرجه في قائمة اهتماماته. ولكن حرص بعض المثقفين في المدينة، وعلى رأسهم الرسام وفاء هابتشيو Vefa Hapteiu، كان وراء تدشين العمل

بنى صوفي سنان باشا جامعه في بريزرن في عام ١٦١٥م وهو لا يزال يعدّ حتى الآن من أهم الجوامع التي بنيت خلال العهد العثماني. ويتميز الجامع بموقعه المرتفع المطل على نهر بستريتسا

وسط بريزرن ويبدو جزء من الجامع

بإصلاح وترميم الجامع الذي استمر حتى وفاة الرسام هابتشيو في عام ١٩٨٨م. وقد تزامن ذلك مع تفاقم الوضع السياسي، ومع إلغاء الحكم الذاتي لكوسوفا في ربيع عام ١٩٨٩م، وتغيير إدارة المعهد مما أدى إلى إزالة القوانم التي كانت موجودة داخل الجامع والتي كانت تؤشر على الأقل

حرص بعض المثقفين في المدينة، وعلى رأسهم الرسام وفاء هابتشيو Vefa Hapteiu كان وراء تدشين العمل بإصلاح وترميم الجامع الذي استمر حتى وفاة الرسام هابتشيو

إلى الرغبة في إكمال الإصلاحات والترميمات.

ومع ترسيخ الحكم الصربي المباشر برزت من جديد الدعوة إلى إعادة بناء «دير كبار الملائكة»، مما دفع «جمعية الحفاظ على التراث الثقافي التاريخي الألباني» إلى التعاون مع مجلس الجماعة الإسلامية في بريزرن لعدم إنجاح هذا المخطط وإنقاذ الجامع. وفي الحقيقة لقد أدى تفاقم الوضع السياسي/ العسكري خلال عام ١٩٩٧ . ١٩٩٨م إلى انشغال السلطات عن ذلك، وهو ما انتهى في ربيع عام ١٩٩٩م بالتدخل العسكري الدولي وتحرير كوسوفا من الحكم الصربي.

وفي هذا الوضع عادت الحركة من جديد لتنشط في بريزرن: لأنه من المأمول أن يفتح الجامع أبوابه قريبًا للمصلين بعد إكمال الإصلاحات والترميمات ليؤشر إلى بداية تاريخ جديد في حياة بريزن وكوسوفا.

المراجع والهوامش

1-M. Kiel, "prizren", The Encyclopaedia of Islam, Vol. VIII, Leiden (E J.Brill) 1995, P. 337.

٢. هذا الخلط نجده حتى في أخر كتاب يصدر عن المنشآت التاريخية في بريزرن Muhamed Shukriu, Prizrei i lashte, Prizren 2001 P. 296.

٣. للمزيد حول سنان باشا، انظر كتابنا: معطيات عن دمشق وبلاد الشام الجنوبي في نهاية القرن السادس عشر . وقفية سنان باشا، دمشق (دار الحصاد)، ١٩٩٣م.

٤. لدينا هنا نموذج نمطي لدور الوقف في نشوء المدن وتطورها . للمزيد حول هذا النموذج (كاتشانيك)، انظر كتابنا: «دور الوقف في المجتمعات الإسلامية»، دمشق (دار الفكر) ٢٠٠٠م، ص٧٥ . ٨٥.

٥. للمزيد حول وضع المسلمين في كوسوفا في تلك الفترة انظر كتابنا: «كوسوفو/كوسوفا بؤرة النزاع الألباني الصربي في القرن العشرين، القاهرة (مركز الحضارة الإسلامية للدراسات السياسية) ١٩٩٨م، ص (٣٥ . ٥٢).

6- Hasan Kalesi, Najstariji Vakufski dokumenti u Jugoslaviji - na arapskom Jeziku, Pristina 1972, pp. 263 - 264.

٧. للمزيد حول هذا الشاعر، انظر مقالتنا المشتركة مع د. نعمة الله حافظ: الحاج لطفي بشاريزي شاعر ألباني كتب بالعربية، مجلة «العربي»، عدد ٢٤٢، الكويت كانون الثاني ١٩٧٩م.





أســـاليب عـــلاج العنـ



عبدالرحمن محمد العيسوي

الإسكندرية ـ مصر

هناك أسباب تدفع الإنسان إلى العنف والعدوان، وتدفعه إلى الأخذ بالثأر والرغبة في الانتقام، وهناك عوامل تؤثر في نزعة الأخذ بالثأر، وهنا استعراض لبعض النظريات التي وضعت لتفسير السلوك العدواني، منها نظرية التعليم الاجتماعي أو التقليد والمحاكاة لنماذج من السلوك العدواني والعنيف، إلى جانب تناول تأثير مشاهد العنف والعدوان أو القتل على شاشة التلفاز في السلوك العدواني والعنيف ليس لدى الأطفال الصغار وحسب، بل أيضًا تأثير ذلك في الكبار ومدى انتقال العنف من مرحلة الطفولة والمراهقة إلى مرحلة الشباب والرشد، وتناول كذلك سبل خفض حدة العدوان أو الوقاية منه وطرائق علاجه، ومن ذلك نشر مشاعر التعاطف الوجداني أو المشاركة الوجدانية، أو قدرة الإنسان على أن يضع نفسه موضع الآخرين قبل أن يعتدي عليهم، ولعل من أهم وسائل منع الجريمة والعنف والعدوان عمومًا تربية الفرد على حب أخيه الإنسان والتعاطف معه، وعلى مبادئ إسلامنا الحنيف في المودة والرحمة والشفقة والبر والإحسان والعدل والمساواة والتوحد والتكافل الاجتماعي وبسط قيم السلم والسلام بين ربوع المجتمع.

الأخذ بالثأر

ماذا يحدث عندما يتعرض الإنسان للإهانة أو التحقير أو التوبيخ أو اللوم الشديد، أو عندما يقع عليه اعتداء بدني أو لفظي؟

وفقًا للتعاليم المسيحية، فإن المفروض أن يدير الإنسان خده الأيسر إذا ضربه احد على خده الأيمن تعبيرًا عن التسامح والعفو وإيثار المسالمة، والبعد عن العنف والعدوان والثأر. ولا شك أنها قيمة عظيمة في التسامح والصفح والحب، ولكنها لا تنطبق على بني الإنسان في جميع الحالات وذلك على حد قول إرونسون ورفاقه في مجلدهم الرائد «علم النفس الاجتماعي».

وقد استبان ذلك من خلال الكثير من التجارب المعملية والحقلية المختلفة. ومن ذلك الموازنة بين النقد الرقيق المهذب، والنقد المهين اللذين يمكن توجيههما للعمال. فقد تبين أن الأشخاص الذين يوجه إليهم النقد المهين أو الذي يوجه إليهم النقد بطريقة خشنة، يكون لديهم ميل للأخذ بالثأر، كذلك يزداد احتمال الرد إذا كان النقد ظالمًا، فإذا أنهك الموظف أو العامل نفسه في العمل الشاق، وبذل كل ما في وسعه وجهده، وبينما هو يتصبب عرقًا، حضر رئيسه وأمطره توبيخًا، فإن فرصة الرد الخشن إذا أتيحت له الفرصة تكون أكبر. وتبدو هذه الظاهرة في الإدارة في المجالات الصناعية والمهنية. وعلى سبيل المثال، إذا عمل العامل بأقصى سرعة ممكنة لإمكان تلبية طلبات الزبائن في محل للوجبات السريعة مثلاً، وبينما هو كذلك، سقط من يده طبق، وإذا صاحب المطعم يأتي ويقرر خصم قيمة الطبق من راتبه. وينطبق هذا الوضع على الطالب عندما يلقى التأنيب حتى بعد أن يبذل قصارى جهده في الاستذكار. وعلى الزوجة بعد أن تتفانى في إنجاز واجباتها المنزلية، فأي إثارة لهؤلاء قد يجعلهم يردون الإهانة، ولكن هذا الرد يتوقف، في شدته أو بساطته، على عدد من العوامل، مثل توافر النية

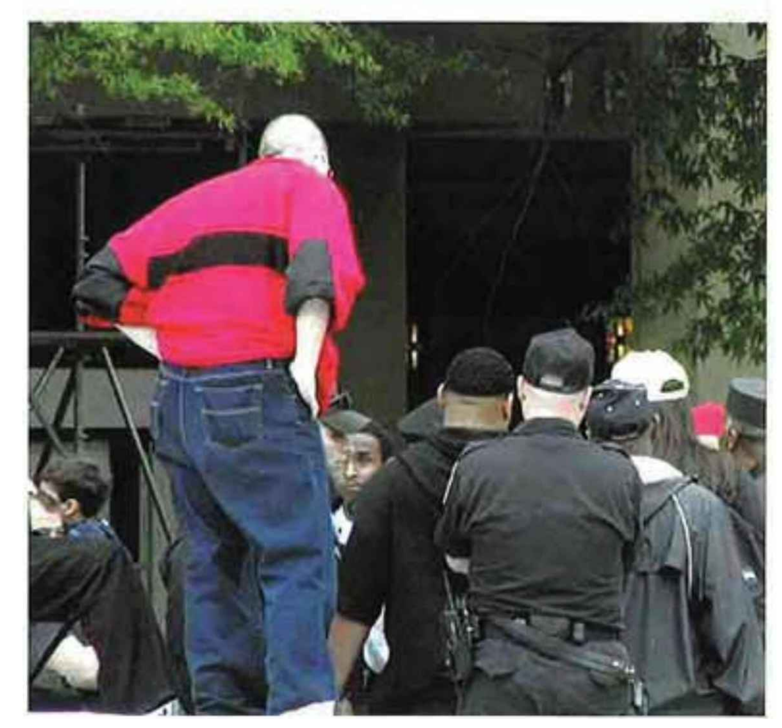


أو القصد أو التعمد أو عدمه من توجيه هذه الإثارة. فإذا اقتنع الإنسان أن هذه الإثارة لم تكن مقصودة أو إرادية أو عمدية أو مدبرة، فإنه، في الغالب، لا يرد، وبالمثل إذا كان هناك ظروف تلطف أو تخفف من حدة الألم، فإن الإنسان لا يرد العدوان بالمثل، ولكن هذه الظروف يجب أن تكون معروفة أو معلومة للفرد عند وقوع الاعتداء أو الإهانة أو الإثارة.

اتضحت هذه الحقيقة من خلال تجربة أجريت على مجموعة من طلاب الجامعة في المجتمع الأمريكي، إذ تم توجيه إهانات من قبل مساعد الباحث لمجموعة منهم، ولكن نصف هذه المجموعة كانت قد أحيطت علمًا بأن هذا الرجل أي مساعد الباحث، حدثت له بعض المضايقات، وذلك لحصوله على درجة صغيرة في الامتحان الذي أداه. وتمت إحاطتهم بذلك قبل قيامه بتوجيه الإهانة لهم، أما النصف الآخر من مجموعة الطلاب، فتمت إحاطتهم علمًا بعد الإهانة. ثم أتيحت الفرصة للمجموعة الأولى كلها للأخذ بالثأر أو الرد على مساعد الباحث، بإحداث ضوضاء مزعجة وغير مقبولة.

لقد أسفرت هذه التجربة عن قيام المجموعة التي لم تحط علمًا بحالة الرجل إلا بعد الإهانة بإحداث مزيد من الضوضاء والإزعاج مقارنة بالمجموعة الأخرى، فالفهم يخفف من وطأة الأخذ بالثأر. ولكن كيف يمكن تفسير حدوث هذا الفرق في حجم الثأر لمجموعات تلقت القدر نفسه من الإهانة، ولكن اختلفت ردود أفعالهم؟

ربما يرجع السبب إلى أن المجموعة المحاطة علمًا بحالة الرجل لم تأخذ الإهانة مأخذًا شخصيًا، ومن ثم لم تكن لديها حاجة قوية للثأر. ويؤيد هذا التفسير الإثارة الطبيعية الجسدية (الفسيولوجية) لدى المجموعتين. فقد تبين أن ضربات القلب لا تزيد بسرعة


للرغبة في الأخذ بالثأر مؤثرات ودرجات

إذا علم الأفراد بالحالة غير السعيدة التي كان عليها مساعد الباحث. والإنسان في حياته العادية يلمس مثل هذه الأوضاع، فنحن نقدر حالة الشخص المريض أو المهموم أو المحبط أو المغتاظ أو الثائر أو المنفعل أصلاً.

العوامل المؤثرة في نزعة الأخذ بالثأر

ويلاحظ أن الإنسان يراعي في رده مقدار قوة مصدر الإهانة وبأسه وبطشه، فإذا كان قويًا فربما عدل الإنسان عن الأخذ بالثأر. وكذلك إذا لم يكن وحده وإنما كان معه مجموعة كبيرة من الناس، وعلى الجانب الآخر إذا كان مصدر الإهانة طفلاً صغيرًا أو شخصًا مريضًا مرضًا عقليًا أو جسميًا، أو كان من طبقة أدنى بكثير من الإنسان المهان، وإذا كان الإنسان في حي غريب عن مقر سكنه أو كان في حي من الأحياء المشهورة بالعنف أو العدوان.

ويضاف إلى ذلك أن فكرة الأخذ بالثأر، وبخاصة في الجرائم الكبرى ترتبط بالثقافة والعادات والتقاليد التي تربى عليها الفرد، وهذه النزعة آخذة في الزوال بفضل نشر الوعي والثقافة والقيم الأخلاقية والدينية، وهذا ما تؤكده إحصاءات الأمن العام، وخاصة في مناطق كالصعيد في مصر، ويستطيع القارئ الكريم أن يسترجع خبرات الإهانة أو النقد أو العقاب التي تعرض لها، وكيف تباينت ردود فعله عليها.

فالإهانة الصادرة من «المدير العام» مثلاً غير الصادرة من موظف بسيط في المصلحة. كما يتوقف ذلك على حجم الإهانة، هل هي أمام الناس أم لا. وهناك بعض الأشياء المرتبطة بالعدوان كالمسدس والبندقية والآلات الحادة أو السيوف وما إليها مما يرمز للعدوان، فهل لوجود هذه الأشياء مع الإنسان في الغرفة نفسها تأثير عندما يتعرض للإهانة؟.

وهذه الأشياء ليست هي السبب في وقوع العدوان، ولكنها عوامل مساعدة. ويطلق على مثل هذه الأشياء «المثيرات العدوانية» وهي الأشياء المرتبطة بالعدوان أو بالاستجابات العدوانية. من ذلك البندقية، ربما يؤدي وجودها إلى مزيد من احتمالية العدوان. ففي تجربة أجريت على طلاب الجامعة بالمجتمع الأمريكي تسبب المجرب في شعور مجموعة من الطلاب بالغضب، بعضهم أثير غضبه وهو في غرفة ملقى فيها «بندقية» بينما أثير غضب الآخرين وهم في غرفة بها موضوع محايد مثل «مضرب كرة» بدلاً من البندقية. وطلب من الجميع إصدار صدمة كهربائية لأحد زملائهم الطلاب.

لقد تبين أن الذين شعروا بالغضب ومعهم البندقية أعطوا صدمات كهربائية أكثر كثافة مقارنةً بزملائهم. ولا يتفق ذلك مع شعار باعة السلاح الذين يرددون أن البندقية لا تقتل، ولكن الناس هم الذين يقتلون. فتوافر السلاح قد يزيد من احتمالية وقوع السلوك العدواني. ولعل ذلك يؤكد الحكمة من وراء وضع قيود على انتشار السلاح بين أيدي أفراد المجتمع، وعدم منح تراخيص

حمل السلاح إلا إذا توافرت شروط كالضرورة اللازمة لحمله، وسلامة شخصية حامله، وعدم صدور أحكام جنائية ضده من قبل، بمعنى أن يكون حسن السيرة والسلوك، وخاليًا من السوابق، ومع ذلك فإذا أساء استعماله، فإنه يُسحب منه.

ولكن هل يوجد ما يؤيد هذا الفرض القائل: إن وجود السلاح في متناول يد الفرد يزيد من احتمالية ممارسته للعدوان؟

من أجل ذلك تمت مقارنة معدلات جرائم القتل في مدينتين أمريكيتين تتساويان في كل الظروف. الأولى هي مدينة سيتل، والثانية هي مدينة فانكوفر، فهما توأمان من حيث تشابه الظروف المناخية، وعدد السكان والظروف الاقتصادية، ومعدلات الجريمة العامة، وكذلك معدلات الضرب والاعتداء الجسمي، ولكنهما تختلفان في الآتي: فانكوفر تفرض حظرًا شديدًا على امتلاك السلاح أو البنادق، بينما سيتل لا تفعل ذلك. وقد تبين أن معدلات جرائم القتل في سيتل أكثر من ضعفها في المدينة الأخرى، فأيهما سبب في حدوث الآخر، هل حمل السلاح يؤدي إلى القتل أم إن القتل هو الذي يدفع إلى حمل السلاح؟

في جميع الظواهر الإنسانية كالجريمة والانحراف، يصعب تحديد العلة والمعلول، فإذا زادت معدلات الانحراف مع زيادة معدلات الفقر، فليس معنى ذلك أن الفقر هو سبب الجريمة، قد تكون الجريمة هي سبب الفقر، وقد يرجع كل من الفقر والجريمة إلى عامل ثالث، كالبطالة أو العوامل الوراثية أو الفوضى الأمنية.

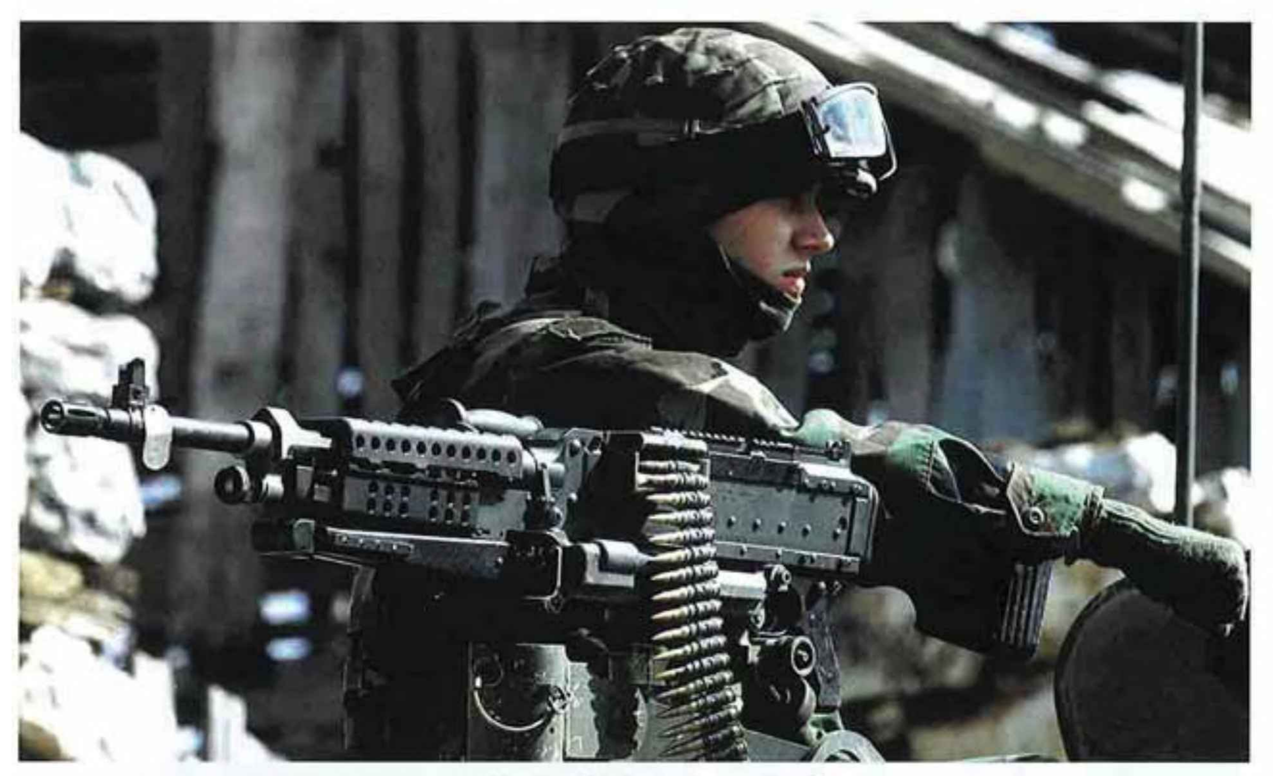
ولكن وجود العوامل المرتبطة بالعدوان قد يساعد على حدوثه. ففي دراسة تناولت العنف وجد أن معدلات جرائم القتل تزداد في المجتمعات التي تنتشر فيها المسدسات، ففي إنجلترا، مثلاً حيث تضع الحكومة قيودًا وحظرًا على حمل السلاح، ليس لديها سوى $\frac{1}{4}$ عدد

> فكرة الأخذ بالثأر، وبخاصة في الجرائم الكبرى ترتبط بالثقافة والعادات والتقاليد التي تربى عليها الفرد، وهذه النزعة آخذة في الزوال بفضل نشر الوعي والثقافة والقيم الأخلاقية والدينية

السكان في الولايات المتحدة الأمريكية، وليس لديها سوى $\frac{1}{16}$ من جرائم القتل. وفي دراسة تتبعية أجريت على نطاق واسع جدًا، سأل الباحث مجموعة من المراهقين بالمجتمع الأمريكي مع مجموعة أخرى اختارها من عشرة مجتمعات أخرى، وطلب منهم قراءة قصص تتضمن صراعات بين الناس، وطلب منهم أن يوضح كل منهم تخمينه بالنسبة إلى النتيجة الناجمة عن هذه الصراعات. فماذا كانت النتيجة؟

توقع المراهقون الأمريكيون نتائج عنيفة للصراع دون زملائهم من المجتمعات الأخرى، وكانت أكثر قوة أو كانت قليلة الرحمة بالنسبة إلى استجابات نظائرهم في المجتمعات الأخرى العشرة، واستخلص الباحث من ذلك أن العنف جزء من المجتمع الأمريكي. ولذلك ظهر المراهقون الأمريكان في هذه الدراسة بمظهر عدواني. وقد يفسر ذلك قيادة الولايات المتحدة الأمريكية للحملات

> الأطفال الذين لا يوجد لديهم نزعة نحو العنف، إذا ما تعرضوا لفترات طويلة ولمرات متكررة للعنف المتلفز، فإنهم يتحولون إلى السلوك العنيف



لايشعر المعتدون في الحروب بالتعاطف مع الضحايا

العسكرية ضد العراق مرة، وضد افغانستان مرة أخرى. بالطبع هناك عوامل أخرى جديرة بالدراسة مثل قوتها العسكرية والاقتصادية الهائلة، وقدرتها على ضم حلفاء معها، واختيار أهداف من الدول الضعيفة. وإلا كانت قد هاجمت الصين أو روسيا، وهذا ما يتفق مع نتائج هذه الدراسات التي تفسر فكرة الثأر وحجمه أو العدول عنه.

نظرية التعلم الاجتماعي في تفسير العدوان

ومن النظريات التي وضعت لتفسير السلوك الإجرامي أو العدواني والعنيف، نظرية التعلم الاجتماعي؛ وذلك عن طريق عملية التقليد والمحاكاة، حيث تكمن جذور السلوك الإجرامي أو العنيف في عملية التعلم الاجتماعي؛ فالأطفال يتعلمون حل الصراعات عن طريق العدوان من جراء تقليد الكبار أو تقليد زملائهم، وخصوصًا إذا شاهدوا أن السلوك العدواني ينال الجزاء أو المكافأة أو التعزيز. اللاعب العنيف يحرز انتصارات أكثر، ويعطى رواتب أعلى، وكذلك يحظى بسمعة عالية.

ومما يؤكد صدق نظرية التعلم الاجتماعي في نشأة السلوك العدواني العنيف أن الآباء الذين كان آباؤهم يضربونهم، كانوا هم أيضًا يضربون ابناءهم. فالأب ينقل خبرته الذاتية في التربية والتنشئة الاجتماعية إلى أبنائه عندما يمرالأطفال بمعاملة عدوانية على يد الآباء، فإنهم يتعلمون أن الأسلوب الصائب في التنشئة الاجتماعية هو أسلوب العنف. وبالمثل فإن الزوجة تنقل إلى زوجها أسلوب معاملة أمها مع والدها والتي تراوح بين السيطرة والتسلط أو الطاعة والاحترام وما إلى ذلك من انماط العلاقات الزوجية. فالآباء العدوانيون ينجبون أطفالاً عدوانيين أيضًا. وقد يرجع ذلك إلى عوامل وراثية.

ذهب البرت باندورا إلى تأكيد تأثير نظرية التعلم الاجتماعي، أي التعلم والاكتساب عن طريق الملاحظة والمشاهدة ورؤية النماذج السلوكية والتقليد والمحاكاة، وخصوصًا فيما يتعلق بالسلوك الاجتماعي، مثل السلوك العدواني عن طريق ملاحظة الآخرين وتقليدهم. وفحوى تجاربه أنه كلف شخصًا كبيرًا باللعب ببعض الدُمى. وفي أثناء ذلك عمد إلى ضرب الدمى وقذفها وركلها أمام الأطفال. وعندما أخذ الأطفال في اللعب بهذه الدمى مارسوا معها السلوك العدواني والعنيف نفسه، وقلدوا النموذج العنيف. بينما كان هناك مجموعة أخرى من الأطفال لم تتح لهم رؤية هذا السلوك العنيف. فلم يمارسوا أيّ نوع من أنواع السلوك العدواني ضد هذه الدمى. بل إن الأطفال الذين شاهدوا العنف استعملوا الأسلوب نفسه، وأطلقوا ضدها الكلمات العدائية نفسها. بل إن عددًا منهم ذهب إلى ما هو أبعد من مجرد تقليد ما رآه، وابتكروا أنواعًا جديدة من العدوان والعنف.وتؤيد الحياة العامة هذه التجارب العلمية، من حيث إفراز تأثير أقران السوء والصحبة الشريرة والانخراط في جماعات العنف والتشرد والعصابات التي تمارس السلوك المضاد للمجتمع



أكدت دراسة أن مشاهدة الملاكمة تزيد من جرائم العنف

وللأخـلاق. ولذلك يُخشى على من يدخل السجن، أول مرة، لقضاء فترة العقوبة المقضي بها ضده، أن يتعلم أنماطًا من السلوك الإجرامي أكثر خطورة.

ومن منطلق فكرة مشاهدة السلوك العنيف في تجارب بنادورا أثيرت مسألة مشاهدة العنف على شاشة التلفاز. فهل يؤثر العنف الذي يشاهده المشاهد في سلوكه؟

تأثير التلفاز في السلوك العدواني والعنيف

يقول بعض المفكرين: إن التلفاز قد نقل «القتل» إلى داخل منازلنا. ومما لا شك فيه أن التلفاز يؤدي دورًا رئيسًا في التنشئة الاجتماعية للأطفال، وإلى حد كبير في تعليم الكبار أيضًا، فهو وسيلة تعليمية وتثقيفية ممتازة وواسعة الانتشار وعظيمة التأثير، ولكنه يعرض الكثير من مشاهد العنف. فوفقًا لدراسة حديثة، أجريت في عام ١٩٩٧م بالمجتمع الأمريكي تبين ان هناك ٥٨٪ من كل البرامج التلفازية تتضمن عنفًا. وأن هناك نسبة ٧٨٪ من هذه البرامج لا يُظهِر مَنْ مارس العنف الشعور بالندم أو الذنب أو النقد أو يلقى العقاب على ممارسة هذا العنف. بل إن هناك ٤٠٪ من أحداث العنف عرضت خلال عام واحد قام بها أناس صورهم التلفاز علي أنهم أبطال، أو يقدمون نماذج جذابة أخرى للأطفال. فماذا يتعلم الأطفال من مشاهدة العنف على شاشة التلفاز؟

لقد دلت دراسات طويلة المدى على أنه كلما زادت مشاهدة الطفل لمشاهد العنف، زادت ممارسته للعنف بعد ذلك بسنوات حتى سن المراهقة والشباب. ما يتعلمه الطفل لا يؤثر فيه في وقت المشاهدة وحسب، وإنما يترسب في حسه وخبرته، ويظهره عندما يصل إلى مرحلة المراهقة والشباب. في هذه الدراسات تم سؤال المراهقين أن يجمعوا بذاكرتهم ما مرّ بهم لتسجيل ما شاهدوه عندما كانوا أطفالاً، وكم عدد مرات المشاهدة أو ساعات المشاهدة، وتم تقويم هذه المشاهد عن طريق حكام مستقلين بعضهم عن بعض، لتحديد مدى عنف هذه المشاهد، ثم قياس النزعات العدوانية العامة لدى المراهقين عن طريق مدرسيهم وزملائهم في الفصل الدراسي، ولكن كل منهم بطريقة مستقلة عن غيره. وتم قياس معاملات الارتباط بين كمية العنف المشاهدَ المتلفز ونزعة العدوانية لدى المشاهد، وكذلك التأثير التراكمي عبر سنوات العمر، بمعنى أن قوة الارتباط وجدت أنها تزيد مع التقدم في العمر. ولكن قد يُقال في حق هذا التفسير أن عدوان المراهقين لا يرجع إلى المشاهدة في عهد الطفولة، بل قد يكون الطفل الميال أصلاً للعدوان هو الذي كان يميل أكثر من غيره لمشاهدة العنف الدرامي، الذي كان يجد فيه المتعة واللذة.

بمعنى أن هذا الطفل كان مولودًا بنزعة نحو العدوان. هذه النزعة هي السبب لكل من المشاهدة في الصغر والعنف في الكبر. بمعنى أن عاملاً وراثيًا كان مسؤولاً عن كل من:

أ. المشاهدة للمواد العنيفة في الصغر.

ب. وعما يظهره المراهق من سلوك عنيف. وبذا لا تكون المشاهدة، في حد ذاتها هي المسؤولة عن السلوك العنيف. بمعنى أننا نتساءل، أيهما سبب في الآخر؟

هل الميل إلى العنف هو الذي يدفع إلى مشاهدة العنف، أم إن المشاهدة هي التي تشجع على العنف؟

ولأهمية هذا الموضوع والحرص على تربية الأطفال

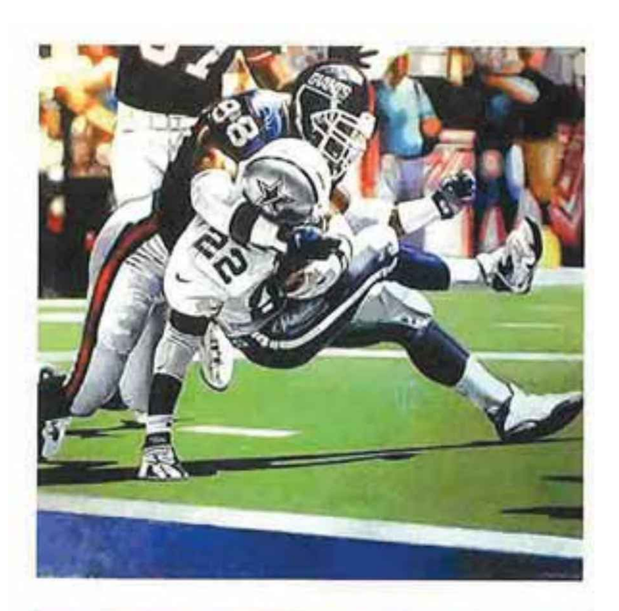
مشاهدة أفلام العنف الجنسية تشجع على ارتكاب جرائم الاغتصاب والاعتداء على النساء، حتى الخيال الجنسي يتأثر بالمشاهدة لجرائم الاغتصاب مقارنة بالعمليات الطبيعية

بعيدًا عن العنف، وللتحقق مما إذا كانت مشاهدة مواد العنف على التلفاز تجعل الأطفال فعلاً، والمراهقين، أكثر عنفًا ام لا، من أجل ذلك أجريت عدة دراسات على هذا الموضوع الحيوي والذي تزداد أهميته يومًا بعد يوم، لأن التلفاز أصبح أداة لا يمكن الاستغناء عنها ولا يمكن حجب الأطفال عن مشاهدة البرامج المعروضة. ففي دراسة أجريت حول هذا الموضوع عَرض الباحث مجموعة من الأطفال لمشاهدة دراما بوليسية بالغة العنف. بينما عُرضت مجموعة ضابطة أخرى من الأطفال لمشاهد رياضية مثيرة، ولكنها ليست عنيفة، ثم سمح الباحث لكل طفل بأن يلعب في غرفة أخرى مع مجموعة من أطفال آخرين، وتبين أن هؤلاء الأطفال الذين شاهدوا الدراما البوليسية العنيفة أظهروا عدوانًا أكثر ضد زملائهم في اللعب، مقارنةً بهؤلاء الذين شاهدوا الأحداث الرياضية الشائقة.

وانطبقت هذه النتيجة على الذكور والإناث على حد سواء. وفي تجربة أخرى تبين أن للعنف المتلفز تأثيرًا أكبر في الأطفال المجبولين على العنف بطبعهم.

في هذه التجربة شاهدت مجموعة من الأطفال فيلمًا بوليسيًا، يتضمن كثيرًا من العنف، ومجموعة أخرى شاهدت فيلمًا شائقًا عن سباق الدراجات، ولكنه لم يتضمن عنفًا. وبعد ذلك طلب من الأطفال لعب مباراة في لعبة الهوكي. وقد تبين أن مشاهدة العنف المتلفز زادت من معدلات السلوك العنيف خلال مباراة الهوكي.

وكشفت الدراسات، في هذا المضمار، أن الأطفال الذين لا يوجد لديهم نزعة نحو العنف، إذا ما تعرضوا لفترات طويلة ولمرات متكررة للعنف المتلفز، فإنهم يتحولون إلى السلوك العنيف إذا تلقوا جرعات متكررة من مشاهد العنف عبر فترة طويلة من الزمن. عنف الأطفال يتوقف على طبيعة العنف المشاهد وعلى مدة المشاهدة ومدى تكرارها. وتدل بعض الإحصاءات على





مشاهدة الدراما العنيفة مؤثرة أكثر من مشاهدة الأحداث الرياضية

أن طفل الثانية عشرة من العمر قد شاهد ١٠٠ ألف حدث عنيف في التلفاز خلال عمره.

مدى التأثير في الراشدين الكبار

كانت النتائج السابقة تدور حول عينات من الأطفال، ويستخلص منها أن مشاهدة العنف تؤثر في سلوك



هل يخفض العقاب من حدة العنف والعدوان؟

الأطفال العنيف في الوقت الراهن، كما تنتقل معهم هذه الخبرات حتى مرحلة المراهقة، إذ يميلون أيضًا إلى العنف أكثر من غيرهم. ولكن ما هو الوضع العلمي بالنسبة إلى مشاهدة الكبار الراشدين لمثل هذه الدراما العنيفة؟

الراشد الكبير يتأثر أيضًا بما يشاهده وبنزعة التقليد، فمنذ عدة سنوات في مدينة كيلين بولاية تكساس الأمريكية هاجم رجل أمريكي كان يقود سيارة ضخمة نزلاء أحد المقاهي وأخذ يطلق النار عليهم بصورة عشوائية، وحتى وصول رجال الشرطة، كان الرجل قد قتل (٢٢) شخصًا. ثم أدار سلاحه إلى رأسه وأطلق على نفسه عيارًا ناريا. وقام رجال الشرطة بفحص جيوبه فوجدوا تذكرة دخول السينما لمشاهدة فيلم من أفلام العنف، وهو يتضمن مشهدًا لرجل يطلق أعيرة نارية على أناس في حانة، فقتل عدة أشخاص. وهنا يكون السؤال، هل رؤية هذا الفيلم هي التي تسببت في هذا السلوك العنيف؟

لا نستطيع أن نجزم بذلك. ولكننا نعلم أن العنف في وسائل الإعلام له تأثير قوي في سلوك الراشدين، فمنذ عدة سنوات وعلى وجه التحديد في عام ١٩٨٦م أحصى العلماء حوادث القتل اليومية ومعدلاتها في الولايات المتحدة الأمريكية. ووجد أن هذه المعدلات ترتفع في الأسبوع التالي لإقامة مباراة الملاكمة للوزن الثقيل، بل إنه وجد أنه كلما زاد الإعلان عن هذه المباراة زادت معدلات حوادث القتل. وعندما يخسر الأبطال السود، كانت تزيد نسبة القتل من السود، وعندما يخسر الأبطال البيض كانت تزيد نسبة القتل من البيض. ولكن مع ذلك لا يمكن القول: إن كل من يشاهد العنف المتلفز يتحول إلى القتل، هناك الملايين الذين يشاهدون ولا يرتكبون جرائم عنف، ولكن على القليل يمكن القول: إن هناك نسبة من الناس تتأثر بما تشاهد على الشاشة الصغيرة.

ولكن ما الذي يحدث في اتجاه الفرد وشعوره إذا تكررت مشاهدته أحداث العنف على الشاشة الصغيرة؟ هل يحدث ما يمكن أن يكون تعوّدًا أو اعتيادًا أو تبلّدًا في مشاعر الفرد عندما يشاهد باستمرار أحداث عنف؟ ففي تجربة أجريت على عينة في المجتمع الأمريكي تم قياس الاستجابات (الفسيولوجية) لمجموعة من الشباب، بينما كانوا يشاهدون مباراة في الملاكمة في غاية القسوة

من الطرائق السليمة تصريف طاقة الغضب في شكل الكتابة أو الشعر أو الأدب أو التمثيل دون أن يؤدي ذلك، بالطبع، إلى إلحاق الأذى بأي من الأشخاص

والعنف، وكانت بالفعل مباراة دموية. الإنسان يصبح أكثر احتمالاً أو تحملاً للعنف الحقيقي إذا شاهد مزيدًا من مشاهد العنف المتلفز. أولئك الذين شاهدوا كثيرًا من العنف المتلفز في حياتهم اليومية أظهروا عدم مبالاة أو عدم اهتمام أو عدم تأثر، ولم يظهر عليهم كثير من علامات الإثارة الفسيولوجية والقلق وما إلى ذلك.

أما الذين لم يشاهدوا العنف المتلفز كثيرًا، فقد أظهروا كثيرًا من الإثارة الفسيولوجية . الذين تشربوا العنف أو تشبعوا به لا يتأثرون به بعد ذلك. والمشاهدة تقلل من رد فعل الناس لمواقف العدوان الحقيقي. حتى الإثارة الانفعالية تصبح أقل. المشاهدة تؤدي إلى ما يُعرف باسم سحب أو سلب الحساسية أو التبلد الحسي والشعوري. ولكن ما الأسباب التي تكمن وراء تأثير العنف الإعلامي في عدوان المشاهدين؟

العوامل السببية

هناك عدة احتمالات أو أسباب محتملة وراء هذا التأثير، من ذلك:

- اعتناق الفرد فكرة مضمونها أنهم إذا كانوا يستطيعون القيام بهذا العدوان على الشاشة، فلماذا لا أقوم أنا به مثلهم.
- مشاهدة العنف المتلفز تقلل أو تضعف قدرتنا التي تعلمناها على كف العدوان أو منع العدوان أو التحكم والسيطرة عليه ضد السلوك العدواني.
- هذه المشاهد تعلمنا طرائق القيام بالعدوان، أو تعرض المناهج التي يتبعها من يمارسون العدوان. الشخصيات أو الأبطال الذين يمارسون العنف يشجعوننا على التقليد والمحاكاة، كذلك فإن هؤلاء الأبطال يعرضون الطرائق التي تساعد على الإفلات من قبضة القانون ونيل العقاب.





كلما كانت الإهانة قوية زادت الرغبة في الأخذ بالثأر

- توافر فرصة للتعبير عن المشاعر العدوانية والشعور بالغضب مما يساعد على ظهور الاستجابة العدوانية، ومما يزيد من المشاعر العدوانية.
- كثرة المشاهد تقلل من مشاعرنا بالرعب والفزع عند تكرار المشاهدة وتقليل مشاعرنا أو تعاطفنا مع الضحية مما يساعد على معايشة الإنسان للعنف والعدوان وممارسته.

وقد تبين أن مشاهدة أفلام العنف الجنسية تشجع على ارتكاب جرائم الاغتصاب والاعتداء على النساء، حتى الخيال الجنسي يتأثر بالمشاهدة لجرائم الاغتصاب مقارنة بالعمليات الطبيعية. فالمشاهدات الشاذة أو غير السوية أو غير الأخلاقية تؤدي إلى نتائج ضارة بالفكر والاتجاه والسلوك الفعلي.

ولكن من الأهمية بمكان أن نتعرّف الأساليب والوسائل التي تؤدي إلى خفض حدة العدوان أو إلى الوقاية من السلوك العدواني؟

كيف يمكن خفض حدة العدوان؟

تكمن أهمية دراسة الأسباب المؤدية إلى العنف والعدوان في المساهمة في وضع البرامج الكفيلة بمنع هذا السلوك المضاد للمجتمع والوقاية منه. وإذا كانت أسباب العنف والعدوان متعددة العوامل، فإن برامج العلاج والوقاية أيضًا لابد أن تكون متعددة وشاملة

> في جميع الظواهر الإنسانية كالجريمة والانحراف، يصعب تحديد العلة والمعلول، فإذا زادت معدلات الانحراف مع زيادة معدلات الفقر، فليس معنى ذلك أن الفقر هو سبب الجريمة

للعوامل كافة، ومن أهم هذه الأساليب الوقائية نشر الوعي، والتربية والتنشئة الاجتماعية والأخلاقية الصالحة، وترسيخ الاعتقاد في قيمة المسالمة والتعاون والهدوء والتزام القانون والشرع والطاعة والاحترام، ويتعين أن يكون ذلك منذ الطفولة الباكرة، وذلك لمقاومة النزعات المادية والإلحادية الشديدة والأفكار السلبية كالعولمة والعلمانية، والبعد عن حظيرة الدين والإيمان والقيم الروحية والأخلاقية، وتنمية الضمير الأخلاقي في الأفراد منذ نعومة أظفارهم.

ومنذ فجر التاريخ والآباء يحاولون قمع السلوك العنيف لدى أطفالهم. ومن أقدم الأساليب المستخدمة لقمع العدوان إنزال العقاب. ولكن هل يخفض فعلاً العقاب من حدة العنف والعدوان؟ مما لا شك فيه أن عملية العقاب عملية معقدة وليست بسيطة، من ذلك أن إنزال العقاب لمنع أي سلوك هو نفسه عدوان. العقاب، بمعنى من المعاني، ضرب من العدوان. وعلى ذلك، فإن الشخص أو السلطة التي تنزل العقاب تقدم بذلك نموذجًا من السلوك العدواني أمام الطفل، ومن ثم قد يدفع هذا الشخص إلى التقليد والمحاكاة. بمعنى أن من يقع عليه العقاب، بوصفه سلوكًا عدوانيًا، قد يلجأ هو نفسه إلى العدوان أخذًا بمبدأ التقليد والمحاكاة.

وقد نجح تدريب المعلمين في بعض مدارس الحضانة الأمريكية، وكذلك رجال الإدارة التربوية على ممارسة التدخل المعتدل والسريع في خفض السلوك العدواني بنسبة ٥٠٪. وكان هذا التدخل في خفض العدوان الآني أو في الوقت الراهن، وكذلك العدوان في المستقبل، وخصوصًا إذا لم يكن الطفل قد كوّن فعلاً نسقه القيمي.

ولكن ما الوضع بالنسبة إلى الكبار الذين يمارسون العدوان؟

الوضع هنا مختلف نسبيًا، فمعظم الأنظمة العقابية والجنائية في معظم الثقافات تمارس نوعًا أو آخر من

العقاب الشديد وسيلة لمنع جرائم العنف فهل يؤدي التهديد باستعمال العقاب الشديد بالنسبة لجرائم مثل القتل والاغتصاب إلى التقليل من تكرار مثل هذه الجرائم؟ إذا كان الفرد مقبلاً على ارتكاب جريمة وكان العقاب عليها صارمًا، فربما حادث نفسه قائلاً: «إذا تم ضبطي، فإنني سوف ألقى عقابًا قاسيًا». وقد يتراجع عن ذلك. ولكن يشترط لذلك، ألاّ يكون هناك فرصة للإفلات من هذا العقاب، وأن يكون العقاب نازلاً به مباشرة بعد ارتكاب الجريمة. ومن هنا تفتر فاعلية العقاب إذا طال أمد التقاضي وتباعدت المسافات بين الجريمة وعقابها. ويجب أن يكون العقاب أكيدًا وفوريًا وعاجلاً وحازمًا وحاثًا على الاستقامة. ولكن هذه الظروف المثالية يندر أن تتوافر في المجتمع الحديث الذي يتسم بالتعقيد وبإطالة أمد التقاضي، وتعدد درجاته، وتلاعب المحامين والمطالبة بالأجل تلو الأجل، وإعادة المحاكمات، كما يصعب تحقيق ذلك في المجتمعات الحديثة التي ترتفع فيها معدلات الجريمة. ففرص الضبط والمحاكاة وتوجيه الاتهام والإدانة قليلة نسبيًا في ظل حرص نظام العدالة الجنائية على تحقيق العدالة، وفي ضوء تكدس القضايا أمام المحاكم. وفي الحياة الخارجية أيضًا يقل تنفيذ نظام العقاب بصورة مثالية.

والدليل على عدم فاعلية إنزال العقاب الشديد أن المجتمعات التي تطبق نظام عقوبة الإعدام لا تقل فيها معدلات جرائم القتل مقارنة بالمجتمعات الأخرى.

وبالنسبة إلى العنف الأسري أو العدوان على الزوجات، كشفت بعض الدراسات أن اهتمام الشرطة بحادث الاعتداء، وإلقاء القبض على الزوج ولو مدة يومين، أفضل من مجرد توجيه النصح والإرشاد له في الحال، أو تركه المنزل مدة ٨ ساعات أو القبض عليه وإيداعه الحجز مدة يومين، وتمت متابعة هؤلاء الأزواج بمعرفة الشرطة مدة ستة أشهر لمعرفة أيّ من هؤلاء سوف يعاود الكرة ويعتدي على زوجته، وكشفت عن معاودة النسب الآتية على الترتيب:

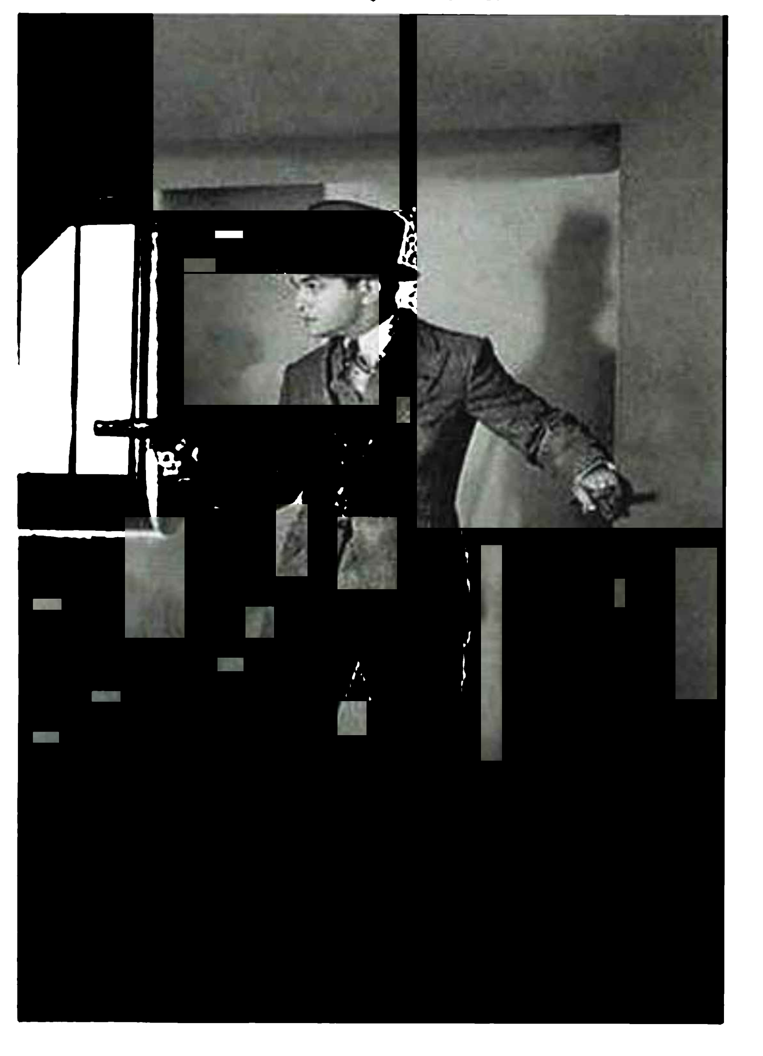
١٩٪ (٨ ساعات خارج المنزل).

٢٤٪ (توجيه النصح والإرشاد).

١٠٪ (يومان في الحجز).

اهتمام سلطات تنفيذ القانون وأخذ الاعتداء مأخذ الجد، كل ذلك يقلل من معدلات العنف الأسري، ولكن يا


خلاف حول تأثير السينما في العنف



للأسف دلت الأبحاث القائمة على ذلك أن هذا الأثر لا يستمر طويلاً، ولكنه يتلاشى بمرور الوقت.

سبل علاج العنف والعدوان عن طريق عملية التفريغ الانفعالي

تذهب الأمثلة الشعبية إلى أن الإنسان إذا كان غاضبًا جدًا، فإنه يلقي بما في يده، أو يكسر الكوب



الذي يشرب منه أو الإناء الذي يتناول فيه الطعام، أو يمزّق شيئًا أو يحطم شيئًا، وذلك للحد من وطأة ثورته الغضبية. أما الأساس العلمي لهذه الأمثال فيكمن فيما يعرف في علم النفس التحليلي باسم عملية تفريغ الشحنة الانفعالية أو تصريفها، أو إطلاق سراح الانفعالات المكبوتة أو الحبيسة وتطهير الذات منها، أو غسل الذات بدلاً من بقائها سجينة الذات، عملاً بالقول: إن شدة الضغط تولد الانفجار، كما يحدث بالضبط بالنسبة إلى بخار الماء، أو يعبر عن غضبه بالصراخ أو الصياح كما تفعل بعض النسوة. فكرة ضغط البخار على الدافع نحو العدوان: الإنسان لابد أن يسمح له بالتعبير عن دوافع العدوان عنده، ولكن بصورة غير ضارة، حتى لا تبحث الطاقة الحبيسة عن مخرج أو منفذ في شكل العدوان على الآخرين، أو يظهر ذلك في شكل الإصابة بالأمراض العقلية. لابد من إخراج الغضب منذ الصغر عن طريق تعليم ذلك من أجل إخراج الطاقة العدوانية. من ذلك ممارسة المباريات الرياضية العنيفة. ولكن التجارب المعملية والحقلية لا تؤيد فكرة تأثير التفريغ الانفعالي في خفض حدة السلوك العدواني، بل ربما تزيد من معدلاته.

ولكن الشعور بالأسى لدى المعتدي يتوقف على مدى براءة الضحية، وكونه يستحق ما ألحق به من عقاب. الإنسان لا يشعر بالأسى إذا كانت الضحية قد أذنبت في حقه. الدولة المعتدية في الحروب لا يشعر أبناؤها بالتعاطف مع الضحايا. وعلى سبيل المثال، ففي نهاية الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ ـ ١٩٤٥م) ألقت الطائرات الأمريكية قنابل نووية على جزيرتي هيروشيما ونجازاكي في اليابان وكان ضحية هذه الغارة أكثر من ١٠٠ ألف قتيل من المدنيين، بما فيهم الأطفال، وأعداد كبيرة جدًا جُرحت.

وبعد ذلك بفترة قصيرة أجريت دراسة استطلاعية على المجتمع الأمريكي وأسفرت عن وجود أقل من ٥٪

شعروا بأنه ما كان لأمريكا أن تستعمل هذا السلاح. بينما كان هناك ٢٣٪ أكدوا أنه كان ينبغي استخدام المزيد من هذه الأسلحة قبل إتاحة الفرصة لليابان للاستسلام. في مثل هذه الحالات يجد المعتدي مسوّغًا لعدوانه، وقد يطالب بإلحاق المزيد من الأذى بالخصم. وفي عام ١٩٩٠م شنت الولايات المتحدة الأمريكية حربًا ضد العراق أدت إلى قتل مئات الآلاف من العراقيين بما فيهم الأطفال والنساء، وشعر الأمريكيون بالفرح والنشوة بنتائج هذه الحرب مما زاد من شعبية الرئيس الأمريكي الأسبق جورج بوش الأب وأثير السؤال: كم في المئة من الشعب الأمريكي شعر بالحزن أو الأسف حول الضحايا العراقيين المدنيين؟

لم يظهر الاستفتاء سوى قليل من التعاطف مع الضحايا الأبرياء، ولكن ما السبب في ذلك؟ حالة الحرب تخلق شعورًا بالعداء تجاه الخصم، يظهر هذا العدوان بين غير المحاربين. وفي دراسة تم حصر المجتمعات التي خاضت حروبًا وتلك التي لم تتورط في أي حرب عبر الفترة منذ عام ١٩٠٠م، وتناولت هذه الدراسة ١١٠ مجتمعات، وتم إحصاء جرائم القتل فيها بعد الحرب، تبين أن المجتمعات التي خاضت حروبًا كانت معدلات القتل فيها أكثر من تلك التي عاشت في سلام.

ولكن ماذا يفعل الإنسان في مشاعر الغضب والتوتر والشد والقلق التي قد يشعر بها إذا مارس العدوان؟ فإن العدوان يزيد من احتمالية حدوث السلوك العدواني في المستقبل، فالعدوان يقود إلى العدوان؟

من الطرائق السليمة تصريف طاقة الغضب في شكل الكتابة أو الشعر أو الأدب أو التمثيل دون أن يؤدي ذلك، بالطبع، إلى إلحاق الأذى بأي من الأشخاص، كأن يصف الإنسان مشاعر غضبه وأسبابها مما يسبب له كثيرًا من الراحة. والفهم والاستبصار للحالة يساعدانه على التخفيف من حدة الشعور بالغضب.

من بين الوسائل التي تخفض من حدة التوتر عندما يقع على فرد ما عدوان، أن يعرف أن الشخص الذي مارس العدوان لم يكن أمامه بد من ذلك، أو أن عدوانه كان له ما يسوّغه، كذلك من الأمور التي تخفف من حدة التوتر الناشئ عن وقوع العدوان، أن يعتذر الشخص الذي مارسه، ويؤكد أنه لن يعود ذلك ثانية، وكذلك الاعتذار من أنواع الإحباط التي قد تنسب إلى الآخرين كافة، شريطة أن يكون الاعتذار مخلصًا.

ولذلك يقترح أحد علماء النفس تزويد السيارات بإشارة للاعتذار إذا أخطأ السائق في حق زميل له مما قد يخفف من حدة الشجارات التي قد تقع بين السائقين.

ومن بين الوسائل التي قد تقلل من تعليم الأطفال العدوان، مشاهدتهم نماذج من السلوك التفاوضي، أو الاعتماد على التفاوض أو المفاوضات والسلوك غير العدواني، ومن ذلك أيضًا التدريب على إتقان مهارات الاتصال الجيد والتدريب على حل المشكلات حلاً حسنًا . ويندر أن يحيا الإنسان دون أن يواجه بخبرات من الإخفاق والإحباط والمضايقات والشعور بالغضب والتوتر والقلق والصراع، وخاصة في ظل الحياة الحديثة.

بطبيعة الحال، الغضب الفعال طبيعي في الإنسان، وليس هناك عيب أن يغضب الإنسان، ولكن العيب أن يعبر الإنسان عن غضبه بالعدوان والعنف.

هناك ضرورة لتعلم الإنسان كيف يعبر عن الغضب

إن السلوك العدواني، كغيره من أنماط السلوك الأخرى، له دوافعه أو أسبابه، وعلى ذلك يمكن التحكم فيه والتقليل من وطأته، وذلك بالتخفيف من حدة الأسباب

بطريقة سليمة أو إيجابية وليست عدوانية. من ذلك إتقان طرائق المفاوضات والمساومات لحل الصراعات والخلافات، وكيف يصبح الإنسان حساسًا لمشاعر الآخرين ولحاجتهم، وكيف يتمكن أن يضع نفسه موضع الآخرين. وتؤتي هذه الأساليب أُكُلها إذا مُنح الفرد الجزاء الطيب أو المكافأة أو التعزيز على سلوكه الإيجابي المسالم. ويفيد في ذلك تدريب الأطفال على السلوك الإيجابي البناء لحل مشكلاتهم. وهناك بعض المدارس الابتدائية والثانوية الأمريكية التي تدرب طلابها على هذه الطرائق الإيجابية في حل المشكلات وفي التواصل.

وكذلك تدريب الأطفال والكبار على الشعور بالتعاطف أو المشاركة الوجدانية مع الشخص الذي تسبب في الشعور بالضيق أو الإحباط. وقد أجريت تجربة على سائقي السيارات في أثناء وقوف السيارات عند إحدى إشارات المرور، إذ وقفت سيارة ولم تتحرك.. حتى بعد أن تحول الضوء الأحمر إلى الضوء الأخضر، مؤذنًا بالسير، مما أدى إلى ارتفاع أصوات آلات التنبيه، ولكن عندما أجريت التجربة بحيث عرف السائقون أن السائق يحاول التحرك، ولكن السيارة لم تساعده، شعروا بالتعاطف معه، ولم يطلقوا آلات التنبيه في وجهه بصورة مفزعة، فعن طريق التعاطف، ووضع الإنسان نفسه موضع الآخر يقل الشعور بالغضب.

ومن وسائل الحد من وطأة العدوان، فهم طبيعة عملية سحب الإنسانية أو إلغاء صفة الإنسانية: ذلك لأن معظم المجرمين يجردون ضحاياهم من صفة الإنسانية أو ينزعون عنهم، في تصوراتهم، كونهم أناسًا مثلهم لهم ما لهم من حقوق وعليهم ما عليهم من واجبات المجرم ينظر إلى ضحيته كما لو كان جمادًا أصم لا حس فيه ولا روح، وليست له حقوق إنسانية، ولذلك يسهل عليه الاعتداء عليه، وفي ضوء هذا الافتراض فإننا نستطيع أن نقلل من لجوء الأفراد إلى العدوان عن طريق تنمية مشاعر التعاطف الوجداني مع الآخرين، أي التقمص العاطفي أو الوجداني، والشعور المشترك بالإنسانية والإخاء الإنساني. وإذا نما هذا الشعور بالتعاطف، فإنه يصعب على المرء ارتكاب جرائم العدوان على أخيه الإنسان.

وخلاصة القول: أن السلوك العدواني، كغيره من أنماط السلوك الأخرى، له دوافعه أو أسبابه، وعلى ذلك يمكن التحكم فيه والتقليل من وطأته، وذلك بالتخفيف من حدة الأسباب، عن طريق نشر الوعي، والعلم النافع، وبسط القيم الإنسانية في الإخاء والمودة والمحبة والتضامن والتكافل والتساند الاجتماعي والتماسك والوحدة الاجتماعية. وغرس مبادئ الإسلام من الرحمة والعدل والمساواة والشفقة والسكينة، ونشر مبادئ الرضا والزهد والقناعة، واحترام الصغير للكبير، ونجدة الملهوف، ومساعدة المحتاج، وعطف الكبير على الصغير، واتباع الشرع، واحترام القانون والنظام، والاهتداء بالهدي الإسلامي الخالد، وترسيخ الإيمان بالله الخالق العظيم، وبهدي السنة النبوية المطهرة منذ الصغر وطوال رحلة حياة الإنسان.

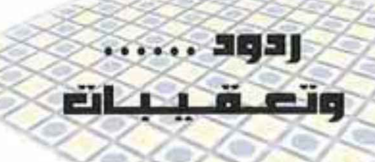
المراجع

1-Aronson, E. and others, (1999). Social Psychology, Third edition, Long man, New York

2-Baron, R. A. and Richardson, D.R., (1994). Human aggression, New york, plenum

3-Berkowitz, L. (1993), Aggression Its Causes, Consequences and control, New York Mc Graw - Hill

4-Tavris, C., (1989), Anger: The misunderstood emotion, New York, Touchstone / Simon and Schuster



تعقيب على المراصد الفلكية لدى المسلمين

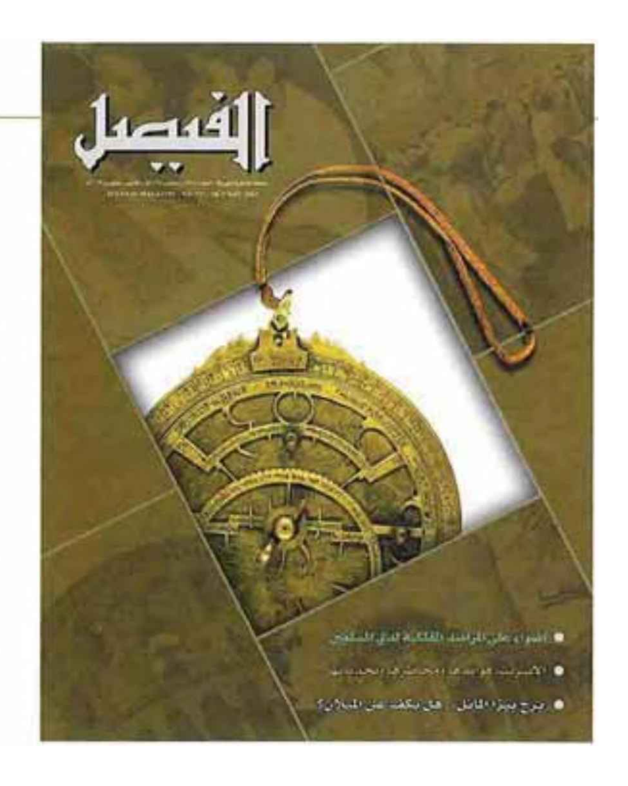
إن «الفيصل» في حياتنا ليست مجرد إصدار فصلي، إنما هي كائن حي.. تحيا معنا.. نشعر بها.. ترافقنا ولا نتركها أبدًا.. وليس لها في مفهومنا فاصل زمني نستريح فيه منها، ولا حساب يحسب حسب حسابات البشر، لأنها دائمة معنا في أنفاسنا.. لبّنا.. فؤادنا.. يقظتنا وأحلامنا، وفي أفراحنا وأحزاننا، جدنا ولهونا، يومنا وثوانيه.. لا نمل ولا نكل.. بل لو خيرنا لتمنينا المزيد لإيماننا المطلق أن تواصل الجد والاجتهاد يعني المزيد من الإجادة، ولا شك أن هذا كله حصيلة لجهود المخلصين من أسرة التحرير والمشتغلين بالمجلة الذين بذلوا الغالي والنفيس ليحدث هذا التتويج، وليتم هذا التطور والرقي.

ولأننا من المتابعين لمجلتنا فقد لفت انتباهنا في مقال «أضواء على المراصد الفلكية لدى المسلمين» للأستاذ معالي عبدالحميد حمودة في العدد (٣٢٧) رمضان ١٤٢٤هـ، بعض الأخطاء التاريخية.

ومن ذلك قول الكاتب: «إن أول مرصد بني في الإسلام كان في دمشق في عهد الأمويين، لكن الثابت أن الخليفة المأمون أمر ببناء مرصدين: أحدهما على جبل قاسيون في دمشق، والآخر في الشماسية ببغداد».

وهذا خطأ لأن من المعروف ان الخليفة العباسي أبا جعفر المنصور استشار كبار المنجمين لاختيار موقع جديد لعاصمة حكمه عام ٧٦٢م، واستدعى لذلك كلاً من المنجمين «النوبخت» من فاس، والفلكي اليهودي «ما شاء الله» من مصر، واختار موقع مدينة بغداد التي صارت بعد ذلك كعبة للعلم والعلماء، ولقد حفز علماء الهند إلى زيارة بغداد، فحضر إليها عام ٧٦٧م فلكي اسمه «كانكاه»، وكان معه مرجع مهم في الفلك اسمه «السندهانت» حرفه العرب بعد ترجمته إلى «السند هند».

وقد حفل عصر الخلفاء العباسيين هارون الرشيد ومن بعده ابنه المأمون بترجمة أجل الأعمال الفلكية، وأسس المأمون الذي تولى الخلافة عام ٨١٣م، مجمعًا كانت مهمته العناية بالعلوم، ونقل أهم النصوص من اللغة اليونانية إلى اللغة العربية، وأطلق على هذا المجمع «بيت الحكمة»



وكان بمنزلة أكاديمية للعلوم وأهمها العلوم الفلكية، وقد أنشأ به أول مرصد، ولم ينشئ مرصد جبل قاسيون بدمشق إلا بعد عشر سنوات من مرصد بغداد.

ويقول الكاتب: «قام البتاني بتصحيح قيمة الاعتدالين الصيفي والشتوي وتعيين ميل البروج عن فلك معدل النهار. وقد ترجمت معظم مؤلفات البتاني إلى اللاتينية في القرن الثالث عشر ومن بينها (شرح المقالات الأربع) لبطليموس....».

لقد عمل في بيت الحكمة علماء كان همهم الأكبر، الحساب الفلكي، ومن أهم هؤلاء العلماء (الخوارزمي) الذي يعدّ الأب الشرعيّ لعلم الجبر، الذي سميت عمليات (اللوغاريتمات) باسمه بعد تحريفها في القرون الوسطى في أوربا، وقام الخوارزمي بكثير من القياسات الفلكية، كقياس محيط الأرض، ووضع الجداول العلمية التي أطلق عليها (السند هند الصغير) وقد ترجم علماء الغرب من أعماله في القرن الثاني عشر الميلادي، جداوله عن نسب حساب المثلثات عن الجيوب والظلال، وتصحيح قيمة الاعتدالين الصيفي والشتوي، وتعيين ميل البروج عن فلك معدل النهار. وقد سبق بذلك البتاني بأكثر من مئة عام.

كما برع في القرن الثاني عشر فلكي مسلم أخر. قبل أن يكتب البتاني مؤلفاته. هو : أحمد الفرغاني الذي كان من مؤلفاته كتاب «الجوامع» الذي أورد فيه نظم بطليموس عن تصوره للكون واعتقاده بأن الأرض تقع في مركزه. ثم تبعه عدد كبير من الفلكيين المسلمين. ليس بالمئات ولكن بالآلاف. وتمت ترجمة المؤلفات الفلكية الإسلامية إلى اللاتينية تحديدًا بعد فتح الأندلس.

أما قول الكاتب: «انطلق العلماء المسلمون في تعاملهم مع علم الفلك على أساس التدبر في عجائب السماء، وحركة الكواكب، وحقائق الكون، وتحديد أوقات الشعائر الدينية المهمة» فهو غير مصيب إلى حد بعيد، لأنه منذ مجيء الإسلام وقبل أن يعرف علم الفلك، حث القرآن الكريم المسلمين على التأمل في إحكام ما خلق الله في الكون، ودقة ما يجري من دوران الكواكب على أفلاكها، وانتظام تعاقب الليل والنهار، وعظم أبعاد النجوم، وهذا ما ورد في الآيات الكريمات:

. ﴿إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب﴾. آل عمران:١٩٠.

. ﴿والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره﴾. الأعراف:٥٤.

. ﴿الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور﴾ الأنعام:١.

. ﴿فلا أقسم بمواقع النجوم، وإنه لقسم لو تعلمون عظيم﴾ الواقعة:٧٥ و٧٦.

. و﴿الشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز

العليم، والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم، لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون﴾. يس: ٣٨ ـ ٤٠.

ـ ﴿أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت﴾. الغاشية: ١٧ و١٨.

هذا فضلاً عن مئات الآيات الكونية الأخرى التي دفعت فكر المسلمين إلى التعمق في تفهم ما يدور في السماء حولنا، ولعل القرار الذي اتّخذه الخليفة الفذ عمر بن الخطاب رضي الله عنه، بجعل التقويم الإسلامي بدءًا من حادث الهجرة، قد أسهم في لفت الأنظار إلى ضرورة التاريخ بتقويم متعارف عليه من الناس كافة بما يناسب التفكير الذي كان سائدًا آنذاك، ولذا فإن قيام «التقويم الهجري» على حدث ملموس يتكرر كل بضعة أيام وهو بزوغ القمر، يعدّ من أهم ما يميزه من التقاويم الأخرى، ومن مزايا التقويم الهجري أن ارتباطه بالقمر ربط المسلمين ببعض ظواهر الحياة العامة، مثل الخصوبة لدى النساء، ودورة زراعة بعض النباتات، وأثر القمر في تغير المزاج الإنساني، وتعاظم موجات المد والجزر على المدن الساحلية، واستتبع ذلك الاهتمام برصد الأهلة، لتحديد أوائل الشهور الهجرية، ولمعرفة مواعيد الشعائر الإسلامية المهمة مثل بدء صوم رمضان، وموعد أداء فريضة الحج، وما يرتبط بهما من توقيتات عيدي الفطر والأضحى، وقد عبرت عن ذلك الآية الكريمة ﴿يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج﴾ البقرة:١٨٩، وكذلك الحديث النبوي «صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته» رواه البخاري.

لذا ومن أجل متابعة إيقاع الحياة اليومية، وانتظام أداء الصلاة في مواقيتها، كان اهتمام المسلمين بمتابعة حركة الشمس، وتحديد مواعيد الشروق والغروب والسمت والشفق. تقول الآية الكريمة ﴿إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابًا موقوتًا﴾ النساء:١٠٣، وهذا ما جعل المسلمين يبرعون في الاهتداء إلى الصورة المبتكرة للساعات التي تحدد الوقت اتباعًا لظل الشمس وهي «المزولة»، وبعدما رسخت أقدام الحضارة الإسلامية في أقطار شتى، وانتظم دولاب الحكم، طفر الاهتمام بعلم الفلك، وبدأ يرتدي ثوبًا جديدًا بانفتاحه على ما تناقلته الحضارات الأخرى، من خلال الترجمات عن اللغات الهندية والفارسية والسريانية واليونانية.



أما عن أخطاء اللغة الفصحى التي انتابت المقال فهي:

يقول: علم صناعة النجوم.

الصواب: أن كلمة صناعة تعني ما يتم صنعه وتفصيله، والنجوم لا تصنع لكي توصف بأنها صناعة.

يقول: وفصول الأزمان.

الصواب فصول العام.. كما سبق وقال الشهور والسنين والمواقيت، فجمعها كلها يعني الأزمان، وليست الفصول وحدها هي الأزمان.

يقول: علماء المسلمين أظهروا بتشجيع من حكامهم عنايتهم بعلم الفلك.

الصواب: أوضحنا أن القرآن الكريم هو الذي أمر وفرض وحث أولي الألباب والعلماء والمسلمين جميعًا بالعناية بعلوم الفلك.. وليس الحكام هم الذين شجعوا.

يقول: في الإمبراطورية الإسلامية.

الصواب: لا يجب وصف الأمة الإسلامية بالإمبراطورية؛ لأن الإمبراطورية تعبير أجنبي ينسب إلى الإمبراطور، وليس في الإسلام أباطرة أو إمبراطور، فهو تعبير ليس من الإسلام وغير مستحب إسلاميًا، والقرآن الكريم يقول ﴿كنتم خير أمة﴾ ولم يقل خير إمبراطورية، لأن الإمبراطوريات عامة اشتهرت على مدار التاريخ بأنها قوات احتلال واغتصاب وقهر وظلم.

يقول: الحلقة الاعتدالية: حلقة تنصب في سطح دائرة المعدلة ليعلم بها التحول الاعتدالي.

الصواب: حلقة تنصب في سطح الدائرة الاعتدالية ليعلم بها التحول الاعتدالي.

يقول: أربع أسطوانات مربعة تغني عن الحلقة الاعتدالية.

الصواب: الأسطوانة غير المربع، فكيف تكون أسطوانات مربعة.. إنها أربع اسطوانات فقط.. لأن الشكل الأسطواني لا يمكن أن يكون مربعًا، والحقيقة أنها أربع أسطوانات ذات شكل أسطواني دائري.

يقول: وختامًا ففي تلك المراصد التي ألقينا الضوء عليها.

الصواب: الختام دائمًا أو الخاتمة، لا تكون إلا في الأبحاث المبوبة أو الكتب المبوبة والمفصلة، أي: التي بها فصول ومباحث عدة.. أما الشذرات المتفرقة كمثل هذا المقال فليس من الصواب أن توضع لها خاتمة، أو تختم بمعلومات توضيحية لما سبق القول فيه، فهذا غير جائز في كتابة المقال وقواعده التي هي من أسس الكتابة العربية. والملاحظ أنه يستخدم هذه الكلمة في كل مقالاته بلا استثناء للدلالة الرمزية لشخصه، وهذا لا يتفق مع أصول وقواعد فن المقال كما ذكرت.

وتبقى في نهاية حديثي إشارة عابرة إلى كثرة وكبر حجم الصور المنشورة مع المقال وتكرارها، على حساب الكم اللفظي والمعلوماتي في المقال، كما أن الصور منتشرة ومشهورة وبعيدة نسبيًا عن أصل موضوع المقال، وهو المراصد الفلكية بكل أبعادها وأشكالها.

إننا نبدي اعتذارنا لكم إذا كنا قد سببنا لكم أي حرج، ولكن لأننا نخشى على مجلة الفيصل، فإننا نحبكم ونعتز بمجهوداتكم المضنية والرائعة، وحرصًا على تاريخ المجلة الطويل، وعطائها المثمر وغيرة منا عليها، ولعدم العبث بالوعي بقدسية القلم الذي أقسم به رب العزة في قوله الكريم: ﴿ن والقلم وما يسطرون﴾، وكذلك صحة المعلومة وأمانة الكلمة وشرفها.

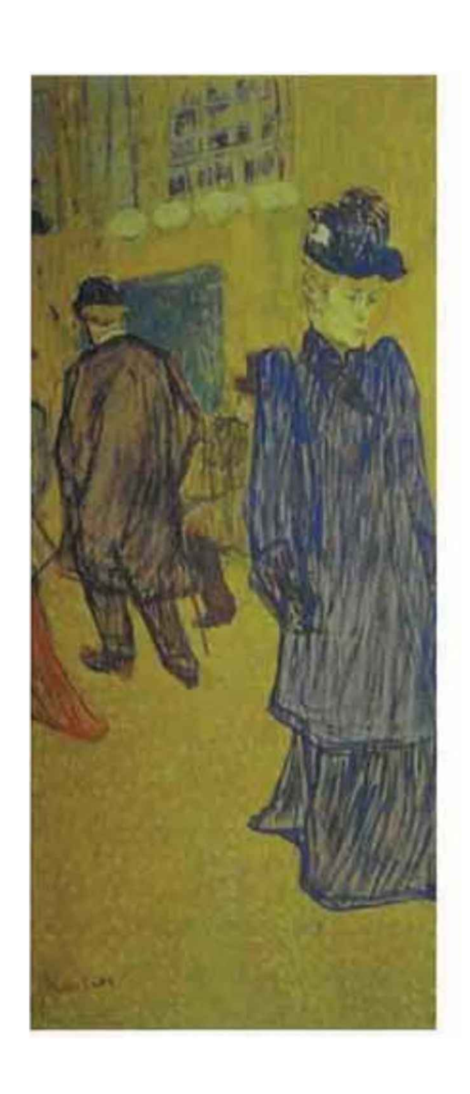
عابد عبدالمنعم السوداني
أستاذ العلوم الفيزيائية

التحرير ورد عدد من التعليقات على موضوع المراصد الفلكية، وقد خرج بعضها عن الموضوعية لذا نكتفي بنشر هذا التعليق الوافي، مع حق كاتب المقال في الرد إذا أراد.



المجنون

عز الدين سليمان سليمان
الرياض ـ السعودية



ليلى كانت رفيقة طفولته. تزوّجها بعد حين. نسيَ أنّها زوجته ومازال يبحث عنها.

لا تلوميه إذا ما أنْكرا
وجهَكِ النفّاحَ شوْقًا أخضرا

أيقظيه. ربّما إيماءةٌ
أيْقظتْ فيه لظًى مستعِرا

ربّما يذكرُ أحْلى ليلة
كنتِ فيها، ربّما لن يذكرا

ربّما يرجعُ للماضي كما
كان رقراقَ الأمانيّ، مُزهِرا

ربّما ينهضُ من غفْلته
نهرَ صحوٍ، ربّما لن يغفرا

ضمّدي الجرحَ. وردّي وجهَهُ
مثلما كان بهيًّا، أسمرا

وامسحي الحزنَ الخُرافيَّ الذي
لم يزلْ مثلَ الصّدى منتشِرا

من زمانٍ كسرابٍ عمرُهُ
من زمانٍ لم يذُقْ طعمَ الكرى

ويُناجي «تُوتَةً» يابسةً
يُدْمِنُ الحلمَ، ويهوى السَّهرا
كلَّما غابَ قُميرٌ مُتْعَبٌ
صاغَ منْ لحم الدَّياجي قمَرا
نَفرَتْ مثلَ غزالاتِ الرُّبا
فوقَ عينيهِ صَبَاحاتُ القُرى
حرِّري الأسرارَ من أغلالها
واكشفي بعضَ عناقيدِ الذُّرا
وافرشي تلكَ الضَّفيرات على
كفِّه مثلَ النَّدى، أو أطْهَرا
حجرًا إن كان يأتي ضارعًا
لاثمًا كفَّيْكِ، أو مستغفِرا
ربَّ عصفور ولا يدري بما
نَغَمِ الرَّوضِ يَسبُّ الشَّجرا
كان بالأمس طُفَيْلاً لاهيًا
أخبرَتْهُ الرِّيحُ ألاَّ يكبرا
كان يجري كفراشاتِ الرُّبا
ناعمَ البالِ، خليًّا أغبرا
فتهاديتِ كما جنّيَّة
لبستْ عطرَ الأقاحيْ مئزرا
كنتما بالأمس ريحانًا على
شُرْفةِ الواديْ، صبًا مُنهمرا
كم تناديه بصوتٍ راعش
وَهْوَ خلفَ الوارفاتِ استَتَرا
لم يلامسْ خصرَكِ البكْرَ، وما
هزَّ نَخْلاً مُزهِرًا، أو مُثْمِرا
لم يصِدْ غِزْلانَ واديكِ، وما
عَبَرَ الشَّطَّ وخاضَ الأنهرا
وإذا ينفرُ نَهْدٌ خَجِلٌ
أطْبَقَ العينينِ حتَّى لا يرى

مرَّةً شَمَّ جديلاً تائهًا
في بساتينِ الأضاحيْ أشْقرا
رقصَ الوردُ، وغنَّى شجرٌ
هدبَ الصَّحوُ غمامًا مُمطرًا
مرَّةً ضمَّ يديكِ فمشى
انحوه دفْلى السَّواقي زُمَرا
مرَّةً كم مرَّةٍ باحَ بما
لم يكنْ سرًّا، وعنه أخْبَرا!!!
فذرَّته كرمادٍ نسمةٌ
والعصافيرُ حكَتْه للورى
لم يزل يبحثُ عن «ليلى» التي
أنجبت طفلاً، ولكن ما درى
حاملاً نايًا عتيقًا، كلَّما
هبَّت الريحُ زقا، واستَنْفَرا
دفترُ الذِّكرى إذا مزَّقْتِه
جعلَ الصَّخرَ المُندى دفترا
عاد بالأمس، وفي راحتِه
صورةٌ مزَّقها مُستنكرا
قال: أنهيتُ بقايا سَفَري
وأنا كنتُ أُحبُّ السَّفرا
أشعلَتْ قنديلَها عصفورةٌ
وهي تبكي، وحكتْ لي ما جرى
قال «ليلى» امرأةٌ مجنونةٌ
صيَّرتْ ياقوتَ قلبيْ حجَرا
كلَّما مرَّ بعيني طيفُها
يصبح الدَّمعُ بعينيْ عَنْبرا
لمْ تَعُدْ «ليلى» وما عدْتُ أنا
فكلانا ضائعٌ خلفَ السُّرى
أنتِ يا ليلى كتابٌ أخضرٌ
وهْوَ يا ليلى يحبُّ الأخضرا



ساعات المطر

ميللي داندولو*
ترجمة: يحيى عبدالقادر الأمير
حماة. سورية

شيئًا فشيئًا في الصمت العظيم
لنهار قانظ
تنتشر وشوشة تهزّ راحتي
إنها تمطر.
يوشوش المطر الرقيق
فوق قناة النهر الخضراء
بصوته المعتاد
لكنه يقترب أكثر فأكثر
آه أكثر قربًا كي
يسمعه قلبي بشكل أفضل
وكي يبكي الألم الصامت
بينه وبين نفسه.
دون هذا البكاء الهادئ
الذي يدعوك دومًا إلى البكاء
أيها القلب الأخرس والمظلوم..
لن تتعذب طوال الحياة

لن تستطيع الحياة
إذا ما الشمس سطعت إلى الأبد
إذا لم تأت أيام الحزن الماطرة والشتاء
فسأموت من هذا الألم
إذا لم أشعر
في الساعات الأكثر حزنًا
بقلب لا يموت
يتعذب مثل قلبي
إذا لم أستطع في الساعات
التي تمطر ببطء أكبر
في ألم صامت
أن أبكي بهدوء.

* ميللي داندولو: كاتبة وشاعرة إيطالية ولدت عام ١٨٩٥م وتوفيت عام ١٩٤٦م اشتهرت بكتابة القصة والرواية نذكر منها: «سقطت امرأة» و «رأينا نجمة».



(أنا والشعر.. ومأساة الشاعر)

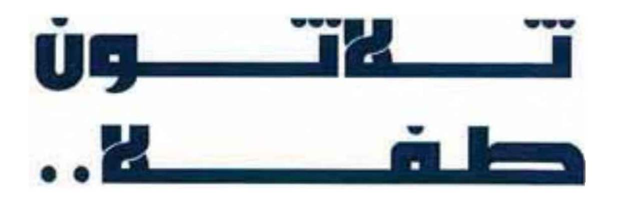
محمد عبدالله الهويمل
الرياض - السعودية

حملتُ السيفَ ليس إلى الجهادِ
ركبتُ الخيلَ ليس إلى الطِّرادِ
وزادي من طعامِ أبي فراسٍ
فتافيتٌ فنعمَ الزادُ زادي
وما في الكون غيرُ غناءِ سلْمى
تُهدْهِدُ طفلَها قبلَ الرُّقادِ
يغيبُ السندباد بمُقلتيها
وفي فمِها كنوزُ السندبادِ
واحمقَ صاح: يا فرسانَ عبْسٍ
أخوكم باعَ عبْلَةَ في المزادِ
فأبكانا ابنُ شدّادٍ فرُحْنا
نبيعُ العقلَ في سوق الكسادِ
لنشري بركَةَ شهباءَ صِرْفًا
عليها شُحنتانِ من الرمادِ
وأُغرقُ مُقلتي بالكُحل حتّى
أراها ترتدي ثوبَ الحِدادِ
بذرتُ تعاستي في ليل ليلى
لأقتطفَ السّعادةَ من سُعادِ
فإنّي ما ثقَبْتُ الشعرَ إلاّ
تطايرَ منه أسرابُ الجرادِ
سلامٌ من جنونِ الشّعرِ إنّي
رأيتُ جنونَهُ خيرَ الرشادِ
إلى أُتْرُجّةٍ مَرَّتْ عليها
رياحٌ لم تمرَّ بقومِ عادِ
هوَتْ أترجّةٌ ملساءُ منها
لأشربَها وأجعلَها وسادي
واستلقي على جَنْبي وأُصْغي
إلى أقصوصةٍ من شهرِ زادِ
فتشرب من فمي سبعٌ شِدادٌ
فأستلقي على السبعِ الشِّدادِ

❖❖❖

ومُهْرٌ يشبهُ الضلعَ المُحَنَّى
أغرٌّ من خيولِ بني إيادِ
تُحاصِرُه رِماحٌ مائلاتٌ
كأضلاعٍ تزودُ عن الفؤادِ
فلمّا نامتِ الأرماحُ عنه
وصار الحيُّ أجمدَ من جمادِ
أشرتُ إليه فاستعصى عِنادًا
وجئتُ له فزادَ من العنادِ
فلا واللّه ما في السيفِ خيرٌ
إذا لم أمْتَطِ ظهرَ الجوادِ
: أنا لصُّ الجيادِ!!. فخافَ مني!
ولم يهمس سوى: لامٍ؟؟. وصادٍ؟!؟
ضحكتُ له فبادلني بأخرى
وقال تعالَ يا لصَّ الجيادِ
وثبتُ عليه مجنونًا كأني
شرارٌ طار من قَدْحِ الزِّنادِ
ركبتُ الخيلَ مُنْتَشِيًا ولكنّ
ركبتُ الخيلَ ليس إلى الطِّرادِ





ثلاثون طفلاً..

حسن حميد
دمشق ـ سورية

(١)

كانوا ثلاثين طفلاً..

أسرتهم، وفرشهم، وملاعقهم، وصحونهم، وطعامهم، ومناشفهم، وأحذيتهم، وفراشي أسنانهم، وملابسهم، وكتبهم، ودفاترهم، وأقلامهم، وألعابهم، ونزهاتهم، ودروسهم، ووجوههم، وصفرة ألوانهم، وانكساراتهم، وضحكاتهم.. كلُّها كانت متشابهة!!

(٢)

كانوا ثلاثين طفلاً..

صافرة، ويستيقظون

صافرة، ويصطفون

صافرة، ويلعبون

صافرة، وينامون

صافرة، فيدخلون أو يخرجون!!

(٣)

كانوا ثلاثين طفلاً..

لا يعرفون المشاغبات، ولا الحنو، ولا الثورات، ولا النزق، ولا الطلبات الملحاحة، ولا الهدهدة أو المناغاة.

كانوا لا يعرفون الجري في الأزقة، ولا متعة الوقوف على باب البقال، ولا جمال الركض نحو الأبواب حين تقرع في البيوت، ولا الفرح بمجيء الضيوف، ولا الخوف الوهمي الألوف من صراخ الأمهات الناهرات.. وقد تلوثت ثيابهم أو توسخت رؤوسهم بعد لعب صاخب في الحارات، ولا روعة عودة الآباء في آخر النهارات ومعهم أكياس الفاكهة.. والحلوى، والثياب، ولا لذة تكاليف الأمهات: [أسال جارتنا أم سعيد، يا بني، إن بقي عندها حفنة رز لأطبخ لكم زبدية رز بحليب].

ولا نشوة الشعور بالأبوة حين يطلب الآباء: [قل لعمك تحسين، يا ولد، تعال واشرب الشاي معنا لكي يغلبك أبي عشرة طاولة].

(٤)

كانوا ثلاثين طفلاً..

في بناء واطئ، أصفر اللون.

له نافذتان كبيرتان، زجاجهما ثخين، وشجرة كينا طويلة لا يبدو من أوراقها الخضراء إلا القليل، وسياج من

شريط معدني شائك هجرته العصافير، وباحة رملية صغيرة لا تلبث أن تجمعهم كلما تناثروا، ومربية قصيرة ممتلئة.. ذات وجه مغلق قست عليها الحياة.. فدفعتها إلى هنا قسرًا: مربية تضخمت شفتاها أكثر لكثرة ما صفّرت بصفارتها المعدنية الكبيرة: مربية اختصرت الكلام والحنين.. في صافرة!!

(٥)

كانوا ثلاثين طفلاً..

لا ألوان لهم، ولا رغبات

كانوا هنا في هذا البناء، صباحًا ينشدون نشيد الوطن، ونصفهم يبكون بعدما عاقبتهم المربية عقابًا مؤلمًا لأنهم بللوا فرشهم ليلاً!!

وفي المساء يحيون المربية، ويندسون في فرشهم وهم يفكرون بكابوس السلس البولي إلى أن يأخذهم النعاس، فينامون بلا حكايات، بلا وعود صباحية!!

(٦)

كانوا ثلاثين طفلاً،

أصواتهم خافتة، ونظراتهم منكسرة،

ورقابهم قصيرة ضامرة!

كانوا.. بلا آباء، بلا أمهات!!





حكاية تروى من القلب

إدجار ألان بو *

ترجمة: عبير النجيبان

عنيزة – السعودية

بالفعل أنا متوتر جدًا.. متوتر بشكل مثير.. كنت كذلك، وأنا كذلك، لكن لماذا تقولون عني: إنني مجنون؟ هذا المرض، شحذ حواسي.. لم يدمرها ولم يبطلها، فوقها جميعًا حاسة سمع مرهفة.. سمعت كل صوت في السماء والأرض.. سمعت أشياء كثيرة من جوف الجحيم. كيف أكون مجنونًا إذن؟ اصغ إلي ولاحظ بأي برودة.. بأي هدوء يمكنني أن أحكي لك القصة كلها.

من المستحيل أن أخبرك كيف اقتحمت هذه الفكرة رأسي. لكن في اللحظة التي احتواها.. لاحقتني ليلاً ونهارًا. لم يكن هناك ثمة اعتراض.. لم يكن هناك أية عاطفة.

أحببت ذلك العجوز.. لم يُخطئني أبدًا.. لم يهني. ولم أبال بالمال الذي لديه.. أعتقد أن مشكلتي هي عينه! نعم، هي كذلك، واحدة من عينيه تشبه. عين النسر. عين بزرقة باهتة تختبئ من خلف غشاء، يجري الدم باردًا في عروقي أينما وقعت علي. وهكذا.. بالتدريج. وشيئًا فشيئًا. اتخذت قراري أن أنتزع حياة هذا العجوز وأخلص نفسي من عينه إلى لأبد.

والآن نصل إلى النقطة المهمة.. أنت تظن أنني مجنون؟ المجانين لا يعرفون شيئًا. لكن ليتك تراني.. ليتك ترى بأي حكمة أتقدم. بأي حذر. بأي بصيرة. بأي دهاء شرعت عملي.

لم يسبق أبدًا أن كنت حنونًا مع ذلك العجوز مثلما فعلت طوال أيام الأسبوع السابق لقتلي إياه.

في كل ليلة، قرابة منتصف الليل، أدير مقبض بابه وأفتحه بلطف شديد.. وهناك، عندما أترك فتحة كافية لإدخال رأسي.. أضع فانوسًا مُعتمًا.. مغلقًا.. مغلقًا تمامًا.. مغلقًا لدرجة أن لا ضوء يخرج منه البتة. عندها أقحم رأسي. كنت تنفجر ضاحكًا لو رأيت بأي مكر أدخلته وحركته ببطء شديد جدًا، ببطء حتى لا أزعج العجوز في نومه.. أخذ مني إدخال رأسي كاملاً. حتى أراه مستلقيًا في فراشه. ساعة كاملة، هل يمكن أن يكون المجنون حكيمًا إلى هذه الدرجة؟ ثم عندما أتخذ رأسي وضعه في الغرفة.. كشفت المصباح بحذر، بحذر شديد (لأن مفاصل المصباح أصدرت صريرًا). كشفته بعض الشيء ليقع شعاع رفيع فوق عين النسر. فعلت ذلك لسبع ليال طويلة. في كل ليلة.. بالضبط عند منتصف الليل. لكنني دائمًا ما أجد العين مغلقة، لهذا.. من المستحيل عليَّ أن أشرع في مهمتي.. العجوز لم يكن يغيظني.. عينه الشيطانية تفعل ذلك.

وفي كل صباح، عندما ينبلج الفجر. أمضي بجرأة إلى مخدعه، أتحدث معه بشجاعة وأناديه بنغمة ودود.. أسأله كيف قضى ليلته. وهكذا بإمكانك أن ترى أنه لو كان شديد البصيرة بالفعل، لشك أنني أتفقده كل ليلة وهو نائم عندما تدق الثانية عشرة بالضبط.

في الليلة الثامنة كنت حذرًا أكثر من المعتاد عندما فتحت الباب. دقيقة الساعة مضت بسرعة أكبر من دقيقتي.

لم أتحسس قبل تلك الليلة حدود قواي.. حدود حصافتي.. كنت أكاد أحتوي مشاعر النصر والفخر في صدري. أن أفكر أنني هناك أفتح الباب شيئًا فشيئًا، وأنه. لا

يحلم حتى. بمخططاتي السرية أو أفكاري. ضحكت ضحكة خافتة حينما خطر لي هذا الهاجس وربما سمعني هو لأنه تحرك في فراشه فجاة كما المفزوع.. هنا قد تظن أنني تراجعت، لكن. لا. حجرته كانت بسواد القطران تلفها ظلمة ثقيلة (كانت النوافذ مغلقة بإحكام خوفًا من اللصوص).

ولذلك.. علمت أن لا مجال له لرؤية فتحة الباب الذي ظللت أدفعه بثبات.. بثبات.

أدخلت رأسي وكنت على وشك أن أفتح الفانوس عندما انزلقت إصبعي على مزلاجة فقفز العجوز من فراشه صائحًا «من هناك»؟.

بقيت ساكنًا ولم أنبس ببنت شفة ساعة كاملة. لم أحرك عضلة واحدة. ولم أسمع صوت استلقائه.. بقي جالسًا في فراشه مستمعًا.. تمامًا مثلما فعلت، ليلة بعد ليلة استمع إلى الموت وهو يطل من الجدار.

في تلك اللحظة سمعت أنة خفيفة، وعلمت أنها أنة خوف رهيب.. لم تكن لألم، لم تكن لأسى. أوه. لا.. كانت لذلك الصوت المخنوق الذي ينبثق من أعماق الروح عندما تمتلئ ذعرًا. عرفت الصوت جيدًا.. الكثير منه كل ليلة، بالضبط عند منتصف الليل، عندما ينام الكون بأسره، ينبع من صدري، يعمق بصداه المفزع تلك المخاوف التي جعلتني افرق اضطرابًا وذهولاً.. أقول: إنني أعرفها جيدًا.. أعرف ما الذي شعر به العجوز.. أشفقت عليه على الرغم من أنني كنت أضحك في قلبي. أعلم أنه استلقى متيقظًا منذ تلك الضجة الخفيفة.. عندما عاد إلى فراشه. ازداد اضطرام مخاوفه.. يحاول أن يوهم نفسه أنها بلا مبرر، لكن.. لم يستطع أن يخاطب نفسه ويقول: «إنه ليس سوى صوت الريح في المدخنة»، «إنه ليس سوى فأر اجتاز أرض الغرفة»، أو «ليس سوى صرصار أصدر صريرًا لمرة واحدة».. نعم كان يحاول تهدئة نفسه بهذه الافتراضات.. لكنه وجد أنها جميعًا واهي: جميعها واهية، لأن الموت عندما اقترب منه طاف بظله الأسود أمامه، وغلف الضحية.. التأثير الحزين لهذا الظل غير المرئي هو الذي جعله يشعر. وإن لم يكن قد سمع أو شاهد. يشعر بوجود راسي داخل حجرته.. عندما انتظرت طويلاً بما فيه الكفاية، بجلد شديد دون أن أسمع صوت استلقائه قررت أن افتح شقًا صغيرًا جدًا في الفانوس المعتم. قد لا تتخيل بأي خلسة.. بأي خلسة فعلت ذلك.. سقط شعاع واحد كخيط العنكبوت، خرج من الشق، وسقط على عين النسر.

كانت مفتوحة. مفتوحة على اتساعها. ازداد اهتياجي حينما حدقت فيها. رأيتها بوضوح تام، زرقة باهتة، تستتر خلف غطاء بشع جعلني ارتجف حتى النخاع.. لم أر شيئًا من وجه العجوز أو هيئته، لأنني وجهت الشعاع، بشكل غريزي ليقع بدقة على تلك البقعة الملعونة.

والآن.. ألم أقل لكم: إن ما تحسبونه جنونًا إنما هو حدة حواس؟ أقول: إن صوتًا منخفضًا رتيبًا سريعًا وصل إلى أذني.. كما لو كان لساعة ملفوفة في قطن. أعرف ذلك الصوت أيضًا.. هو خفقان قلب العجوز. زاد الصوت من غضبي مثلما يحرض قرع الطبول شجاعة الجندي.

لكن حتى ذلك الحين أحجمت وبقيت مكاني.. كنت أتنفس بصعوبة.. حملت الفانوس دون حركة امتحنت مدى ثباتي في الحفاظ على الشعاع واقعًا على عينه.. في أثناء ذلك ازدادت دقات قلبه الشيطانية. أصبحت أسرع وأسرع.. أعلى وأعلى.. في كل لحظة. لابد أن رعبه كان بالغًا!! ارتفع أعلى، أقول أصبح أعلى في كل دقيقة. هل تعي ما أقول؟ أخبرتك أنني متوتر وأنا بالفعل متوتر. والآن في الليل، في ساعة الموت، في صمت هذا المنزل القديم المخيف، هذه الضوضاء الغريبة أثارتني إلى درجة خوف لا يحتمل، ومع ذلك أحجمت بضع دقائق وبقيت مكاني.. لكن خفقان قلبه أخذ يعلو أكثر فأكثر.. ظننت أن فؤاده سوف ينفجر.

استحوذ عليّ قلق من نوع جديد الآن.. سوف يسمع الجيران هذا الصوت!! ساعة العجوز قد أزفت، بصرخة عالية كشفت المصباح وقفزت إلى مهجعه. صرخ هو مرة



واحـدة . مـرة واحـدة فـقط . عـاجلت بجـره إلى الأرض وسحبت الفراش الثقيل فوقه. وهناك، ابتسمت بحبور.. عندما وجدت أن مهمتي قد تمت.. لبضع دقائق بعدها.. استمر خفقان قلبه بصوت مخنوق. هذا لم يغظني البتة.. مـثل هـذا الصـوت لم يكن ليـسـمـع من خلف الجـدران. بعدها توقف. مـات العـجـوز!! أبعـدت الغطاء، وتفحصت الجثة. نعم، كان كصخرة.. جـامدًا كصخرة. وضعت يدي على قلبه وأبقيتها هناك دقائق معدودة. لا يوجد نبض.. كان جامدًا كصخرة.. وعينه لن تزعجني مرة أخرى.

إن كنت مـا زلت تتوهم جنوني فـسـيـزول وهمك حينما أصف لك الاحتياطات القديرة التي اتخذتها لإخفاء الجثة..

بداية، شـرحـتـهـا إلى أجـزاء، قطعت الرأس ثم الذراعين ثم الساقين. بعدها أخذت ثلاثة ألواح خشبية من أرض حجرته وأودعتها جميعًا بين قطع الخشب ثم بدلت الألواح بذكـاء.. بمكر.. لن تـسـتـطـيع بـعـده عين بشرية . ولا حتى عينه . أن تكتشف أي خطأ.. لم يوجد ما يستدعي التنظيف . ولا بقعة من أي نوع . لا بقعة دم ولا أي شيء.. كنت مـتـيقظًا من هذه الناحـيـة.. حـوض الاستحمام تولاها جميعًا.. ها! ها!

كانت الساعة الرابعة عندما انتهيت من هذا العمل.. مـا زالت مظلمـة كمنتصف الليل. حـالما قرعت «الساعة مـعلنة الوقت.. أتى صـوت قـرع من باب الشـارع.. نزلت لأفتح الباب بقلب مبتهج . ما الذي يمكن أن يخيفني الآن؟ دخل ثلاثة رجال قـدمـوا أنفسهم بدماثة بالغة كموظفي شـرطة. سمع أحد الجيران صرخـة خلال الليل أثارت الشك حول حدوث أمر سيّئ، أبلغت المعلومات إلى مكتب الشرطة وأرسل (رجال الشرطة) لتحري المكان.

ابتـسـمت . مـا الذي يمكن أن أخـافـه؟ حييت هؤلاء السـادة وقلت: إن الصـرخـة صـدرت مني في غـرفـة أحـلامي أخـبـرتهم أن العـجـوز غـائب في زيارة للريف.

وأخذت زواري في جولة داخل المنزل.

تركتهم يفتشون جيدًا . قدتهم إلى مخدعه فرجتهم على ممتلكاته، كم هي مـحـفـوظة في أمـان لم تمس. وفي حماسة ثقتي بنفسي، جلبت بضعة مقاعد إلى الحجرة ورجوتهم أن يستريحوا هنا من عنائهم. بينما وضعت أنا . بتهور . بالغ في غمرة انتصاري الساحق . وضعت مقعدي في تلك البقعة حيث ترقد جثة الضحية تحتها تمامًا.

المفتـشـون كانوا في غاية الرضا.. سلوكي أقنعهم.. كنت مستـرخيًا بشكل فريد. جلسوا. بينما كنت ارد على تسـاؤلاتهم ببهجة.. تحدثوا عن أمور عـامة.. هذا كله حدث قبل أن أشعر بأنني أزداد شحوبًا وأتمنى لو أنهم مـضـوا.. رأسي أصـيـب بصـداع.. وتوهمت أزيزًا في أذني.. ومع ذلك بقوا جالسين واستمروا في حديثهم.. الأزيز أصـبـح أكـثـر وضـوحًـا . اسـتـمـر وأصـبـح أكـثـر وضـوحًا.. تحدثت بتبسط شديد حتى أتخلص من هذا الشعور لكنه استمر واكتسب صيغة أكثر تحديدًا.. حتى أدركت أن هذه الضـجـة لم تكن داخل أذني.. . بلا شك أنا الآن أكـثـر شـحـوبًا . مضـيت مـتـحـدثًا بطلاقـة أكـثـر وبنبـرة عـاليـة.. ومع هـذا، الصـوت يزداد.. مـا الذي بإمكاني فعله؟ كان الصوت منخفضًا، رتيبًا، سريعًا مثل صـوت سـاعـة ملفوفـة بالقطن. لهـثت كي أتنفس.. لكن الشرطة لم يسـمـعـوا الصـوت.. تحـدثت بسـرعـة أكـثـر بحماسة أكبـر الضجيج يزداد بثبات. لماذا لا يذهبون؟ خطوت جـيـئـة وذهابًا بخطوات ثقـيلة.. كـمـا لو أثرت بالغضب لملاحظتهم لي.. ازداد الضجيج بثـبـات.. يا إلهي مـا الذي يمكنني فـعله؟ أرغيت وأزبدت . حنقت . شـتـمـت . طوحت بالمقـعـد الذي كنت أجلس عليـه.. والضجة ترتفع.. تغطي على كل صوت وتستمر بازدياد . ارتفعت أعلى . أعلى . أعلى! والرجال يتحدثون بسعادة، ويبتسمون. هل من المعقول أنهم لم يسمعوا؟ يا إلهي . لا . لا! لقـد سـمـعـوا.. هم يشكون . هم يعلمـون . هم

يسخرون من مخاوفي، هكذا اعتقدت وهذا ما أعتقده.. أي شيء أرحم من هذا العذاب! أي شيء يمكن احتماله سوى هذه السخرية. لم يعد بمقدوري احتمال هؤلاء المنافقين أكثر! شعرت أن لا مفر لي من أن أصرخ أو أموت! . والآن . مرة أخرى أصغي! الصوت يرتفع أعلى! أعلى! أعلى! أعلى!

صرخت «آنذاك: كفاكم تظاهرًا! أقر بالجريمة.. مزقوا هذه الألواح! هنا، هنا . صوت خفقان قلبه البشع».

★ إدجار آلأن بو (١٨٠٩ . ١٨٤٩م) هو من أوائل الكتّاب الذين وضعوا للقصة القصيرة قالبها الفني الحالي وإن كان هو يرى أنه شاعر بالدرجة الأولى. فإن كثيرًا من النقاد ينظرون إليه على أنه مؤسس القصة البوليسية ورائد لقصص الخيال العلمي. ولد في بوسطن لأسرة فقيرة فتبناه تاجر تبغ اسمه John Allan حمل بو اسمه فيما بعد . انضم إلى الجيش الذي وفر له مادة كتابية خصبة ثم التحق بالكلية العسكرية وفصل منها .

حازت قصته Ms. Found in a Bottle على جائزة أفضل قصة قصيرة وسهلت له الحصول على منصب تحريري في مجلة Southern Literary Messenger نشر بعدها كتابًا بعنوان (Tales of Grotesque and Arabisque) في مجلدين تضمن قصته المشهورة (The Fall of the House of Usher).

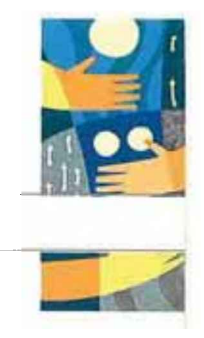
استمر في تحرير الكثير من المجلات لكن هذا كله لم يكف لضمان الكفاف لأسرته. عانى مرارة الفقر والعوز وتوفيت زوجته بعد موسم شتاء قارس، أصيب بعدها بالاكتئاب ثم حاول الانتحار.

توفي عام ١٨٤٩م. بعد وفاته نالت كتاباته الكثير من الشهرة واتسعت حلقة معجبيه ليصبح أعظم رموز القصة القصيرة في الأدب الأمريكي.

أفضل قصصه:

(The Fall of the House of Usher), (The Black Cat), (Ligeia), (The Murder in the Rue Morgue), (The Masque of the Red Death).

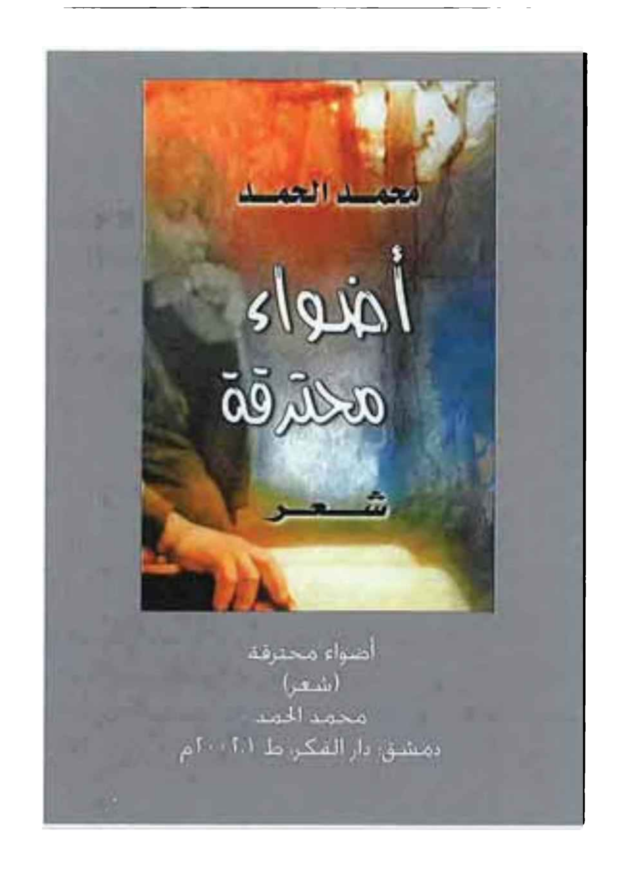




محمد الحمد في ديوانه الأول:

ثمة شيء يحترق!

جار الله الحميد
حائل ـ السعودية



تلقيت مفاجأة ندر أن منحني إياها صباح اليأس والكآبة حيث لا صوت سوى للفؤوس تكسّر اضلاع الطوب لتنشئ قفصًا آخر، وآخر له بابان، وباب آخر أتوماتيكي تسجن فيه السيارة. إشارات واضحة للعزلة. وإعلان صريح عن أي نية في الحوار. منْ يحاور منْ؟ إنه الشاعر الذي أراه للمرة الأولى (محمد الحمد)، الذي بعد أن انتهينا من طقوس السلام أعطاني هذا الكتاب الموسوم بـ (أضواء محترقة). وهو كتابه الشعري الأول.

إزاء استعراض كتاب (شعري) يمكن الحسم خلال دقائق قليلة بأنه شعر أو أي مادة غير لاصقة وغير ضارة وغير نافعة ولا اسم لها. عكس ما يخاتلك الروائي. أو القاص المتمكن لتخطي صعوبات تضاريسه، ومن ثم قراءته مرة أخرى. بحركة غريزية فحسب فتحت الكتاب على ص (١١) كانت هناك:

(برقٌ ورعدٌ والسيولُ: دم البشرْ
وقلوبنا....
زمن الفضاء من الحجرْ
متفرجون
مطر تناثر فوق أرض البانسين
يسقي ظما الشطآن عاصفة الدمار).

متفرجون

هذه القصيدة عنوانها (متفرجون) وهي جاءت في أول الديوان مع أن ثمة فيها الكثير من لغة (البيان الختامي) كالمؤتمرات، و(متفرجون) ليست تفسيرًا معجميًا لفئة يتجمهرون في ساحة ليشاهدوا عرضًا مسرحيًا أو غنائيًا أو رياضيًا. هي من هذه الناحية لا وجود لها. وجودها الحقيقي داخل مراكز معينة من مخّنا ومن ضميرنا الجمعيّ ويعني ما يشبه حالة (النوراستاينا) في علم النفس الإكلينيكي التي تتمظهر بما يمكن تسميته بالتعوّق والتبلد (الذهني والجسمي). على أثر انسحاب مادة كيماوية معينة يتعاطاها شخص ما كمزيلة للتوتر أو حافزة

الشاعر (محمد الحمد) يجب أن يتحمل مسؤولية أنه رجل يشكّل الشعر (جوهره)، و(عنوانه الإنساني) بحيث يلزمه الإخلاص الكلي واللا نهائي للصعود بتجربته هذه الممتازة

إلى النشاط أو على شكل (Alcholl) ، هادئين نتفرج. مذبوحين في اللاوعي الجمعي. ما حلّ بجارنا سيحل بنا.

ثمة سؤال خطر الآن: هل أن هذه السلبية والتشرذم أو الصمت. أقله. هو تطور نوعي في تركيبة الإنسان مما سيعيد الكرة إلى الجدال البيزنطي حول (نظرية النشوء والتطور).

والعادة في الخطاب النقدي (الفلسفي) وهو ما أحاول الانحياز إليه في قراءاتي التي ربما لا تثمر أكاديميًا، ولكنها أيضًا لا تخاطب النخبة فحسب، بل تضيء الطريق للساهرين الحيارى!

وهذا أيضًا سمة من سمات التطور والانتقال الإيجابي. لم يعد (دريدا) و(ميشيل فوكوه) وآخرون يمثلون مذاهب مؤطرة ضمن سياق (إيمان) واحد. إذا ذابت حدود النصوص فيما بينها.

الشاعر (محمد الحمد) يجب أن يتحمل مسؤولية أنه رجل يشكّل الشعر (جوهره)، و(عنوانه الإنساني) بحيث يلزمه الإخلاص الكلي واللا نهائي للصعود بتجربته هذه الممتازة. فلغته لغة الشعراء واهتماماته اهتمامات شهود العصر من مثقفي الأمة التي تمر منذ عام ١٩٤٨م حتى عام ٢٠٠٠م إلى عام ٢٠٠٣م بانكسارات جنتها على نفسها.

أظن أن النقد ليس مهمة إبداعية بقدر ما هي فلسفية، وعندئذ يلزم لقراءة الشاعر كتاب آخر.

في الفيتنام هرب الجيش الإمبريالي ممرغًا بالوحل مهزومًا بواسطة بنادق الصيد الصغيرة؛ لأن الذين كانوا يحملونها لم يكونوا على أي استعداد للتفاهم مع (العدوّ) الأول والوحيد لتجربتهم. وعندما يكون المرء غير مؤمن فلا يستحق أن يمنح سلاحًا في الحرب فهو أعجز من أن يستعمله.

فسحة عطرية

(محمد الحمد) في ريعان شبابه، وعلى الرغم من اكتظاظه بلعنات الواقع ومراراته يجد فسحة عطرية كهذه:

(كأسانْ
من زجاج
دافئانْ
والدّفء في المساءْ
إذْ تلف جنية الخيالْ
معصم السهرْ
كالبرد في الصباح
حين يصرخ الضياء
غارقًا
في غابة القدر
كأسان يلهثان
في مراتع السراب
أنا وأنت يا حبيبتي
كاسان
شفافان
حالمانْ
نجمتانْ
على مشارف السماءْ
تلمعان).

أظن أن النقد ليس مهمة إبداعية بقدر ما هي فلسفية، وعندئذ يلزم لقراءة الشاعر كتاب آخر.

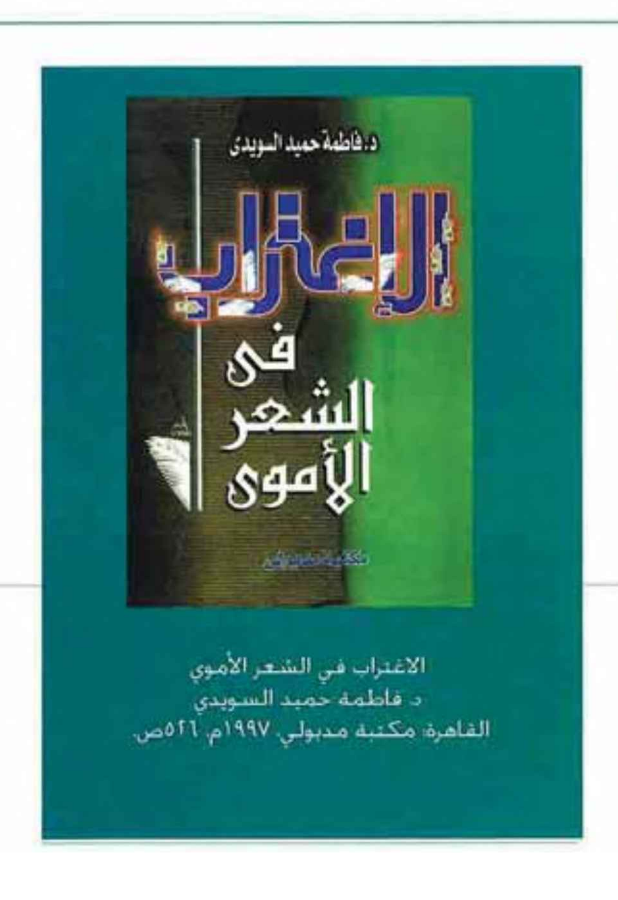
إنّ هذه القراءة لديوان الأستاذ (محمد الحمد) الأول تتوسل لغة الـ Privew عرض الكتاب الأجود كما في ملحقات الأدب والثقافة في السوق الصحفي الشاهق في الغرب.. وإلى حدٍّ ما.. في بعض الدول العربية.



رحلة عبر آفاق «الاغتراب في الشعر الأموي»

وجدان عبدالإله الصائغ

ذمار – اليمن



الاغتراب في الشعر الأموي
د. فاطمة حميد السويدي
القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٩٩٧م، ٥٢٦ص.

تفرض جدلية (التراث/ المعاصرة) نمطًا معينًا من الدراسات، وهو نمط يستمد وجوده من معينين: أولهما: التراث الشعري العريض الذي نفخر به ونعدّه جذرًا لأدبنا بل لهويتنا القومية، والآخر: علوم العصر ومنجزاته وفنونه. وتبدو فكرة المنظور المعاصر لجذور التراث منطقية بل وضرورية، ذلك أن الحضارة أي حضارة، والأدب جزء منها، لا يمكن أن تنهض دون قديم راسخ وجديد نام.

بين قوتين

ويصب كتاب «الاغتراب في الشعر الأموي» للدكتورة فاطمة محمد السويدي في هذا النمط من الدراسات، إذ تعالج همًا معاصرًا - له جذور في تاريخ الإنسان عامة - منعكسًا على الشعر الأموي الذي يصل بين جذوة الإبداع العربي في عصر ما قبل الإسلام، وعطاء العصر الإسلامي. بيد أن الشاعر الأموي تتجاذبه قوتان: الأولى: القيم الشعرية المستقاة من الشعر الجاهلي، والأخرى: قيم الإسلام وتعاليمه السمحة: وكان لابد من تفاعل على صعيد المفاهيم والصياغة على حد سواء، وإن بدت الصورة الشعرية وطبيعة صياغتها في العصر الجاهلي، والإيقاع الذي يحتضنها، ولغتها هي النموذج للقصيدة الأموية، على أن تستوعب هذه القصيدة قيم الثورة الجديدة ومنطقها وفلسفتها.

وكان لابد من مدخل للدراسة يقف عند مفهومها للاغتراب، وهو تحديدًا «الانفصام والانفصال وما ينشأ عنهما من اشتقاقات مكملة»(١) بيد أن هذا الحد يبدو عامًا ولا نجد الخصائص التفصيلية إلا في آراء الدارسين لهذا المصطلح ذي الإيحاءات المتشعبة على الصعيد السياسي والاقتصادي والأدبي. ولأن نسق الدراسة

> الشعراء من العصر الأموي كانوا "حقًا أبطال حقبة تاريخية ثرية بالأحداث والمشاعر، وكان شعرهم بوصلة حقيقية لهموم الإنسان المغترب في عصرهم، وفي كل العصور"

أكاديمي ذو طابع منهجي. فإن المهاد التاريخي لمصطلح الاغتراب ضروري ولا مناص منه، إذ يُلقي هذا المهاد «الضوء على وجودنا المعاصر بكل ما فيه من اغتراب تمتد بعض جذوره إلى تلك الحقب القلقة، ولا غرابة في هذا التوجه. فالدراسات التراثية التي لا تلامس وترًا مستمر النبض في النفس البشرية تفقد ركنًا مهمًا من أركان النجاح، وهو إثارة اهتمام معاصريها بجوهرها وما فيه من إسقاطات تنير لهم كثيرًا مما حولهم من أحداث»(٢).

أبواب وفصول

وتنهض خطة الكتاب على ثلاثة أبواب: الباب الأول: الموضوعات التي توزعت في أربعة فصول، انطوت على الاغتراب المكاني والسياسي والاجتماعي والعاطفي.

الباب الثاني: انصرف فيه الكتاب إلى الظاهرة الفنية كشعر الاغتراب؛ لذلك فقد قسم الباب في القسم الأول منه إلى دراسة الظواهر الأسلوبية والظواهر الفنية والموسيقا، وأفرد للدراسة التطبيقية القسم الثاني حيث عادت الدراسة إلى أنماط الاغتراب الأربعة: (المكاني والسياسي والاجتماعي والعاطفي) فدرستها من خلال نماذج شعرية تطبيقية ذات قيمة فنية عالية، وكان الباب الثالث، وهو الأخير، خاصًا بالتشكيل اللغوي الذي توسع فيه الكتاب بعض الشيء حين وقف عند موضوعات لغوية متنوعة لها صلة بمعجم ألفاظ الشعراء في العصر الأموي ذات الصلة بموضوع الاغتراب مثل مجال الألفاظ الدالة على الذات، والألفاظ الدالة على العلاقة مع الآخرين، والألفاظ الدالة على العلاقات المكانية والزمانية، ومجال الرموز الدالة على الاغتراب، والأدوات...

تبدو أبواب هذا الكتاب متجانسة إلى حد ما إذ استوعب الباب الأول (١٦٣ص) مضامين قصيدة الاغتراب، في حين استوعب باب الدراسة الفنية بشعبتيه (١٢١ص)، وكانت حصة باب التشكيل اللغوي (١١٨ص) وقد ألحقت الباحثة بكتابها ملاحق شملت ديوان ظاهرة الاغتراب، وفهارس عامة، وفهرسًا للأعلام، وقائمة بمصادرها ومراجعها. فضلاً عن مدخل الكتاب الذي خصصته لمصطلح الاغتراب، حيث استعرضت بعض تعاريفه، وانتقلت منه إلى طبيعة العصر الذي اختارته ميدانًا تطبيقيًا لدراستها، فلمحت بعض سماته، ثم ذكرت خطة بحثها ومنهجها في هذا البحث.

انتقاء النصوص

وتبرز الإضافة الحقيقية لهذا الكتاب من خلال أسلوب الباحثة في انتقاء نصوصها المحلقة في فضاءات الغربة، وفي استبطانها واستشراف معانيها. مما يؤكد قدرة الدكتورة فاطمة السويدي على التفاعل (الأكاديمي) مع إيحاءات الصورة الشعرية وصياغتها الفنية الموصولة بعصرها وبيئتها؛ فهي تصطفي قصيدة مالك بن الريب على سبيل الاستدلال نموذجًا للاغتراب المكاني إذ تقدم لها بقولها: (قصيدة مالك بن الريب أحد نماذج الشعر العربي المضيئة. تنبعث منها نبضات قوية حية لمشاعر إنسانية متدفقة تتشبث بالحياة وتشتاق إليها، وتقاوم الموت المتسلل بعنف ورفض. وهي أحد إفرازات اغتراب العربي المهاجر إلى الأرض الجديدة من أجل الفتوحات، كانت هجرة اختيارية طوعية إلى أرض خراسان البعيدة، ولكن الرحلة تظل محفوفة بالمخاطر وصعوبة التألق في بيئة تختلف اختلافًا جذريًا عن بيئة الجزيرة العربية الأم. وتزداد الرحلة قهرًا للنفس حيث يعتري المرء بوادر المرض أو الموت، وهي أشد أعراض التمزق النفسي التي تتعرض لها الشخصية العربية المحاطة دائمًا بالالتفاف الأسري والترابط الودي الشديد بين أفرادها) (٣). وبعد أن تقف الدراسة عند الجانب الدلالي لبنية القصيدة الجمالية فإنها تنتقل إلى الإيقاع وفضاءاته إذ يردد: اختار الشاعر البحر الطويل بتفعيلاته كي يعبر عن الحالة التي يمر بها. فتفعيلة (فعولن) القصيرة توحي بانقطاع أنفاس الشاعر من حالة السرد المتقطع التي يريد أن يسجلها في قصيدته الطويلة؛ بينما نجد التفعيلة الطويلة (مفاعيلن) تغريه بهذه التفصيلات الدقيقة التي تفيض بها مشاعره، ويتشبث من خلالها بعالم الأحياء ... وتؤدي القافية عملاً فنيًا كأداة للنداء يستخدمها الشاعر للتشبث بالحياة والتعلق بمن حوله. كذلك توحي إيحاءً (شديدًا) بمدى معاناة الشاعر خلال اللحظات الأخيرة، ومدى تمسكه بالحياة ورفضه لواقعه وماضيه اللذين دفعاه إلى هذا الموقف العصيب.

ويتقصى البحث آفاقًا جمالية أخرى فيتلبث عند انتقاء الشاعر لألفاظه، فما اختياره نباتي (الغضا) و(الأثل) إلا لأنهما يمثلان في مرجعيات الشاعر رموزًا تحيل إلى بيئته الأليفة التي يفتقدها. وينسحب هذا على لفظ (القلاص) المفصح عن (الفتيّة) من الإبل التي تومئ إلى إيحاءات القوة والعنفوان. وأما صفة (النواجي) فإنها تغمر الصورة الشعرية بأجواء النجاة أو بالأمل في فرصة للخلاص (٤). وتمضي الباحثة في فك رموز النص وفتح مغاليقه الدلالية وصولاً إلى كينونة (المسكوت عنه) في هذه المرثية.

وحين نقف عند الاغتراب العاطفي، فإن النموذج التطبيقي يكون قصيدة للشاعر الصمّة بن عبدالله القشيري، إذ تشير استهلالة تحليلها إلى أن «القصيدة من المطولات التي كتبها الشاعر، وقد عانى الإخفاق والضياع سنين طويلة، عانى الغربة المكانية واكتوى بنارها، وعانى الغربة العاطفية التي كانت السبب الحقيقي وراء تعدد أشكال الغربة لديه ... إذ نلاحظ انعكاس نغمة الأسى في اختياره البحر الطويل، وهو وزن وافر التفعيلات ممتدها، يصلح لعرض شكواه والإقناع بقضيته ... كذلك اختياره التاء رويًا للقصيدة وهي صوت شديد انفجاري يعبر بشكل حقيقي عن ضيقه، وعن طريقة ينفّس بها عما يعتمل في داخله»(٥).

اقتحام

إن الدكتورة فاطمة السويدي تقتحم عالم القصيدة الأموية بكل أدواتها البحثية ودربتها على تذوق النصوص وامتحانها والتوغل في تفاصيلها، بحيث تستقي منها كل ما يمت إلى موضوع (الاغتراب) الحيوي ذي الطابع القديم والحديث على حد سواء.

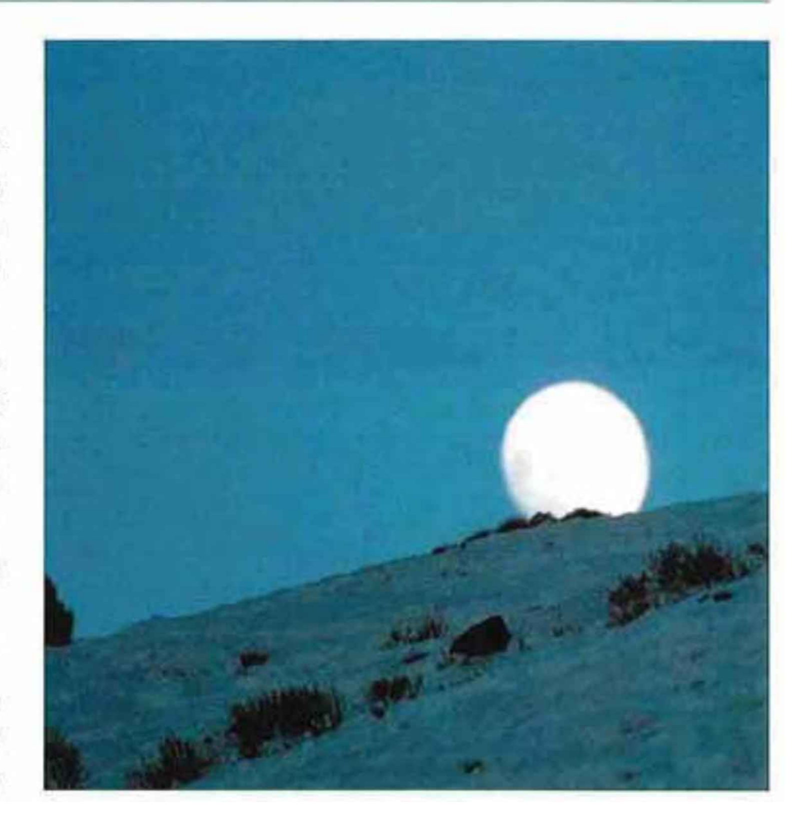
ويأخذ الباب الثالث طابعًا إحصائيًا تعيه الباحثة، إذ تشير في مطلع هذا الباب إلى أن هذه الدراسة «تعتمد على جمع الألفاظ الدالة على الاغتراب التي ألح عليها الشعراء في محاولتهم للتعبير عن المعاناة النفسية التي ترهق كاهلهم. كما تتناول مجموعة من المجالات تضم الكلمات الأكثر ترددًا في إطار مجموعات دلالية معجمية تعتمد في المقام الأول على سياق النص، لبيان العلاقات الدلالية في هذه الكلمات وتوظيفها في سياق هذه النصوص» (٦) وهذه الإحصاءات تحيل إلى بعض المناهج النقدية التي حظيت باهتمام أوساطنا النقدية والبحثية عامة كالبنيوية والأسلوبية والتفكيكية وسواها. إذ تنصرف هذه المناهج إلى النص ونسيجه اللغوي والنظر إليه على أنه قيمة بذاته، بيد أن طبيعة هذه الدراسة لا تسمح بظاهرة قطع النص وعزله من أطره وسياقاته، بل على العكس من هذا، إذ إن الباحثة فاطمة السويدي ترى النص من خلال إطاره التاريخي والاجتماعي والسياسي والنفسي، مما يجعل هذه الدراسة تغترف بعض معطيات المنهج التاريخي والاجتماعي والنفسي وغيرها من المناهج التي تجلّي بؤرة النص وفضاءاته الدلالية.

الدكتورة فاطمة السويدي تقتحم عالم القصيدة الأموية بكل أدواتها البحثية ودربتها على تذوق النصوص وامتحانها والتوغل في تفاصيلها، بحيث تستقي منها كل ما يمت إلى موضوع (الاغتراب) الحيوي ذي الطابع القديم والحديث على حد سواء

للاغتراب سمات فنية

وعلى طريقة الدراسات (الأكاديمية) تضمن الباحثة خاتمة الكتاب نتائجها البحثية التي تشير إلى أن موضوع

الباحثة ترى النص من خلال إطاره التاريخي والاجتماعي والسياسي والنفسي، مما يجعل هذه الدراسة تغترف بعض معطيات المنهج التاريخي والاجتماعي والنفسي وغيرها من المناهج التي تجلّي بؤرة النص وفضاءاته الدلالية



الاغتراب جدير بالدراسة لأنه «يشكل ظاهرة مصاحبة للوجود والواقع النفسي للإنسان ... وكان من الطبيعي أن تنشأ هذه الظاهرة وتتجذر مع تشعب الحضارة العربية واتساعها لعدة حضارات، بحيث تميزت ظاهرة الاغتراب في نهاية المطاف بسمات فنية خاصة بها، وهذا ما حاولنا استخلاصه والتركيز عليه» (٧).

ومن ثمار هذه الرحلة أن ظهور «الاغتراب المكاني في العصر الأموي كان نتيجة طبيعية لمجموعة من العوامل المعقدة، أبرزها العامل الاقتصادي والعامل السياسي، ثم العامل الاجتماعي الذي يمكن اعتباره محصلة لتشابك العاملين السابقين»(٨).

وتنفذ النتائج إلى دور المرأة في الاغتراب فيرد «ووسط تلك الحالات المتشعبة يستحق موقف المرأة من اغتراب الرجل وقفة خاصة. فقد كانت هي الزوجة والابنة والحبيبة. كان المجتمع يفرض عليها أن تكتم مشاعرها. لكن كان الشعراء يتحدثون بلسانها وينقلون بعض أشكال معاناتها ويحاورونها في قصائدهم، وكانت في معظم الحالات تؤدي دورًا إيجابيًا في تخفيف غربة الرجل أو زيادة حدتها ودفعها إلى حدودها القصوى»(٩). ويستأثر الاغتراب العاطفي بنتيجة طريفة هي أن تلك التغيرات التي بدلت البنية الاجتماعية، وأدخل فيها الكثير من التعديلات، دفع المجتمع العربي ثمنها من خلال عواطفه وعلاقته بالكون والمرأة. وقد كوّن الغزل العذري، والظروف المحيطة به تربة صالحة للاغتراب بمختلف أنواعه، ولعدم القدرة على التكيف كان الشاعر العذري ينتهي إلى العزلة التامة، وربما إلى الاتهام بالجنون، كما حصل في بعض الحالات التي يسهل تفسيرها من وجهة نظر علم النفس الحديث، لكنها كانت عصيّة على التفسير عند أهل عصرها.

ويخلص الكتاب إلى القول بأن الشعراء من العصر الأموي كانوا «حقًا أبطال حقبة تاريخية ثرية بالأحداث والمشاعر، وكان شعرهم بوصلة حقيقية لهموم الإنسان المغترب في عصرهم، وفي كل العصور»(١٠)، وبذلك فإن دراسة الدكتورة فاطمة السويدي (الاغتراب في العصر الأموي) **تأتي مكملة لدراسات أخرى كتبت في المجال ذاته في عصر ما قبل الإسلام؛ ولا ريب في أن العصور اللاحقة تحتاج إلى أن تدرس ظاهرة الاغتراب فيها وصولاً إلى العصر الحديث من أجل أن تكتمل الرؤية إلى هذه الظاهرة الإنسانية التي انسحبت على أكثر من نشاط بشري، وانعكست على الشعر العربي في عصوره الزاهرة.**

المراجع

١. د. فاطمة حميد السويدي، الاغتراب في الشعر الأموي، مكتبة مدبولي، القاهرة ١٩٩٧م. ينظر مدخل الكتاب (أ - د).
٢. نفسه، ص ٢٠ المدخل.
٣. نفسه، ص ٢١٠.
٤. نفسه، ص ٢١٤.
٥. نفسه، ص ٢٨١.
٦. نفسه، ص ٢٩٤.
٧. نفسه، ص ٤٨٢.
٨. نفسه، ص ٤٨٢.
٩. نفسه، ص ٤٨٤.
١٠. نفسه، ص ٤٩٢.





فاييخو آخر أقطاب المسرح الأسـ



محمد القاضي

طنجة – المغرب

في المسرح الإسباني المعاصر يعد أنطونيو بويرو فاييخو المسرحي الذي يحظى باهتمام كبير داخل إسبانيا وخارجها بلا منازع. وقد أثارت وفاته في شهر مايو/أيار عام ٢٠٠٠م، أجواء الأسف والألم الشديدين في عالم الثقافة الإسبانية. إذ كان أحد كبار الشخصيات الأدبية الإسبانية خلال النصف الثاني من القرن العشرين.

ولد أنطونيو بويرو فاييخو في ٢٩ سبتمبر/أيلول ١٩١٦م بمدينة وادي الحجارة (وسط إسبانيا) من أسرة متوسطة الحال. كان أبوه مهتمًا بالثقافة وفي مكتبته عرف بويرو أمات الكتب في العلوم والفنون: «كان أبي مثل كثيرين من الناس أيام طفولتي من أشد المعجبين بالمسرح. كان لديه بعض الطبعات الشعبية التي كانت تنشر حينئذ بلا مقابل، وكان لها جمهورها العريض. هذه المجموعة كانت تتضمن في المقام الأول الأعمال التي كانت تعرض على خشبة المسرح، وأحيانا بعض الأعمال غير المعروفة، ولكن لكتاب غير معروفين. وأحيانًا أخرى بعض الأعمال الأجنبية المهمة أو الكلاسيكيات الإسبانية المتميزة. كان كل ذلك في متناول يدي منذ الصغر»(١). استهواه الرسم والمسرح منذ طفولته فجمع بين حب المسرح والرسم وهما الأمران اللذان حددا اتجاهه الأدبي بصفة عامة.

التحق بأكاديمية الفنون الجميلة (سان فيرناندو) في مدريد عام ١٩٣٣م. وبعد سنة بدأ حياته العلمية فنانًا تشكيليًا في فن الرسم. وفي يوليو/ تموز ١٩٣٦م انفجرت الحرب الأهلية التي تطوع فيها عدد من المثقفين الإسبان ومنهم فاييخو في صفوف الفصائل الشعبية الإسبانية؛ وذلك للمساهمة في وضع حد للتمرد العسكري القائم آنذاك، لكن انهزام الجمهوريين في الحرب أدى إلى اعتقاله وسجنه والحكم عليه بالإعدام لكن الحكم خفف فيما بعد إلى سجن مؤبد ثم أفرج عنه عام ١٩٤٦م.

من فن الرسم إلى المسرح

خلال انخراطه في صفوف المقاومة الإسبانية اجتهد فاييخو للتعبير عن أفكاره بالرسم فنشر لوحاته في المجلات، لكن موهبته عاندته بعد استقرار الأوضاع في إسبانيا فخاض عدة محاولات لكتابة القصة، لكنه تركها ليكتب المسرح الذي كان يتابعه عن كثب، وأن الدراما هي الإطار المناسب لتحقيق خبراته وطموحاته الإنسانية والفكرية. «إن للدراما دائمًا كثيرًا من الصفات المشتركة مع الرسم؛ لأنها في الوقت نفسه تعدّ فنًا من الفنون الثقافية المهمة، وأعتقد أن العلاقة بين الفنين تتحلى بترابط أكثر شيوعًا مما يعتقد عنها. إن أدباء كثيرين مثل: أوريبيدس، وإبسن، وستريندبيرج، وكالدوس، ورافائيل ألبيرتي، وروستيل وآخرين بدؤوا حياتهم رسامين، ثم اتجهوا إلى طريق آخر، ومع ذلك كانوا يرسمون من حين إلى آخر»(٢).

ومنذ خروجه من السجن عام ١٩٤٦م، حتى وفاته لم يعد يستهويه غير الكتابة المسرحية، وترك فن الرسم نهائيًا. وكان لتجربة الحرب والسجن التي عاشها على مضض تأثير بليغ في أعماله التراجيدية، ومن ثم جاءت مناهضته الراسخة للرقابة، ودفاعه المستميت عن الحرية، وإحساسه العارم بمأساة الكائن البشري حيث ينعكس كل ذلك في مسرحياته، فأصبح بذلك من أشهر الكتاب المسرحيين من هذا القبيل في إسبانيا. وكانت أول أعماله مسرحية «الظلام الملتهب» التي كتبها عام ١٩٤٦م، وآخرها مسرحية «مهمة في قرية غير مأهولة» عام ١٩٩٨م. ففي ١٤ أكتوبر/ تشرين الأول ١٩٤٩م، جرى بمدريد العرض الافتتاحي لعمله المسرحي «حكاية سلم» الذي حصل بفضله على جائزة (لوبي دي فيغا) والذي فرض على الأساتذة أن يعيدوا النظر وأن يبحثوا في تلك النصوص التي كتبت بعد الحرب الأهلية ليكتشفوا أن المسرح الإسباني الذي أصابته صدمة الحرب الأهلية (١٩٣٦ - ١٩٣٩م) لم يمت نهائيًا؛ لأن المسرح الإسباني الذي بدا ميتًا ما لبث أن استردّ أنفاسه ليواصل مسيرته بخطا ثابتة على يد مجموعة من المسرحيين الذين حملوا على كاهلهم مهمة التقدم وشق الطريق أمامه، سواء في إسبانيا ذاتها أو في المنافي التي حملتهم إليها نتيجة الحرب. «ويبدو التنازع حامي الوطيس بين مختلف القوى والاتجاهات

لعل الظاهرة الأساسية في مسرح فاييخو أنه مسرح سياسي في الدرجة الأولى، وقد حظي بقبول شبه إجماعي، لأنه أعمق ثورية بحيث يزرع في نفس متلقيه أسس الرفض وبذور الثورة بطريقة درامية ناضجة تعزف عن الإثارة

إن المتتبع لإنتاج فاييخو يرى أنه قد بلغ في "حلم العقل" ذروة النضج الفني، إذ تفوق على نفسه وبدأ صفحة جديدة في تاريخه الدرامي، وربما في تاريخ المسرح الإسباني كله

والأمزجة وهو الذي عكسه الأدب الإسباني في السنوات العشر التي تلت حكم (فرانكو) بكل وضوح، يبدو وبعلنية متميزة في المسرح الذي سماه لوركا (مقياس الحياة الاجتماعية)، فالماضي يرفض بعناد الاستسلام والتخلي عن مواقعه» (٢)

بعد ذلك عرض فاييخو أعمالاً أخرى حظيت أيضًا بإقبال الجمهور، نذكر منها ما يأتي: «الظلام الملتهب عام ١٩٤٦م»، و«الوصيفات عام ١٩٥٦م»، و«اليوم عطلة عام ١٩٥٧م»، و«الحالم للشعب عام ١٩٥٨م»، و«مهرجان سان أوبيديو عام ١٩٦٢م»، و«المنور عام ١٩٦٧م»، و«أسطورة دون كيشوط عام ١٩٦٨م». ترجمت إلى اللغة العربية عام ١٩٧٩م. و«حلم العقل عام ١٩٧٠م». ترجمت إلى اللغة العربية عام ١٩٧٩م. و«الانفجار عام ١٩٧٤م»، و«القصة المزدوجة للدكتور بالمي عام ١٩٧٤م». ترجمت إلى اللغة العربية عام ١٩٧٤م. و«المؤسسة عام١٩٧٤م». و«وصول الآلهة عام ١٩٧٦م»، و«قضاة الليل عام ١٩٧٨م»، و«التمساح عام١٩٨١م»، و«الحوار السري عام١٩٨٤م»، و«موسيقا قريبة عام١٩٨٩م»، و«مهمة في قرية غير مأهولة عام ١٩٩٨م». وغيرها من الأعمال التي تقارب ٢٧ عملاً مسرحيًا ناجحًا. وقد ترجمت أعماله إلى عدد من اللغات (١٨ لغة). كما قدمت مسرحياته في جل العواصم الأوربية والولايات المتحدة الأمريكية وأمريكا الجنوبية، وحصل على جوائز تقديرية كثيرة، أهمها جائزة



لايخلو مسرح فاييخو من الدراما والألم

(سرفانطيس) عام ١٩٨٦م، والجائزة الوطنية للآداب التي تمنحها وزارة الثقافة الإسبانية للاعتراف بمشواره الأدبي عام ١٩٩٣م، فضلا عن اختياره عضوًا في الأكاديمية الملكية للغة الإسبانية عام ١٩٧١م.

فاييخو والدراما الإسبانية

تتوزع أعمال فاييخو المسرحية إلى مجموعتين: أولاهما المسرحيات التي تعدّ وثائق اجتماعية، وتتناول قضايا الإحباط في المجتمع الإسباني ابتداء من «حكاية سلم» التي تناول فيها مشكلات ما بعد الحرب الأهلية الإسبانية، وهي ذات طابع إنساني وأخلاقي، إذ إنها «ترأس القواعد الخاصة بوضع المشاكل الجماعية العميقة على خشبة المسرح الكبيرة وتتجاوز محاولات الهروب السابقة عليها، التي كانت تلجأ إلى الصراعات الفردية وأشكال الحياة العامة في المسرح الإسباني» (٤).

ويذكر الكاتب بيريث مينيك في كتابه: «المسرح الأوربي المعاصر»: أنه عندما صعدت هذه المسرحية إلى خشبة المسرح أحدثت رجة شبيهة بما أحدثته مسرحية


فاييخو

(لوركا) «عرس الدم» عام ١٩٣٢م. وكان على الجمهور أن يدرك بوعي كامل أن روحًا جديدة قد دبت في المسرح الإسباني الذي اكتسب هياكل مستحدثة، واكتسب شيئًا أخطر من ذلك وهو مولد مؤلف مسرحي معني بالحياة الإسبانية في وجودها الحقيقي وآلامها الدفينة (٥).

أما المجموعة الثانية فهي تقع داخل الإطار التاريخي: ويقدم فيها المؤلف رؤية للجذور العميقة التاريخية للأوضاع الراهنة، وقد تناول فيها بعض المراحل والشخصيات التي تزعمها الوزير الإيطالي إسكيلاتشي في مسرحية «حالم للشعب» و«الوصيفات» التي تعرضت لرسام إسبانيا الشهير فيلاسكيث ومسرحية «حلم العقل» التي تناولت حياة الرسام الإسباني الكبير غويا، وتقع أحداث المسرحية عام١٨٢٣م، في تراجيديا تاريخية، وذلك بوضع الفنان الليبرالي الشيخ المسن الأصم في مواجهة مع الملك فرناندو السابع الحاقد، ويحمل جو القمع السياسي سمات مشابهة لإسبانيا إبان حكم الديكتاتور فرانكو الذي كان يعادي الثقافة. إن ديكتاتورية (الموت للذكاء) كانت اختيارًا سياسيًا اتخذ بوعي كامل خاصة التجهيل الكنائسي. تكتسب شخوص غويا في «حلم العقل» حياة درامية على خشبة المسرح، كما فعل البيرتي في مسرحية «ليلة حرب في متحف الباردو». وقد يكون من

تتوزع أعمال فاييخو المسرحية إلى مجموعتين: أولاهما المسرحيات التي تتناول قضايا الإحباط في المجتمع الإسباني، أما المجموعة الثانية فيقدم فيها المؤلف رؤية للجذور العميقة التاريخية للأوضاع الراهنة

المهم القيام بتحليل مقارن للتلازم والاختلاف، وكيفية المعالجة الدرامية لعالم الفن عند كل من هذين الكاتبين الرسامين. وفي تحليل كهذا يصبح من الواجب إدراج دراما رائعة أخرى لفاييخو، وهي «الوصيفات».

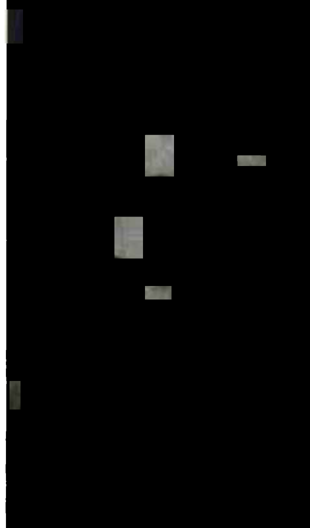
إن فاييخو الذي جعل من كلمة (حلم) عناوين لبعض مسرحياته تعادل الهروب من الواقع «ويعني أنه من الممكن إعطاء الواقع أجنحة للتحليق، ويجب علينا أن نتبع هذا الطريق، ولا نقتصر على التمسك بإمكانية الإصلاح اليومي، بل نتعداه إلى المستقبل البعيد حتى لو كان من خلال الحلم»(٦).

إن المتتبع لإنتاج فاييخو يرى أنه قد بلغ في «حلم العقل» ذروة النضج الفني، إذ تفوق على نفسه وبدأ صفحة جديدة في تاريخه الدرامي. وربما في تاريخ المسرح الإسباني كله، فكثيرًا ما كنا نجد مؤرخي الأدب الأوربي يأخذون على المسرح الإسباني المعاصر ـ خاصة بعد لوركا ـ طابعه المحلي الإقليمي، وانفصاله عن التيارات العالمية في أشكالها التقدمية الجريئة مشيرين إلى خلوه مثلاً من نماذج العبث واللامعقول وانحصاره

كان لتجربة الحرب والسجن التي عاشها على مضض تأثير بليغ في أعماله التراجيدية، ومن ثم جاءت مناهضته الراسخة للرقابة، ودفاعه المستميت عن الحرية، وإحساسه العارم بمأساة الكائن البشري

في نطاق الواقعية الجديدة التي استنفدت طاقتها، وأضحت عاجزة عن الوصول إلى أعماق الإنسان المعاصر. ولقد كان التعسف والافتعال في انتظار مثل هذه الأعمال من المسرح الإسباني الذي يتبع في تطوره منطلقًا فنيًا ليس معزولاً عن التجربة المسرحية العالمية بقدر ما هو خاضع لعوامل قومية تضفي عليه صبغة متميزة. ولكن ظهور (حلم العقل) يشير إلى نتيجة مهمة وخطيرة، وهي أن التطور الثقافي والفكري لإسبانيا لا يبعد بها كثيرًا عما يحدث في جاراتها، بل إنه يقود الفنانين فيها إلى الاتجاهات نفسها بطريقة عفوية لا يمكن لأكثر الناس تجنبًا أن يعدّها من قبيل التقليد (٧).

يقاسم المتفرجون صمم غويا في «حلم العقل» وعندما يقول له أحد النقاد تعليقًا على هذه المسرحية: إن المنظر الأساسي هنا هو عرض الصمم، فالمشاهد يجد نفسه مضطرًا إلى أن يتأمل داخل عقل الأصم ويستبطه، حيث توجد خيوط مختلفة تجمع بين المشاهد والعرض، وهي بدورها تصل إلى عدة مستويات في فهم الشخصية، وهذا يعني أن هناك تشتيتًا عميقًا لأنشطة البطل العقلية، أي أننا بصدد انعكاس مسرحي لضمير إنسان ملتهب على حافة الخلل، وهذه نقطة حساسة تقع في قلب الفكر المعاصر بشقيه الماركسي والوجودي، وهي من الموضوعات الكبرى التي تمثل محورًا رئيسًا في موقف المثقف أو الفنان اليوم في مجتمعاتنا المعاصرة وأخص بالذكر المثقف أو الفنان لسهولة التمثيل لكن الواقع أنهما يعكسان بدورهما مشكلة تحطم الوعي في ظل المجتمع القاهر فيتصدى فاييخو لإبراز الجانب الإيجابي في القضية قائلاً: يمكننا أن نقول: إن الأمر هنا يتصل بموقف استلاب مرئي من الداخل، ومع ذلك فيهمني أن أوضح أنه في هذا الاغتراب يكمن في رأيي أصل الحرية، فأنا أقبل الواقع المغترب ما دام يربطني بالحقيقة، ولا يجعلني أفهمها ككارثة مطلقة منتهية تمامًا، فالاستلاب ليس شيئًا حتميًا لا نستطيع أن نتجاوزه ونتسامى عليه، إنه ظاهرة مفهومة تاريخيًا ومرتبطة جزئيًا بظروف كل شخص على حدة، ولهذا تبقى لكل شخصية مستلبة مناطق متعددة يمكنها ممارسة حريتها فوقها، وهذا بالذات ما يجعل من الممكن داخل الاستلاب التاريخي ظهور أعمال وحركات إيجابية جماعية أو فردية،



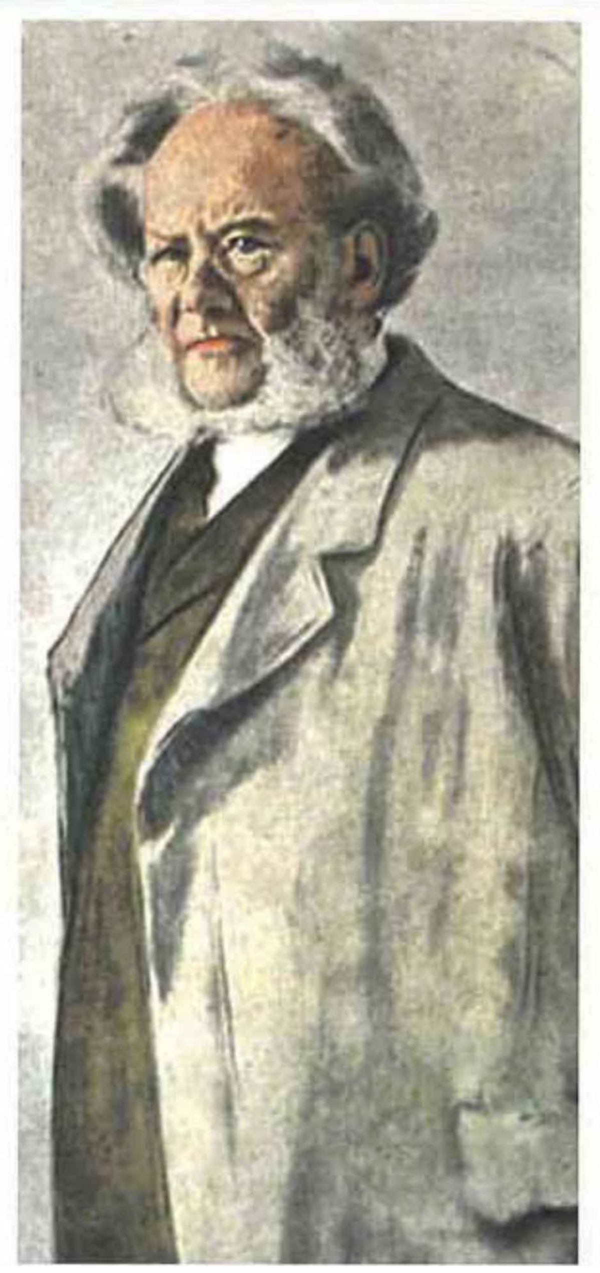
ستريندبرج



كافكا

وأحسن أعمال الخلق الفني هي سلسلة من الجهود الموجهة لمقاومة الاستلاب، فتحت وطأة انسحاق الوعي اليوم تنشأ محاولات إصلاح النفس وإمكانات إدراك القوى الكامنة وتوجيهها في المجتمع (٨).

أما مسرحية «الظلام الملتهب» التي كتبها عام ١٩٤٦م، وتم تقديمها على مسارح إسبانيا عام ١٩٥٠م، فهي ذات مغزى عميق، يضع فيها المشاهدين أمام مركز لتعليم الشباب كلهم عميان منذ الولادة، وتطفو على سطح المسرحية حقيقة مرة مضمونها نكران حقيقة العمى لدى هؤلاء، وجعلهم يعيشون في قناعة محدودة لا تعدو المقاييس المتفق عليها بالنسبة إلى هؤلاء الذين أصيبوا بهذه العاهة، وفي بداية موسم دراسي جديد يلتحق بالمركز طالب يدعى إجناسيو سوف يعارض ويناهض بشدة الأكاذيب الرسمية التي يروجها المركز حول العمى والقول جهارًا وبكل جرأة أنه أعمى كما أن جميع الذين يتابعون دراستهم بهذا المركز هم عميان كذلك وأن همهم الوحيد هو رغبتهم في أن يصبحوا مبصرين، أي أن يروا العالم مثل سواهم، ويشير الباحث الإسباني ريكاردو دوفيش أستاذ كرسي في المدرسة العليا للفن الدرامي بمدريد: إلى أن العمى هنا هو رمز لمحدودية الكائن البشري وأن الرغبة في الرؤية أو النظر تعني التطلع نحو المطلق، وهذه هي المفاتيح الأساسية لفهم هذه المسرحية وبشكل عام لفهم مسرح فاييخو.. (٩).



إبسن

أما فاييخو فيصرح قائلاً: لا اعلم تمامًا لماذا اجتذبني هذا الموضوع ـ شخصية الكفيف ـ أكثر من غيره، فأنا لم أمر في حياتي بخبرات شخصية مع كفيف البصر، لكن مع ذلك استحوذ موضوع فقد البصر على تفكيري، لا أدري لماذا، ربما بسبب قراءاتي أعمال كتاب آخرين تم فيها تناول الموضوع ذاته بشكل لافت

... استخدمت مفهوم فقد البصر بشكل رمزي في أعمالي، لكن ليس بالضرورة أن أكون وظفته لتصوير إنسان هذه الفترة (يعني حكم فرانكو) بشكل مطلق. أنا لم أحدد لنفسي قواعد بخصوص هذا الشأن، ففي



رافائيل ألبرتي

بعض الأعمال كنت أرسم ملامح شخصية الكفيف الحقيقي العادي. ففي مسرحية «الحالم للشعب» هناك راوي الرومانث الكفيف، ولكنه عادي ليست لشخصيته أي أبعاد رمزية. وفي أعمال أخرى كنت أرمز به لأزمات ومفاهيم أكثر عمقاً. لم تكن لدي قواعد بخصوص هذا الشأن على الرغم مما لهذا المعنى من أهمية في أعمالي، لكن هذا لم يتم أبداً بشكل مخطط سلفاً (١٠).

إن مسرحيتي «حكاية سلم» و«الظلام الملتهب» تعدان تقصيًا مهووسًا للظرف التراجيدي للإنسان كعنصر بارز من عناصر التاريخ، بل إن هذا الهاجس في تقصي الزمن تجده في مسرحيتين أخريين للكاتب وهما: «الحالم للشعب» و«الانفجار».

فاييخو والمسرح السياسي

لعل الظاهرة الأساسية في مسرح فاييخو أنه مسرح سياسي في الدرجة الأولى، وقد حظي بقبول شبه إجماعي، لأنه أعمق ثورية بحيث يزرع في نفس متلقيه أسس الرفض وبذور الثورة بطريقة درامية ناضجة تعزف عن الإثارة، وتحرك بطريقة فنية داهية وماكرة جميع القوى الفعالة وتشحذها بكثير من التبصر والأناة لتمضي هي بنفسها في الطريق الثوري الطويل، كما يفضل فاييخو أن يكون شاعرًا تتحرك الجماهير على إيقاعاته دون أن يظهر بينها، بل يظل راقدًا كظل كامن في طواياها أو على أحسن تقدير كنموذج يستحضرون صورته ويستلهمون روحه ومواقفه، وإن لم يسمعوا صوته الجهوري الصاخب المثير.

إن قدرة المسرح على التأثير في المشاهدين تبلغ ذروتها عندما يتحقق التساوق التام بين الأدوات البنائية والمقولات الفكرية والسياسية التي ينطوي عليها العمل. فقد صفق الجمهور طويلاً عندما عرضت مسرحية (القصة المزدوجة للدكتور فالمي) في مسرح «بينافينتي» بمدريد عام ١٩٧٦م بعد اثنتي عشرة سنة في أسر الرقابة الفرانكوية بينما تسرب النص إلى الخارج، فمثلت المسرحية في بريطانيا وأمريكا. وترجمت إلى اللغة العربية، وكان لها


ذروة تأثير المسرح عند تساوق الأدوات الفنية والمقولات الفكرية والسياسية

الصدى الذي تخلفه دائمًا مؤلفات فاييخو بمتانة بنائها وبساطة جمالها، وعالمية موضوعاتها.

لكن عرض المسرحية في موطنها له طعم خاص، طعم الانتصار المزدوج للمسرحية ولجمهورها، وتعدّ قمة المسرح العالمي كله. وتتعرض المسرحية لأزمة ضمير تستيقظ في أعماق مفتش شرطة يمارس التعذيب كل ليلة، في أثناء استنطاق المعتقلين السياسيين، يكتشف المفتش (دانييل بارنيس) «أزمته» حينما يتوجه إلى طبيب نفسي ليستشيره في شأن العجز الجنسي الذي أصيب به، وأصبح يهدد حياته العائلية واستقراره النفسي. وفي ثنايا الحديث يواجهه الدكتور ڤالمي الطبيب النفسي، بأن العاهة التي أصيب بها مرض مهني لا شفاء منه. وقد حدث «لبارنيس» ما يحدث لزملائه الذين يمارسون التعذيب. إن الكثيرين منهم تطاردهم الكوابيس في الليل ويعانون قرحة المعدة، وكل ذلك من جراء ممارسة الضغط على ضحاياهم لإجبار اللحم على أن يتكلم.

وفي مسرحية « المؤسسة» يعرض مستويي الواقع بالتتابع، تقع الأحداث في زنزانة حيث ينتظر عدد من السجناء السياسيين إعدامهم. وينتهي السجين الذي أدى اعترافه تحت التعذيب إلى إلقاء القبض على الآخرين، ينتهي بالجنون. ويتخيل السجن مكانًا باذخًا لمؤسسة علمية. ويتم تجسيد خياله في الديكور الذي تستهل به المسرحية والذي يغمر الجمهور في حالة بطله الذهنية، ويعي الجمهور تدريجيًا الواقع الخارجي فقط، وطرأ تحول على إطار المسرحية تدريجيًا بشكل يواكب استعادة السجين لعقله.

أما مسرحية «قضاة الليل» التي عرضت عام ١٩٧٩م، فهي تتحدث عن إنسان ظل فترة طويلة يشغل منصب وزير في حكومة فرانكو بعد موت الديكتاتور، يصبح هذا الإنسان نائبًا في مجلس الشيوخ عن الحزب الحاكم، ولكن وجهات نظره لم تتغير، غير أنه (بدل سترته) وتظاهر بأنه سياسي ذو فكر تقدمي، هذا الإنسان يقول بوقاحة واضحة: إنه مستعد لتبديلها مرة أخرى، إذا ما تطلبت الظروف هذا وذلك من أجل هدف واحد هو الإبقاء على السلطة في أيدي اليمينيين «نحن يجب ألاّ نتخلى عنها، حتى لو اضطررنا من أجل ذلك إلى الانتقال إلى جانب اليسار». ويبرهن المؤلف أن مثل هؤلاء بالذات هم الذين يخطون العمليات الإرهابية اليمينية، وهم المساعدون على حدوثها بصمت. وقد أزعجت المسرحية عددًا من الشخصيات، فأطلقوا كل الوسائل الهادفة إلى إيقاف العرض الذي لم يستمر إلا ما يقارب الشهرين وقد سئل مرة هل كانت أعماله في فترة ما تساعد على كشف التطور الاجتماعي خلال هذه الفترة. فأجاب قائلاً: «إن الأعمال يمكنها أن

ترشد الباحثين بهذا الصدد، ولكن ليس على أساس أنها وثائق تاريخية بحتة بل بصفتها رموزاً ومؤشرات ذات أهمية ومعنى في وقت حدوثها، ولا شك أن الدقة في التفاصيل ليست مطلقة بصفة دائمة في تلك الأعمال» (١١).

لقد امتازت أعماله الأدبية الرفيعة بالأصالة والبحث عن القيم السامية، والمعاني الإنسانية الرفيعة، وهو يعدّ من أفضل المسرحيين الإسبان في عصره بحيث لا تخلو مسرحياته من الدراما والألم، ويحظى مسرحه بالإقبال الكبير من الجمهور الواعي على الرغم من منافسة التلفزيون والسينما له، وكان الأديب فرانسيسكو ألفارو قد قام عام ١٩٧٦م، بتخصيص ملزمة منفصلة عن نقد مسرح فاييخو ضمن مشروعه الموسوعي عن المسرح الإسباني الحديث في ثمانية عشر مجلداً، وعدّه آنذاك عميد المسرح الإسباني المعاصر معدداً مدى ما وصل إليه هذا الكاتب المسرحي الكبير من شهرة في إسبانيا ودول أمريكا اللاتينية الناطقة بالإسبانية، كما صنفه الناقد الكوبي «خوسي تريانا» من بين أفضل المسرحيين الناطقين بالإسبانية في أيامنا.

المراجع والهوامش

١. انظر الحوار الذي أجرته معه سهير جابر عصفور، مجلة «الكرمل» عدد ٦٩، خريف ٢٠٠١م، ص ١٨٠.

٢. انظر الحوار الذي اجرته معه صحيفة الشرق الأوسط، عدد ٧يناير/ كانون الثاني١٩٩٢م، ص١٨.

٣. انظر مجلة الثقافة العالمية، عدد ٣٥، يوليو/تموز ١٩٨٧م، ص ١٣٥. (إسبانيا ما بعد فرانكو في مرآة الأدب) مقياس، ترجمه عاطف أبو جمرة.

٤. انظر: Garcia Pavon / Teatro Social En Espana Taurus - Madrid 1962/P.135

٥. انظر: Perez Minik- Teatro Europeo Conte Mporaneo/ Ed. Guadarr ama - Madrid - 1961/P. 384

٦. انظر: الشرق الأوسط / مرجع سابق.

٧. انظر: المقدمة التي كتبها مترجم مسرحية «حلم العقل» عدد ديسمبر/ كانون الأول ١٩٧٩م، ص ٥، سلسلة المسرح العالمي، الكويت.

٨. انظر: Angel Santos/ Revista Depriner ACTO 90/1976- NO 90,P.24

٩. انظر: الشرق الأوسط، عدد ٢٩يونيو/حزيران٢٠٠٠م، ص ١٩، (رجل الزمن الشاحب) محمد محمد الخطابي.

١٠. مجلة الكرمل، مرجع سابق، ص ١٨٣.

١١. حوار معه، في الشرق الأوسط، عدد ٧ يناير/ كانون الثاني ١٩٩٢م، ص ١٨.



أسماء الفائزين في مسابقة العدد (٣٢٦) شعبان ١٤٢٤هـ/ أكتوبر / ٢٠٠٣م.

الفائز الأول: هدى محمد فتحي أحمد حسن: كفر الشيخ. مصر.
الفائز الثاني: عدنان عبدالقوي صالح الشميري: صنعاء. اليمن.
الفائز الثالث: رشا إبراهيم حداد: عمان. الأردن.
الفائز الرابع: سعود خالد حسن: الدوحة. قطر.
الفائز الخامس: فؤاد البكري: تمارة. المغرب.
الفائز السادس: فاطمة حمدي ستوت: الرياض. السعودية.
الفائز السابع: مصطفى علي عبدالغفور: حلب. سورية.
الفائز الثامن: خليل نقاش: قرادم. ميلة - الجزائر.

حل مسابقة العدد (٣٢٦)

١- لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم
ولا سراة إذا جهّالهم سادوا؟
قائل البيت هو: الأفوه الأوديّ.
٢- التّرمالين: حجر نصف كريم.
٣- مَعْبَد: مغن عربي سطع نجمه في عهد بني أمية (ت:٧٤٣م).
٤- المذهب اللّامادي: مذهب يقول: إن الأجسام الخارجية هي في جوهرها عقلية.
٥- الفاراد: وحدة السعة الكهربائية.

أسئلة مسابقة العدد (٣٢٩)

ضع علامة ✓ أمام الإجابة الصحيحة:

(١) من قائل هذا البيت: مساكينُ أهلِ العِشْقِ، ما كنتُ أشتري جميع نفوس العاشقين بدرهم
- ☐ كثيرة عزة
- ☐ نُصيب بن رباح.

(٢) البلاتيوس:
- ☐ حيوان مائي ثديي بيوض من حيوانات أستراليا
- ☐ حيوان منقرض من فصيلة الديناصورات.

(٣) البورانا:
- ☐ قصة هندية أسطورية
- ☐ نسيج حريري تخالطه خيوط ذهبية وفضية.

(٤) الثانية النجمية:
- ☐ $\frac{1}{60}$ من الدقيقة النجمية
- ☐ $\frac{1}{49}$ من الدقيقة النجمية.

(٥) بابلو نيرودا:
- ☐ شاعر تشيلي عرف بنزعته اليسارية. منح جائزة نوبل عام ١٩٧١م
- ☐ رسام إسباني يعدّ من أركان المدرسة التعبيرية.

الاسم: .... المدينة: .... ص.ب: .... هاتف: ....

العنوان: .... الدولة: .... الرمز البريدي: .... ناسوخ: ....

نأمل من الإخوة الذين يشاركون في المسابقة من خارج المملكة العربية السعودية كتابة أسمائهم بالحرف اللاتيني؛ لأن المصارف (البنوك) تصدر الشيكات الخارجية باللغة الإنجليزية.

مضاعفة جوائز المسابقة

استجابة لرغبات عدد كبير من الإخوة القراء المتابعين للمسابقة والتي عبروا عنها من خلال الرسائل الكثيرة التي ظلت ترد إلى المجلة، ولإتاحة فرص الفوز بالجوائز لعدد أكبر منهم، فقد تمت مضاعفة عدد هذه الجوائز ابتداءً من العدد ٢٩٦ لتصبح على النحو الآتي:

الجائزة الأولى: ١٠٠٠ ريال.

الجائزة الثانية: ٧٠٠ ريال.

الجائزة الثالثة: ٥٠٠ ريال.

الجائزة الرابعة: ٤٠٠ ريال.

الجائزة الخامسة: ٢٥٠ ريالاً.

الجائزة السادسة: ١٥٠ ريالاً.

الجائزة السابعة: (اشتراك لمدة عام في مجلة الفيصل).

الجائزة الثامنة: مجموعة من أعداد الفيصل وبعض إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

ولا يخفى على القارئ المتابع أن الجوائز المستحدثة هي الرابعة والخامسة والسادسة والثامنة.

والفيصل، مع شكرها لكل الإخوة الذين يشاركونها الرأي في تطوير أبوابها، تأمل أن تكون عند حسن ظنهم دومًا، مع تمنياتنا حظًا وافرًا لجميع القراء الأعزاء.

تنويه:

نفيد الإخوة المتسابقين أن المجلة ستراعي ما حدث من تأخر في مواعيد صدور الأعداد الأخيرة لظروف فنية خارجة عن الإرادة، ولهذا فقد تم مدّ فترة تلقي المشاركات في المسابقات شهرين بدلاً من ٤٥ يومًا.



شروط المسابقة

- الإجابة عن جميع الأسئلة بشكل صحيح.
- لا تقبل إلا الإجابات المدونة على هذه القسيمة.
- إرسالها خلال ٤٥ يومًا من بداية الشهر العربي الذي صدر فيه العدد.
- أن يكتب المتسابق اسمه وعنوانه كاملاً داخل القسيمة.
- أن يكتب على الظرف (مسابقة العدد .....).

طريقة اختيار الفائزين

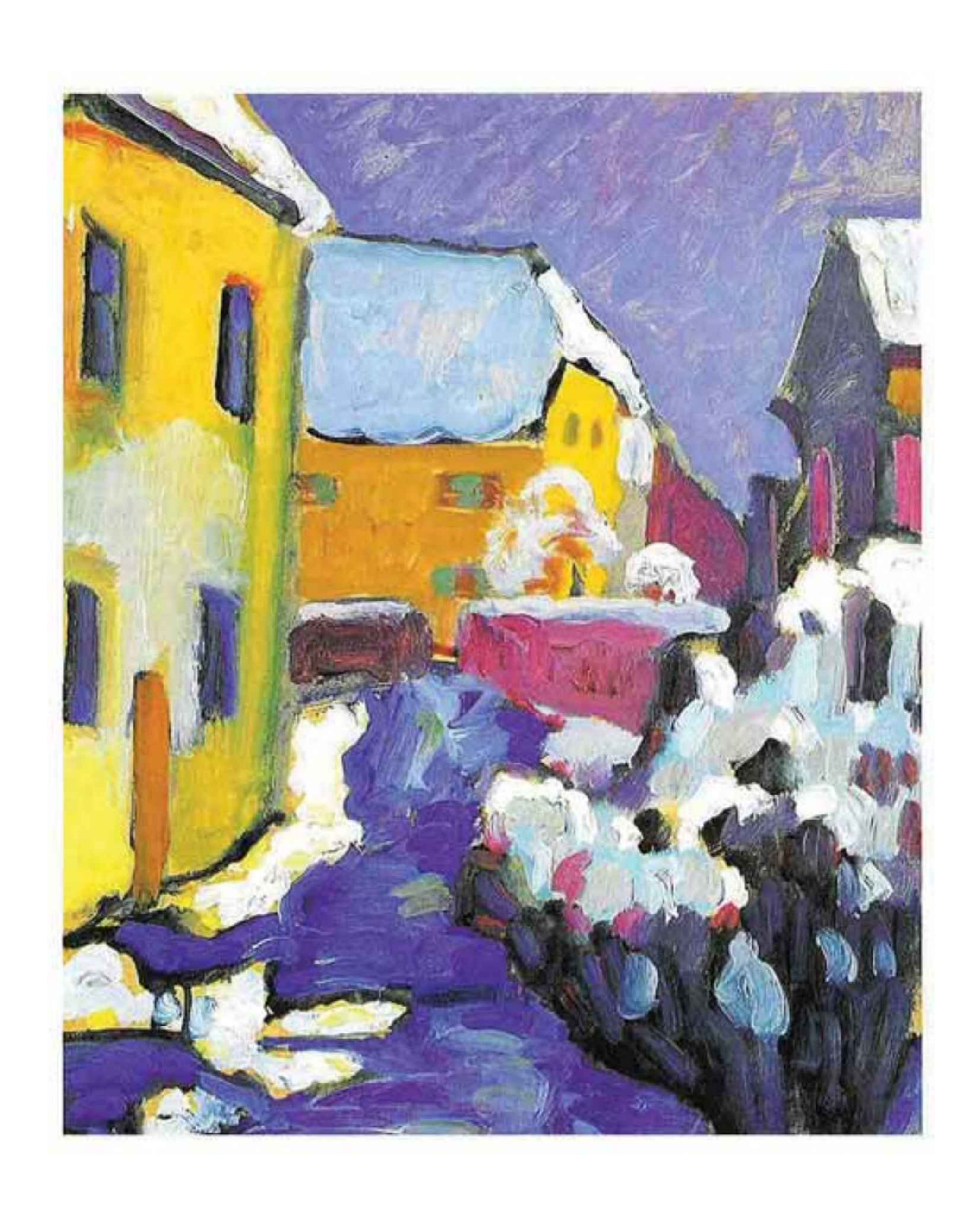
- تفرز جميع القسائم التي ترد من القراء.
- يتم استبعاد القسائم التي تكون ناقصة الإجابات.
- تجمع الإجابات الصحيحة، وتعمل قرعة بينها للفائز الأول، وقرعة أخرى للفائز الثاني، ثم قرعة للفائز الثالث، وهكذا إلى الفائز الثامن.
- ترسل الجوائز إلى أصحابها فور الوصول إلى النتيجة، وتدفع بالريال السعودي أو ما يعادله بالدولار الأمريكي.

عنوان المجلة

ص.ب (٣). الرياض ١١٤١١ - المملكة العربية السعودية. هاتف: ٤٦٥٢٢٥٥ / ٤٦٥٣٠٢٧ - ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

الملف الثقافي

- انطلاق فعاليات مهرجان الجنادرية (١٩)
- مستقبل المشروع الثقافي الفلسطيني
- وفاة الشاعرة فدوى طوقان والروائي محمد شكري
- فهرسة المخطوطات العربية في السويد رقميًا
- ● خاتمة المطاف: لماذا تحرّف المصطلحات؟





انطلاق فعاليات مهرجان الجنادرية (١٩)

افتتح صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبدالعزيز ولي العهد نائب رئيس مجلس الوزراء، رئيس الحرس الوطني، الرئيس الأعلى للمهرجان الوطني للتراث للتراث والثقافة يوم الأربعاء ٢٣شوال١٤٢٤هـ الموافق ١٧ديسمبر ٢٠٠٣م، فعاليات المهرجان الوطني للتراث والثقافة في دورته التاسعة عشرة والذي ينظمه الحرس الوطني سنوياً.

وشهد اليوم الأول انطلاق سباق الهجن السنوي الكبير الذي شارك فيه هذا العام عدد من دول مجلس التعاون الخليجي، ثم الحفل الخطابي الذي اشتمل على أوبريت (عرين الأسد) الذي كتبه الأمير خالد بن سعود الكبير، وتقوم فكرته على استعراض الدولة السعودية في مراحلها الثلاث وتحولاتها السياسية والاجتماعية التي واكبتها. كما تضمن حفل الافتتاح قصيدة كتبها الشاعر محمد عبدالله المسيطير، وقصيدة شعبية للشاعر خلف هذال العتيبي، وكان الموضوع الرئيس للمهرجان بعنوان «إصلاح البيت العربي» إلى جانب مجموعة من الندوات والمحاضرات والأمسيات، شارك فيها نحو ٦٥ مفكراً وأديباً.

وتكرم الجنادرية هذا العام الأستاذ محمد بن ناصر العبودي في إطار تقليدها السنوي لتكريم شخصية سعودية.

وبدأ النشاط الثقافي يوم الخميس ٢٤ شوال١٤٢٤هـ، وأقيم في قاعة الملك فيصل للمؤتمرات بفندق الانتركونتيننتال بحفل خطابي تضمن قصيدة للشاعر الدكتور سعد بن عطية الغامدي، ثم الندوة التكريمية للأستاذ محمد بن ناصر العبودي.

ومن الندوات التي تضمنها المهرجان محاضرة بعنوان «التطرف والغلو ـ الأسباب والعلاج» للدكتور سعيد بن مسفر القحطاني، وندوة إصلاح البيت العربي (المحور السياسي) وأدارها الأستاذ جميل الحجيلان، وشارك فيها الدكتور نزار عبيد مدني، والأستاذ عدنان عمران، والدكتور غسان سلامة، ومحاضرة بعنوان «العدل والسلام والإسلام» للدكتور صالح آل الشيخ، وأدارها الدكتور راشد الراجح، وندوة إصلاح البيت العربي (المحور الثقافي والإعلامي) أدارها الأستاذ خالد المالك، وشارك فيها الدكتور طاهر كنعان، والأستاذ غازي العريضي، والأستاذ محمود بن محمد سفر، والدكتور أحمد صدقي الدجاني، وندوة إصلاح البيت العربي (المحور الاقتصادي) أدارها الأستاذ الدكتور إحسان أبو



الأمير عبد الله بن عبد العزيز

حليقة، وشارك فيها الأستاذ حسين مرهج العماش، والدكتور عبدالعزيز العويشق، والدكتور ماجد المنيف، وندوة إصلاح البيت العربي (المحور الاجتماعي) أدارها الدكتور عبدالله بن محمد الفوزان، وشارك فيها الدكتور علي بن إبراهيم النملة، والأستاذ عباس الجراري، والدكتور خليل عبدالله مدني، والدكتور سعيد حارب، ومحاضرة بعنوان «مواكبة الأدب لهموم الأمة» للدكتور عبدالباسط بدر من سورية، وأدارها الدكتور محمد بن علي الصامل. واشتمل المهرجان على عدد من الأمسيات الشعرية: أولاها للدكتور إبراهيم العواجي، والدكتور أحمد محمود مبارك، والدكتور فريد مبارك، والأستاذ محمد براح بالقاسم، وأدار الأمسية الأستاذ الدكتور محمد بن خالد الفاضل، والثانية يشارك فيها كل من الأستاذ أحمد الصالح، والأستاذ فاروق شوشه، والأستاذ شهاب عبده غانم، والأستاذ محمد الرباوي، ويديرها الأستاذ عبدالعزيز قاسم. وأقيم النشاط الثقافي النسائي في الفترة من ٤ - ٦ ذي القعدة ١٤٢٤هـ، وتضمن ثلاث ندوات: أولاها ندوة بعنوان «دور الأسرة في تشكيل الفكر» للدكتورة فاطمة نصيف، وأدارتها الدكتورة الجوهرة المبارك.

والندوة الثانية بعنوان «المؤسسات التربوية بين الواقع والمأمول» أدارتها الدكتورة فوزية أبا الخيل، وشاركت فيها كل من: الأستاذة خولة الربيعة، والدكتورة سعاد الحارثي.

وجاءت الندوة الثالثة بعنوان «أثر المجتمع في إصلاح الفرد» أدارتها الدكتورة عواطف أشرف، وشاركت فيها الدكتورة سناء الثقفي، والأستاذة عفاف حمادي.

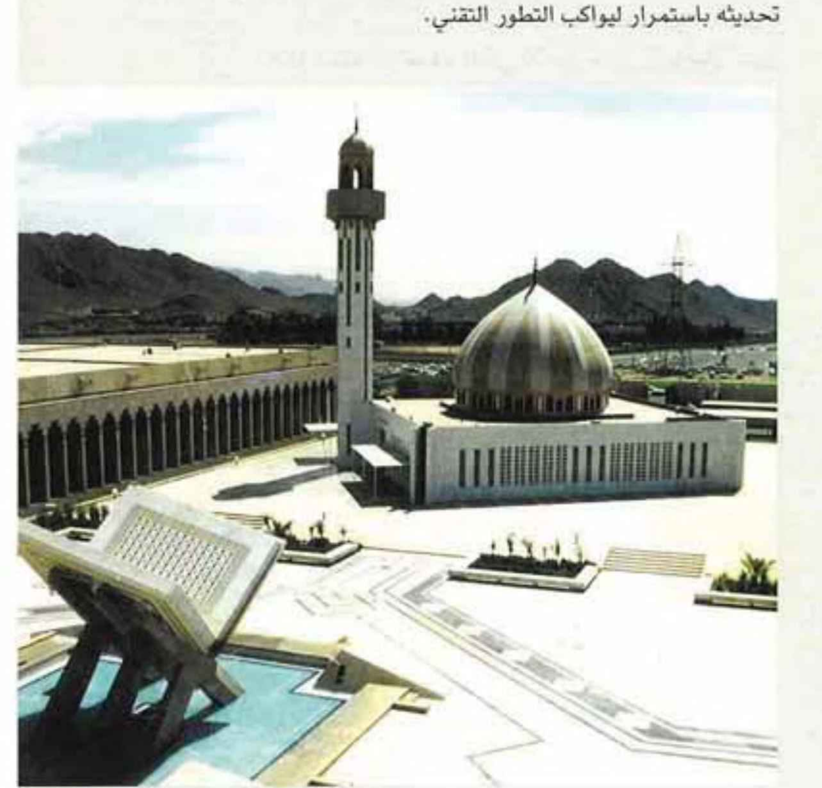
أما الأمسية الأدبية فشاركت فيها كل من: الشاعرة أحلام الحميد، والشاعرة رانية العطوي، والشاعرة هيفاء الجبري، وأدارتها الدكتورة وسمية المنصور.

مجمع الملك فهد لطباعة المصحف على الإنترنت

صرح الدكتور محمد بن سالم بن شديد العوفي - الأمين العام لمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة الذي تشرف عليه وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - أن المجمع أعدّ موقعًا متميزًا له على شبكة المعلومات الدولية «الإنترنت» بسبع لغات، ثلاث منها عالمية هي: الإنجليزية، والفرنسية، والإسبانية، وثلاث منها غالبية المتحدثين بها من المسلمين هي: الإندونيسية، والأوردية، والهوسا، بالإضافة إلى اللغة العربية وهي لغة الموقع الأساسية.

وأبان الدكتور العوفي أن من أهم المواد التي تم الانتهاء منها وفسحها على الموقع: تطور كتابة المصحف الشريف وطباعته، ونبذة تعريفية عن القرآن الكريم، ونبذة تعريفية عن المجمع، وغريب القرآن، والمكي والمدني، والناسخ والمنسوخ، وفتاوى تتعلق بالقرآن الكريم، وما يتميز به إنتاج المجمع، ومصطلحات القرآن، ومشكل إعراب القرآن، وأخبار الترجمات الجديدة، ومقدمة فهرست مصنفات التفاسير، والمسابقة الثقافية، وتفسير ابن كثير، وتفسير البغوي، والترجمة الإنجليزية، والترجمة الفرنسية، والترجمة الإندونيسية، وعدد من المواد المترجمة إلى لغات الموقع.

وأفاد الدكتور العوفي أيضًا أن موقع المجمع يجري تحديثه باستمرار ليواكب التطور التقني.



اللغة العربية تواجه المخاطر

أصدر مجمع اللغة العربية بدمشق في ختام مؤتمره الثاني الذي عقد مؤخرًا تحت شعار «اللغة العربية في مواجهة المخاطر» عددًا من التوصيات منها: دعوة الدول العربية إلى رسم سياسة لغوية واضحة تتفق مع النصوص الواردة في دساتيرها التي تنص على أن اللغة العربية لغتها الرسمية مما يترتب عليها تعميم استخدامها في مختلف ميادين مناشطها. كما طالبت التوصيات مجامع اللغة العربية ووزارات التربية في الدول العربية بوضع الدراسات المتعلقة بتطوير مناهج تدريس اللغة العربية وخاصة الصرف والنحو والإملاء، وتأليف مرجع ميسر لهذه القواعد مع الاستفادة مما وصلت إليه نظريات علم اللغة العربية وفروعه الخاصة، كما حثت على الإفادة من المنجزات التي تحققت في البلدان الآخذة بالتعريب، وذلك بعقد اتفاقات تعاون ثنائية بين الجامعة والمؤسسات العلمية العربية الراغبة في التعريب والجامعات والمؤسسات المعربة في البلدان العربية.

وطالبت التوصيات أيضًا بضرورة إنشاء مرصد عربي للمصطلحات وتشجيع مراكز الترجمة والتعريب على أداء مهامها على الوجه الأعلى واختيار المترجمين والمراجعين الأكفاء في شتى فروع المعرفة.

مؤسسة الفكر العربي تستشرف المستقبل في مؤتمرها الثاني

دعا صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل أمير منطقة عسير ورئيس مؤسسة الفكر العربي الحكام والمسؤولين والمثقفين والمفكرين والأشخاص الموجودين في مواقع المال والأعمال في المشرق والمغرب العربيين إلى تكاتف الجهود ودعم الطموحات الكبيرة من أجل الإسهام في التبشير بفجر جديد للأمة العربية.

وقال سموه في كلمته التي ألقاها في بيروت ضمن افتتاح فعاليات المؤتمر الثاني للفكر العربي الذي عقد تحت عنوان «استشراف المستقبل العربي» بحضور نحو ١٠٠٠ من كبار الشخصيات والمثقفين ورجال الأعمال من مختلف الدول العربية: «إن مؤسسة الفكر ستصدر قريبًا مجلة شهرية وستعمل على استضافة مؤتمر في لندن حول العلاقات العربية البريطانية».

وقد بدأت فعاليات الحفل تحت رعاية الرئيس اللبناني إميل لحود، شارك فيها الرئيس الجزائري عبدالعزيز بوتفليقة، ورئيس مجلس النواب اللبناني نبيه بري، ورئيس الوزراء اللبناني رفيق الحريري، والأمين العام لجامعة الدول العربية عمرو موسى

وقد كرمت المؤسسة عددًا من المبدعين هم: السعودية ثريا عبيد، والمصري محمد أحمد غنيم، ووزير الخارجية المغربي محمد بن عيسى، والفلسطيني إسماعيل عبدالقادر شموط، واللبناني جورج جرداق، والأردنية ريما قدورة، والقطري هيثم محمد علي سلامة، والطفلة السورية دعاء عبدالرحمن البسطاطي، واللبناني راندي نحلة.

في الجلسة الأولى تحت عنوان «مراجعة الوضع العربي الراهن»، وشارك كل من: صاحب السمو الملكي الأمير تركي الفيصل سفير خادم الحرمين الشريفين في بريطانيا، ورئيس مجلس النواب اللبناني نبيه بري، والأمين العام الجامعة العربية عمر موسى، وأدارها غسان تويني، وقد دعا المشاركون خلال هذه الجلسة إلى تفعيل دور البرلمانات والاهتمام بالفعاليات الثقافية، ودار بين المحاضرين حوار حول مفهوم الديمقراطية.

وحملت الجلسة الثانية عنوان «استشراف المستقبل السياسي العربي» شارك كل من الدكتور رضوان السيد، والدكتور عثمان الرواف، والدكتور جورج كتورة وأدارها الدكتور كلوفيس مقصود، ودعا المحاضرون إلى إيجاد الديمقراطية وإطلاق الحريات، والتخطيط المشترك، وإصلاح الجامعة العربية الذي هو الطريق الصحيح إلى مستقبل سياسي أفضل.

وكانت الجلسة الثالثة تحت عنوان «استشراف المستقبل الثقافي العربي»، وشارك فيها كل من: الدكتور أهيف سنو، والدكتور محمد غانم الرميحي، وأدارتها السيدة ليلى شرف وزيرة الإعلام الأردني سابقًا، وطالب المحاضرون بإستراتيجية موحدة وتجسير الفجوة بين المثقف والسلطة، ورأى بعضهم أن النهضة الثقافية تكمن في المعرفة، وقبول التعددية والحث على التعايش.

وجاءت الجلسة الرابعة محاولة لاستشراف المستقبل الاجتماعي العربي، شارك فيها كل من الدكتور أحمد صدقي الدجاني، ألقى ابنه مهدي ورقته نيابة عنه، والدكتور محمد علي البدوي، والدكتور حليم بركات، ورأى المؤتمرون أن تحسين حياة الفرد، والدفاع عن الكيان الأسري وتفادي

الأمير خالد الفيصل



تهافته هو منطلق التأسيس لعلاقات اجتماعية راسخة.

وعقدت الجلسة الخامسة تحت عنوان «استشراف المستقبل الاقتصادي العربي». وشارك فيها كل من: الدكتور حازم الببلاوي، والدكتور مصطفى النابلي، والدكتور سمير المقدسي، وأدارتها الدكتورة ميرفت التلاوي، ودعا الخبراء الاقتصاديون إلى التحول من الاقتصادات المتراصة إلى اقتصاد الوحدة، وإلى الإصلاح المؤسسي الذي يعتمد على المفهوم المؤسسي في صناعة القرار الاقتصادي. ودعا المحاضرون إلى توسيع دور القطاع الخاص في اقتصاديات الدول العربية وتعزيز مناخ الاستثمار، وتسريع عملية الخصخصة.

وكانت الجلسة السادسة تحت عنوان «استشراف مستقبل العلاقات العربية الأميركية». وشارك فيها كل من الدكتور فواز جرجس، وأديب الجادر، وجهاد الخازن، والدكتور عزة الخولي، وأدارها الدكتور بول سالم، وأثارت أوراق المشاركين تساؤلات عن عدم الثقة في العلاقات العربية الأميركية، وخلصت إلى أن العرب مسؤولون عن تدهور العلاقات مع واشنطن، كما أن تحيّز أمريكا لإسرائيل زاد حدته.

وتناولت الجلسة السابعة مستقبل العلاقات العربية الإفريقية. وحاضر فيها الدكتور حيدر إبراهيم، وأدارها الدكتور عبدالله ولد أباه، وأكد المحاضر أهمية قيام اتحاد عربي إفريقي لإلغاء الفقر بين الشعوب، مشيرًا إلى العلاقات العربية الإفريقية تنقصها الفعالية والكفاءة وتحديد ما يريد كل طرف من الآخر، وهناك تقصير عربي في إفريقية.

وكانت الجلسة الثامنة بعنوان «مستقبل العلاقات العربية ـ الأوروبية». شارك فيها كل من الدكتور ناصيف حتي، والسفير بول لافينيك، وأدارها الدكتور صالح بكر الطيار، وقد استهلت الجلسة بكلمة متلفزة للرئيس الفرنسي جاك شيراك حيّا فيها المجتمعين ورأى أنها بادرة مهمة لتحديد مستقبل العرب وأوربا، وأكد فيها أن المتوسط والمنطقة العربية في قلب فرنسا من ناحية الاهتمامات، ودعا المشاركون إلى أن مستقبل العلاقات العربية الأوربية رهن بإيجاد صيغة مستقرة.

أما الجلسة التاسعة فكانت عن استشراف العلاقات العربية ـ الآسيوية أدارها الدكتور عبدالله عبدالرحمن المدني، وحاضر فيها الدكتور محمود عبدالفضيل، وشدد على ضرورة إسراع العرب بتطوير علاقاتهم الآسيوية وجعلها محورًا إستراتيجيًا في علاقاتهم الدولية، للدور السياسي والاقتصادي الضخم الذي بدأت تتمتع به المجموعة الآسيوية، ولقطع الطريق على التغلغل الإسرائيلي، وبين عبدالفضيل أهمية القوى الآسيوية مثل: الصين واليابان وكوريا الجنوبية، ومجموعة الآسيان.

يشار إلى أن مؤسسة الفكر العربي تعدّ لإنشاء معهدًا للغة العربية، وطباعة أطروحات الدكتوراة المميزة للباحثين العرب في الداخل والخارج.

كما تسعى في خططها المستقبلية إلى إصدار كتاب سنوي يتضمن الأبحاث والدراسات والحوارات التي يشتمل عليها المؤتمر السنوي للمؤسسة، وإنشاء قاعدة بيانات عن العلماء العرب ومجالات اهتمامهم، وإنشاء مكتبة إلكترونية، وتنظيم الندوات والدورات وورش العمل بالتعاون مع المؤسسات والهيئات والجمعيات التخصصية الحكومية والأهلية والدولية، ونشر وتوزيع مئة عنوان مترجم سنويًا إسهامًا في تنشيط حركة التأليف والترجمة.





عمرو موسى



جاك شيراك

مستقبل المشروع الثقافي الفلسطيني

نظم المجلس الأعلى للتربية والثقافة في منظمة التحرير الفلسطينية ندوة حول موضوع «المشروع الثقافي الفلسطيني وإستراتيجية المستقبل» بدعم من اللجنة الوطنية الفلسطينية للتربية والثقافة والعلوم، بالتعاون مع المجلس الأعلى للثقافة في مصر.

وقد تحدث في افتتاح الندوة، التي عقدت في دار الأوبرا بالقاهرة، الدكتور محمد هاشم فالوقي المدير العام المساعد للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة - إيسيسكو مؤكدًا أن قضية فلسطين تتبوأ دائمًا الصدارة في اهتمامات العمل الإسلامي المشترك، وأن دعم قضية القدس والعمل على حماية هويتها الإسلامية والحفاظ على خصوصيتها الثقافية والحضارية تأتي في مقدمة اهتمامات المنظمة الإسلامية منذ تأسيسها عام ١٩٨٢م، إذ خصصت جزءًا كبيرًا من هذا الدعم لحماية المعالم الأثرية والمؤسسات الثقافية الإسلامية في القدس الشريف وغيره من المدن الفلسطينية.

وأكد الدكتور فالوقي أهمية هذه الندوة بالنظر إلى أهدافها ومحاورها والقيمة العلمية والفكرية للمشاركين في أعمالها، ودعا إلى العمل على استحضار ما جاءت به الإستراتيجية الثقافية للعالم الإسلامي، والاستئناس بها في دراسة المحور الثالث المتعلق بصياغة مشروع للعمل الثقافي الفلسطيني، مشيرًا إلى أن ذلك سيكون مفيدًا ومساعدًا على صياغة الإستراتيجية المستقبلية للثقافة الفلسطينية.

كما تحدث الدكتور زياد أبو عمرو وزير الثقافة الفلسطيني، والسيد فاروق حسني وزير الثقافة المصري، والدكتور المنجي بوسنينة المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم «إليسكو».

عودة رمسيس الأول من أمريكا

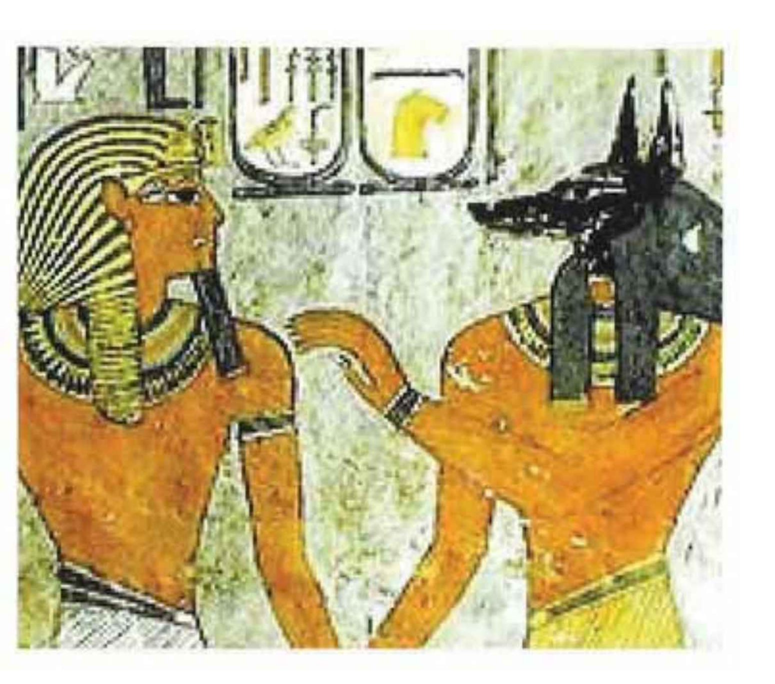
عادت مؤخرًا إلى مصر على متن طائرة فرنسية مومياء الملك رمسيس الأول، الذي حكم مصر، بعد أكثر من ١٤٠ عامًا قضتها خارج مصر متنقلة بين أيدي السماسرة والمتاحف العالمية، وكانت هذه المومياء قد خرجت من مصر عام ١٨٧١م، وتنقلت بين كثير من المتاحف حتى استقر بها المقام أخيرًا في متحف مايكل كالورس في أتلانتا بولاية جورجيا الأمريكية.

ووصلت المومياء إلى مطار القاهرة الدولي على متن طائرة فرنسية قادمة من باريس ملفوفة بعلم داخل صندوق مغلق وسط حراسة مشددة، وكان برفقتها وفد مصري برئاسة الدكتور زاهي حواس الأمين العام للمجلس الأعلى للآثار، وباتي سبت مديرة متحف «مايكل كالورس» و ١٣ من أعضاء إدارة المتحف.

وقال الدكتور زاهي حواس: إن هناك كثيرًا من الأبحاث والدراسات أجريت على هذه المومياء، تأكد بعدها أن هذه المومياء خاصة بالملك رمسيس الأول، أول ملوك الأسرة التاسعة عشرة الذي حكم مصر مدة عام وأربعة أشهر بنى خلالها مقبرة بوادي الملوك، وبدأ ببناء صرح الأعمدة في معبد الكرنك.

وأضاف الدكتور حواس أنه بعد مباحثات مع المسؤولين عن متحف كالور قرروا، من دون أي شروط، إعادة المومياء إلى مصر دون أي مقابل على الرغم من أنهم دفعوا مبلغ مليوني دولار لشرائها.

وقال حواس إنه «تم الكشف عن الانتماء الملكي لهذه المومياء مصادفة بواسطة العالم الألماني إيجبر إيشت الذي جاء لفحص إحدى المومياوات التي يمتلكها المتحف للتأكد من أنها تعود إلى الملكة المصرية الشهيرة نفرتيتي، ووجد أنها تعود إلى سيدة غير ملكية، ولكن كشف عن الأصل الملكي للمومياء المجاورة لها التي يعتقد أنها مومياء رمسيس الأول».



فهرسة المخطوطات العربية في السويد رقميًا

يعكف فريق متخصص في المخطوطات العربية تابع لمركز المخطوطات في مكتبة الإسكندرية على دراسة فهارس ثلاثة آلاف مخطوطة عربية تمتلكها السويد، وذلك بغرض نسخ المجموعات النادرة فيها رقميًا. وقال مدير مركز المخطوطات في المكتبة: «إن دراسة المخطوطات العربية تتضمن دراسة الفهارس التي وضعها السويديون لهذه المخطوطات وفهرستها ضمن إطار النظام الذي نتبعه في المكتبة، وذلك لاختيار المجموعات النادرة منها لتصويرها على أسطوانات مضغوطة تسهل اقتناء المهتمين بها».

وأشار إلى بعض المخطوطات النادرة التي ستنسخ رقميًا مثل: كتاب أقليدس في أصول الهندسة الذي ترجمه وعلق عليه ثابت بن قُرّة، وديوان درج الغرر للميكالي، الذي كتبه حسن بن الرشيق سنة ٤١٨هـ/١٠٠٢م، ونسخة من القرآن الكريم خطت سنة ٤٨٣هـ.

وأوضح مدير مركز المخطوطات أن «الاتفاق بين السويد والمكتبة يأتي ضمن إطار المشروع الكبير الذي يتبناه مركز المخطوطات في المكتبة لوضع نسخة رقمية لكل المخطوطات العربية التي يمكن أن نصل إليها عالميًا». وكانت المكتبة قد أصدرت صورًا رقمية على أسطوانات مضغوطة للمجموعات النادرة من مخطوطات بلدية الإسكندرية والمعهد الديني في سموحة، ومسجد أبي العباس المرسي.

وتخطط المكتبة لكي يغطي مشروع النسخة الرقمية للمخطوطات العربية غالبية المكتبات العربية، وكذلك المعاهد والمكتبات الأوربية التي تمتلك آلاف النسخ من المخطوطات العربية.

والمعروف أن السويد تمتلك نحو ثلاثة آلاف نسخة من المخطوطات العربية النادرة موجودة في المكتبة الملكية السويدية، ومكتبة جامعة أوبسالا في ستوكهولم تراكمت هناك بفضل جهود حركة الاستشراق خلال القرون الماضية.

المرأة الأعلى دخلاً!

أصبحت الكاتبة البريطانية ج.ك. رولينغ تملك ثروة أضخم الثروات في بريطانيا . وقد صنفت في العام الماضي المرأة الأعلى دخلاً في بريطانيا، إذ بلغ مدخولها ٤٨ مليون جنيه إسترليني ٧٥٠ مليون يورو»، وكان سبب هذه الثروة التي هجمت على المؤلفة المطلقة الشابة هو كتابها المثير «هاري بوتر»، الذي ربحت من بيعه في العام الماضي فقط نحو ٢٠٠مليون دولار، وتزوجت بعد طلاقها الأول من طبيب شاب وهي تنتظر الآن مولودًا .

ولم تسلم المؤلفة الشابة من الإشاعات التي تطلق على المشاهير، فقد قال سينو النية إنها فقدت ذلك الإلهام الذي كان يحركها حين كانت تكبّ على كتابة مغامرات هاري الأولى على طاولة أحد المقاهي في مدينتها الاسكتلندية أدنبره، في وقت كانت مطلقة شابة وأمًا لطفلة وتعاني مشكلات مالية كبيرة.

وكشف صدور كتاب «هاري بوتر» منذ الجزء الأول مدى الشغف الذي يحيط بمغامرات التلميذ الساحر الشاب، فقد تشكلت صفوف انتظار طويلة أمام المكتبات، أحيانًا منذ عشية عرض الكتاب للبيع، وتلقت دور التوزيع حجمًا من الطلبات لم تشهده من قبل، وحظي الكتاب بحملة إعلامية صاخبة، وسجل أرقام مبيعات فاقت كل ما عرفته دور النشر في العالم بأسره، وقد بيع من الجزء الأول من الكتاب خلال اليومين الأولين من عرضه نحو ٣٧٢ ألف نسخة.


ج.ك. رولينغ

جائزة للبعد عن الحب

أعلنت لجنة تحكيم جائزة مؤسسة عبدالمحسن القطان في فلسطين جوائزها لمسابقة الكاتب الشاب لعام ٢٠٠٣م، وقد فاز بالجائزة الأولى العمل الروائي «كلنا بعيد بذات المقدار عن الحب» للأديبة عدنية شبلي «عرب الشبلي - الجليل» من بين ستة أعمال روائية لكتّاب وكاتبات راوحت أعمارهم بين ٢٢ و ٣٠ عامًا، جميعهم من داخل فلسطين.

وقد جاء في حيثيات لجنة التحكيم أن الرواية الفائزة «تقدم تشريحًا بالغ الحساسية لعاطفة معقدة ووجود مركب هو الحب والكره، بداية الحب ونهايته، وتعتمد في أسلوبيتها بشكل يكاد يكون مطلقًا على الفعل والتصرفات في بناء الشخصيات بتفصيل دقيق، وعفوية مرهفة، إضافة إلى امتلاك الكاتبة قدرة على التحليل الداخلي بسيطرة نادرة وتحكم كبير في موضوع إنساني مهم وشفاف، كما أنه من أكثر المشاعر الإنسانية هشاشة وإحراجًا في أشد المناطق حلكة في النفس البشرية».

وقد نوهت لجنة التحكيم، المكونة من الروائيين: إدوارد الخراط من مصر، وإلياس فركوح من الأردن، وانطوني شماس، وسحر خليفة من فلسطين، بعملين روائيين آخرين هما: «اشتباك» لماجد عاطف من رام الله، ووصفته بأنه يحمل السمة التقليدية للعمل الروائي لما يتمتع به من بنية سردية متماسكة ورؤية متوازنة، والعمل الثاني «حصرم الجنة» لعاطف أبو سيف «مخيم جباليا - غزة»، وقد وصفته اللجنة بأنه عمل شفاف يمتاز بأسلوب محمل بالجماليات والانسيابية، ويكشف عن ثقافة روائية متميزة للكاتب.

ومؤسسة القطان هي مؤسسة خيرية تنموية تهدف إلى دفع عملية التنمية الثقافية والتربوية والعلمية والوعي الفكري للشعب العربي عامة وللشعب الفلسطيني خاصة من خلال الحفاظ على التراث، ورعاية الإبداع، وإنشاء المشروعات الثقافية والتربوية، ودعم المؤسسات القائمة في هذه الميادين، وقد أسست عام ١٩٩٤م في بريطانيا، وتم تسجيل فرع لها في فلسطين عام ١٩٩٨م.

من هنا يبدأ التغيير

صدر للمفكر والمحلل السياسي السعودي الدكتور تركي الحمد مطلع شهر أكتوبر/تشرين الأول الماضي كتاب سياسي جديد بعنوان «من هنا يبدأ التغيير» عن طريق دار الساقي التي تبنت جل إصدارات الحمد السياسية والروائية، كما جاء على موقع إيلاف الإلكتروني.


د. تركي الحمد

وقد جاء الكتاب في ٣٥٠ صفحة، واشتمل على مقدمة وخمسة فصول هي: لماذا تتوتر المجتمعات؟ ويبقى الخيار قائمًا، وعلى شفير الهاوية، وخصوصيتنا في عصر العولمة، ومن هنا يبدأ الأمن، ومن هنا يبدأ التغيير.

وجاء في مقدمة الناشر:

«يناقش هذا الكتاب معضلة الأزمة التي تعانيها الثقافة والهوية العربيتان، ويبحث عن الحلول لها، ويتطرق إلى التأثيرات السلبية التي أفرزتها الأحداث والحروب التي عصفت بالعالم العربي، وجعلت الفكر العربي قاصرًا وعاجزًا أمام تحديات الديموقراطية والتغيير». ويشرح تركي الحمد أسباب تقهقر السياسة العربية، ويرى أن العرب بحاجة إلى خطاب وثقافة جديدين متحررين من قيد لغة «خشبية» نخرها السوس، حتى يساهموا في صناعة الثقافة البشرية الشاملة الآخذة في التكوّن في عصر العولمة، لا أن يظلوا «شهود زور» لا يرون ولا يفقهون شيئًا مما يدور حولهم».

والملاحظ على مواد الكتاب أنها جمع لمقالات ودراسات سبق أن نشرها الحمد عبر مقاله الأسبوعي في صحيفة الشرق الأوسط اللندنية، وصل عددها إلى ٥٠ مقالاً بعضها نشر قبل ثماني سنوات.

وهذا الكتاب هو الثاني عشر في سلسلة نتاجات الحمد السياسية والروائية بدءًا بكتابه «دراسات أيديولوجية في الحالة العربية» الصادر عن دار الطليعة «١٩٩٢م» ومرورًا بكتابه «الثقافة العربية أمام تحديات التغيير» الصادر عن الساقي «١٩٩٣م»، وكتابه «عن الإنسان أتحدث» الصادر عن دار المنتخب العربي «١٩٩٧م»، و«الثقافة العربية في عصر العولمة» عن دار

الساقي صدرت منه طبعتان، وكتاب «الحلال والحرام» عن دار الساقي وصدرت منه طبعتان أيضًا، وكتاب «ويبقى التاريخ مفتوحًا، أبرز عشرين شخصية سياسية في القرن العشرين» الصادر عن دار الساقي في يونيو/ حزيران ٢٠٠٢م.

وكان الحمد قد أصدر عددًا من الروايات خلال الأعوام السبعة الماضية أحدثت ضجة وجدلاً داخل الأوساط الثقافية والاجتماعية السعودية والعربية.

حمورابي في باريس

يعرض حاليًا في متحف اللوفر في باريس قانون حمورابي مؤسس إمبراطورية بابل وأول مشرِّع عرفه التاريخ، وتعد هذه التحفة، وهي مسلة ضخمة منحوتة الراس من حجر البازلت الأسود تتخللها عروق بيض. حفرت عليها بالكتابة المسمارية ٢٨٢ مادة تألف منها قانون حمورابي، من أهم آثار الإمبراطورية التي امتدت إلى بلاد فارس «إيران»، واتخذت من بابل في العراق الحالي عاصمة لها.

وكانت هذه المسلة قد خضعت لعملية ترميم ضخمة عادت بعدها إلى مجموعة بلاد ما بين النهرين في حقبة الألفية الثانية قبل الميلاد، وتضم المجموعة نحو ٥٠٠ قطعة بين منحوتة، وتماثيل برونزية وجداريات وفخارات وألواح تحمل كتابات مسمارية وأختام أسطوانية الشكل، موزعة على مساحة ٥٠٠ متر مربع ترتفع وسطها مسلة الملك حمورابي «١٧٩٢ . ١٧٥٠ قبل الميلاد». وقد بذل المهندس جان ميشال ويلموت جهدًا كبيرًا لإبراز هذه الرائعة التاريخية على أفضل وجه، إذ أحاطها بإطار ترابي اللون يقسم فضاء القاعة ويخفي الأعمدة ويسمح بتثبيت إضاءة يمكن توجيهها لتسليطها بالشكل الأنسب على المسلة.

ويعود اكتشاف هذا الأثر التاريخي إلى ديسمبر/كانون الأول عام ١٩٠١م حينما اكتشفه فريق من علماء الآثار في إيران في سوسة في أثناء قيامه بأعمال تنقيب عند أعلى الأكروبول، ونقل إلى باريس في إبريل/نيسان عام ١٩٠٢م، وهي تتضمن نصًا من نحو ٣٥٠٠ سطر موزع إلى مربعات في ٥١ عمودًا، ويقرأ من اليمين إلى اليسار.

قطع أثرية نادرة تعود إلى متحف بغداد

أعيدت مؤخرًا إلى المتحف الوطني العراقي قطعتان أثريتان نادرتان، إضافة إلى ٨٢٠ قطعة مختلفة الأشكال والأحجام تعود إلى حقب تاريخية قديمة كانت سرقت بعد سقوط نظام الرئيس صدام حسين في أبريل/نيسان الماضي.

وتمثل إحدى القطعتين النادرتين تمثالاً نحاسيًا لرجل جالس على قطعة نحاسية دائرية يعود إلى عهد الملك الأكدي نرامسن «٢٣٠٠ قبل الميلاد»، والأخرى تمثل موقد نار يعود إلى العهد الآشوري «٧٠٠ قبل الميلاد». إضافة إلى ٨٢٠ قطعة مختلفة الأشكال والأحجام، منها أوان وأختام وتماثيل ولقى تعود إلى عدة حقب تاريخية.

وأعيدت في سبتمبر/أيلول الماضي إلى المتحف قطعة نادرة وثمينة تمثل سيدة الوركاء أو الموناليزا السومرية التي كانت قد سرقت من المتحف أيضًا.

من آثار العراق



أركون يفوز بجائزة ابن رشد



اركون

فاز المفكر الجزائري محمد أركون أستاذ الفلسفة في جامعة السوربون بجائزة «ابن رشد للفكر الحر» لهذا العام «لسعيه إلى طريق التعايش السلمي للثقافات والأديان، وتقديرًا لدوره الريادي في البحث عن جذور عربية أصلية في المنطق والعقلانية والتنوير».

وأعلن مجلس أمناء المؤسسة من مقرها في ألمانيا أن منح الجائزة لأركون تم بناءً على اختيار من لجنة تحكيم مستقلة تضم ٥ من أبرز المثقفين العرب. وقالت لجنة الجائزة في بيانها «محمد أركون واحد من أبرز الفلاسفة الحديثين في العالم العربي. وهو مستشارًا لعدد من المؤسسات السياسية والأكاديمية والدينية. ويعارض بجلاء لأطروحة صراع الحضارات التي صورت وكأنه لا مناص من حدوثها.

إن منهجه هو عرض التشابه بين الإسلام والغرب، وليس توسيع الخلافات والتسلط الآخر، كما هو سائد للأسف في الموقف الراهن. ويرى أركون أن المتخيلة في كلا القطبين، (الإسلام) و(الغرب) مبني على أن ثقافة الآخر هي العدو. إن موقفه هو الحوار بين الثقافات كما أن دراسته المقارنة للأديان والثقافات تجعل منه ابن رشد العصر الحديث».

وقال عضو الهيئة الإدارية للمؤسسة أستاذ الفلسفة الفلسطيني نبيل بوشناق: إن «مؤسسة ابن رشد للفكر الحر تهتدي بفكر ابن رشد الفيلسوف والوسيط بين الثقافات وتعتمد على إسهامات مثقفين عرب يعيشون في المهجر».

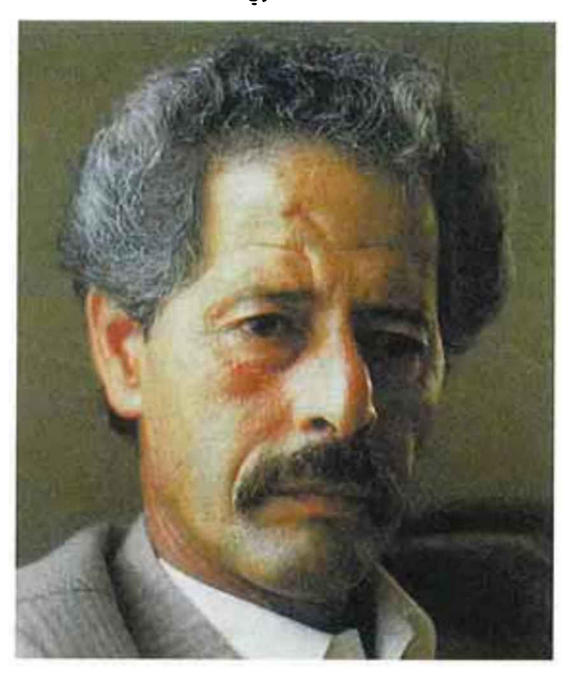
وتم تسليم الجائزة في السادس من ديسمبر/ كانون الأول في معهد جوته في برلين.

وفاة الروائي محمد شكري

توفي في الرباط في الخامس عشر من نوفمبر/ تشرين الثاني الماضي الكاتب والروائي المغربي محمد شكري، عن عمر يناهز ٦٤ عامًا بعد صراع مرير مع مرض السرطان الذي أصيب به في مارس/آذار الماضي. ويعدّ شكري أحد أبرز الروائيين العرب شهرة وحضورًا لما تحفل به رواياته من تمرد وبسط للوجع الإنساني بمختلف تجلياته.

وقد نعاه العاهل المغربي الملك محمد السادس قائلاً: «إن الأدب المغربي المعاصر فقد فيه أحد المبدعين المرموقين، كما فقد فيه المشهد الثقافي لبلادنا أحد أعلامه البارزين في فن الرواية، لما كان له من شهرة وصيت داخل الوطن وخارجه، عمت، بفضل ترجمة آثاره ومؤلفاته إلى عدة لغات، وجعلته يحظى بالتقدير عن جدارة واستحقاق». كما نعاه اتحاد كتاب المغرب الذي عد وفاته «رحيل علامة متميزة ورمز مشع من رموز ثقافتنا المغربية والعربية المستنيرة في خضم المتاهة والتباسات الأزمنة والأمكنة». وقالت رابطة أدباء المغرب وهي

محمد شكري



نعاه: «بوفاة شكري يفقد المغرب علمًا بارزًا من أعلام أدبنا الحديث المعاصر».

ولد شكري في قرية بني شيكر بمحافظة الناظور (شمال المغرب) عام ١٩٣٩م، وهاجر برفقة والديه منذ أن كان في السابعة من عمره من الريف إلى مدينة طنجة، والتحق بالمدرسة وعمره نحو عشرين عامًا بمدينة العرائش في (شمال المغرب) حيث أكمل بها دراسته الابتدائية والثانوية.

وخلّف رشدي رصيدًا إبداعيًا غنيًا تصدرته روايته «الخبز الحافي»، التي كتبها عام ١٩٧٢م ولم تنشر بالعربية إلا عام ١٩٨٢م، وقد ترجمت إلى عدد من اللغات الأجنبية. ومن أبرز مؤلفاته: السوق الداخلي، والخيمة، ووجوه، وغواية الشحرور الأبيض، ومجنون الورد، بالإضافة إلى مذكراته مع كل من جان جنيه، وتينيسي وليامز، وبول بوولز في طنجة التي أصدرها في كتب.

وفرضت الشرطة حراسة على منزل الروائي الراحل في طنجة؛ لأنه أوصى بمقتنياته إلى وزارة الثقافة، كما أوصى أيضًا لخادمته فتحية بمبلغ تحصل عليه شهريًا من أحد المصارف، وهو يكفيها لما تبقى من حياتها.

معرض عربي / نرويجي في مركز الملك فهد

افتتح السفيران النرويجي واللبناني في يوم ١٤ شوال الماضي المعرض التشكيلي المشترك للفنان اللبناني الفرنسي رامح نقولا، والتشكيلية النرويجية إيرينا سانورود الذي أقيم في مركز الملك فهد الثقافي.

وقد افتتحت صاحبة السمو الأميرة أضواء بنت يزيد بن عبدالله آل سعود القسم النسائي في اليوم التالي، واستمر المعرض مدة أسبوع، وقد اشتمل على ٥٣ لوحة تجريدية الفنانين منها لوحات مشتركة بينهما.

وهذا أول معرض للفنانين في المملكة العربية السعودية، وقد سبق لهما إقامة معارض فردية وجماعية في لبنان وأوربا.

ونقولا متخرج في المدرسة العليا للفنون الجميلة بباريس، وعمل مخرجًا فنيًا لعدد من الصحف والمجلات، آخرها «مجلة الفيصل» التي عمل فيها مدة ١١ عامًا، وإيرينا متخرجة في علم الطب والسيكولوجية وقد أتمت الدراسات العليا.

رحيل شاعرة فلسطين فدوى طوقان

توفيت في نابلس في مساء يوم الجمعة ١٩ شوال ١٤٢٤هـ (١٢ ديسمبر/ كانون الأول ٢٠٠٣م) الشاعرة الفلسطينية فدوى طوقان عن عمر يناهز ٨٥ عامًا، وقد نعاها الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات ومنظمة التحرير الفلسطينية، وقال عرفات «إنها شاعرة فلسطين الكبيرة رائدة الإبداع، ابنة جبل النار نابلس، ابنة فلسطين المناضلة المربية، الفاضلة أحد أعمدتها الثقافية، والأديبة الراسخة المميزة ، الحائزة على وسام فلسطين».

وأضاف «ستبقى فقيدتنا العزيزة فقيدة حركتنا الوطنية والإبداعية خالدة في ضمير شعبنا ووجدانه خلود جبال نابلس وفلسطين»

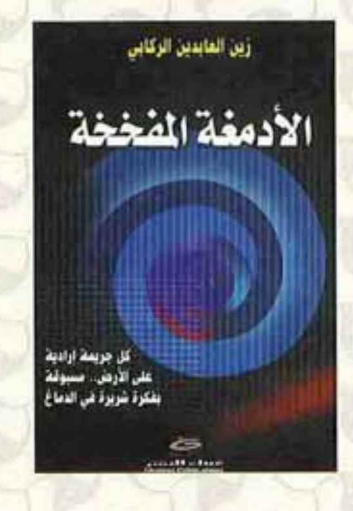
ولدت الراحلة في نابلس عام ١٩١٧م لأسرة عريقة وغنية ذات نفوذ اقتصادي وسياسي، وقد تأثرت بأخيها الشاعر إبراهيم طوقان (١٩٠٥ ـ ١٩٤١م) الذي كان يكبرها باثنتي عشرة سنة، وكان أول كتبها عن أخيها بعنوان «أخي إبراهيم»، وكان أول ديوان لها بعنوان «وحدي مع الأيام» (١٩٥٢م)، و«وجدتها» (١٩٥٨م)، و«أعطنا حبًا» (١٩٦٠م) ويقول النقاد إن شعرها مرَّ بمراحل ، فقد بدأت شاعرة كلاسيكية ذات نزعة رومانتيكية متأثرت بقصائد أخيها الشاعر إبراهيم طوقان، ثم تأثرت بالفكر الوجودي.

وما إن حلت هزيمة ١٩٦٧م حتى التحقت فدوى طوقان بشعر المقاومة، فتخلت عن الشعر الرومانتيكي وقد أصدرت في هذه الفترة ديوان «الليل والفرسان (١٩١٩)»، و«على قمة الدنيا وحيدًا» (١٩٧٣)، و«تموز والشيء الآخر»، و«اللحن الأخير» .

وآخر إصداراتها سيرة ذاتية في كتابين «رحلة صعبة ـ رحلة جبلية» (١٩٨٥م) و«الرحلة الأصعب» (١٩٩٣م).

وقد حصلت الراحلة على عدد من الجوائز الدولية والعربية والفلسطينية آخرها تكريم مؤسسة الفكر العربي لها في المؤتمر الأول للفكر العربي الذي عقد في القاهرة أواخر أكتوبر/تشرين الأول ٢٠٠٢م، وقالت عن التكريم «إن أجمل ما في التكريم الذي انتهجته مؤسسة الفكر العربي للمبدعين أنه يأتي في حياة الأديب أو الشاعر بعد أن كان يكرم بعد رحيله، فلا يحس بالتقدير أو الاهتمام الكبير، وهذا مكمن الدور المهم الذي تقدمه مؤسسة الفكر العربي حاليًا».





الركابي، زين العابدين/ الأدمغة المفخخة. الرياض: دار غيناء للنشر، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ٢٤٨ص.

يضم هذا الكتاب بين دفتيه مجموعة من المقالات نشرت في صحيفة الشرق الأوسط على مدى عشر سنوات، وقد روعي عند الكتابة أن تتخطى المضامين: الحدث بأربع: بتأصيل المنهج، وباستحضار عبرة التاريخ، وباستنباط الواقع، وباستشفاف المستقبل الآتي واستكشافه.

ويلقي المؤلف في الفصل الأول من الكتاب الضوء على موقف النبي ﷺ من الغلو والعنف، ثم يتحدث عن تحريف مفهوم الجهاد ومفهوم الولاء والبراء.

وفي الفصل الثاني يتحدث المؤلف عما قبل قارعة ١١ سبتمبر، وناقش قضية الخلط بين الإسلام والغلو، ثم تحدث عن جريمة أوكلاهوما، وأعمال العنف في مصر، ومسألة الفصل بين الإرهاب والإسلام.

أما الفصل الثالث والأخير الذي يركز في قارعة ١١ سبتمبر وكيفية مجابهة مسببيها ومستغليها. تناول المؤلف خلاله كيفية التعامل مع عقلية الإرهاب، وتناول المعاهدة الدولية لمكافحة الإرهاب، وجناية التسبب في إيذاء الإسلام والمسلمين، وموافقة مكافحة الإرهاب بالأجندة الصهيونية، ثم تناول المؤلف أزمة التفكير في الأزمة، وسجن العقل البشري بين إما مع وإما ضد، ودحض المؤلف ربط الجامعات والمدارس الدينية بأحداث ١١سبتمبر.



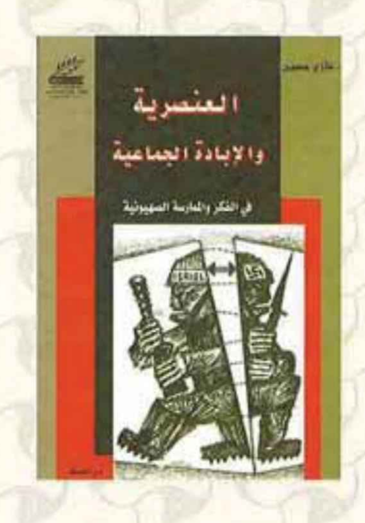
الحسيني، الشريف محمد بن راضي/ الشعر في المدينة في القرن الثاني عشر الهجري: رسالة ماجستير في الأدب العربي. المدينة المنورة: نادي المدينة المنورة الأدبي، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ٤١٢ص.

تتناول هذه الدراسة الشعر في المدينة في القرن الثاني عشر الهجري، وذلك بتمحيصه والوقوف على نماذجه، والكشف عن مستواه الفني.

وتنقسم هذه الدراسة إلى بابين رئيسين وتمهيد، يتحدث عن الحياة والأدب في هذه الفترة من خلال الحديث عن الحياة السياسية والاجتماعية والعلمية والدينية التي تنعكس جلية في الشعر.

ينقسم الباب الأول إلى فصول: يختص كل فصل بغرض معين من أغراض الشعر مع إيراد قدر كاف من النماذج الشعرية.

وخصص الباب الثاني للدراسة الفنية، وينقسم إلى أربعة فصول: الأول يتناول ملامح ومميزات فنية فيتحدث عن نقد معاصري هذا الشعر له، ووصف مؤرخي الأدب شعر هذه الفترة بالضعف، ثم رأي دارسي الأدب حول كيفية التعامل مع مثل هذه النصوص، أما الفصل الثاني فيتحدث عن الخصائص المعنوية حيث يشمل الحديث ثقافة الشاعر واستلهامه التراث وأصالته، ويتحدث الفصل الثالث عن الخصائص الأسلوبية واللغوية من حيث بناء القصيدة والصورة، والمحسنات البديعية، واللغة ومستوياتها، ويتحدث الفصل الأخير عن الخصائص الموسيقية لهذا الشعر.



حسين، غازي/ العنصرية والإبادة الجماعية في الفكر والممارسة الصهيونية- دمشق: اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٢م، ٢٢٢ص.

تتكون هذه الدراسة من سبعة فصول رئيسة: تناول الأول الجذور التاريخية للإرهاب الإسرائيلي، وعنصرية اليهودية، ومحاربة اليهود للدعوة الإسلامية، وبروتوكولات حكماء صهيون.

أما الفصل الثاني فيركز في الخرافات اليهودية، وخرافة النقاء العرقي اليهودي، وشخصية اليهودي، والصهيونية، اللاسامية.

ويتناول الفصل الثالث عنصرية الصهيونية، وعلاقة الصهيونية بالاتفاقية الدولية الخاصة بالقضاء على جميع أشكال التمييز العنصري، وبيّن العهد الدولي بشأن الحقوق المدنية والسياسية، وقرار الأمم المتحدة ٣٣٧٩ الذي ساوى الصهيونية بالعنصرية، والقرارات الدولية التي استندت إليها الأمم المتحدة لاتخاذ القرار ٣٣٧٩، ودور أمريكا في إلغائه، أما الفصل الرابع فيناقش العلاقة بين النازية والصهيونية، وعنصرية إسرائيل، وعنصرية المجتمع الإسرائيلي، ويوضح الفصل الخامس عنصرية قانون العودة الإسرائيلي، وعنصرية الجنسية الإسرائيلية، وعنصرية قوانين الأراضي، وعنصرية قانون أملاك الغائبين، وعنصرية قانون التصرف وامتلاك الأراضي، وعنصرية قوانين الطوارئ والعقوبات الجماعية.

أما الفصل السادس فيبين مسؤولية قادة إسرائيل عن مجازر صبرا وشاتيلا، وتقرير لجنة كاهانا الإسرائيلية للتحقيق في مجازر صبرا وشاتيلا الذي يدين قادة إسرائيل.

ويتناول الفصل السابع الهولوكوست الإسرائيلي تجاه الشعب الفلسطيني، ومحكمة نورنبرغ الدولية ومحاكمة مجرمي الحرب، والمعاهدة الدولية لتحريم جريمة إبادة الجنس البشري، وجرائم إسرائيل ضد السلام وضد الإنسانية، ووجوب محاكمة قادة إسرائيل كمجرمي حرب.



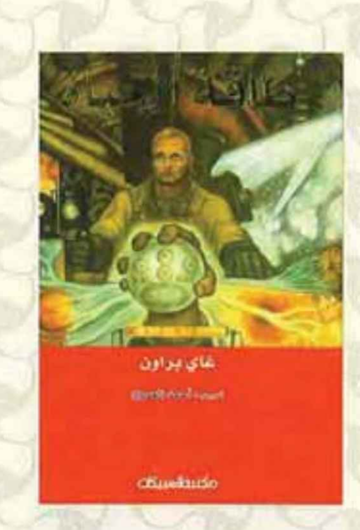
المسيري، عبدالوهاب/ الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان- بيروت: دار الفكر، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م، ٢٤٠ص.

يقول المؤلف «إن الفلسفة المادية تشكل البنية الفكرية التحتية أو النموذج المعرفي الكامن للكثير من الفلسفات الحديثة: الماركسية والبراجماتية والداروينية، كما إنها تشكل الإطار المرجعي الكامن لرؤيتنا للتاريخ والتقدم وللعلاقات الدولية، بل وأحيانًا لأنفسنا، وقد ارتبطت الفلسفة المادية في عقول الكثيرين بالعقلانية والتقدم والتسامح...إلخ، وأعتقد أنه قد حان الوقت لفتح باب الاجتهاد بخصوص هذه الفلسفة، وذلك لأهميتها وهيمنتها على بعض أعضاء النخب الثقافية والفكرية».

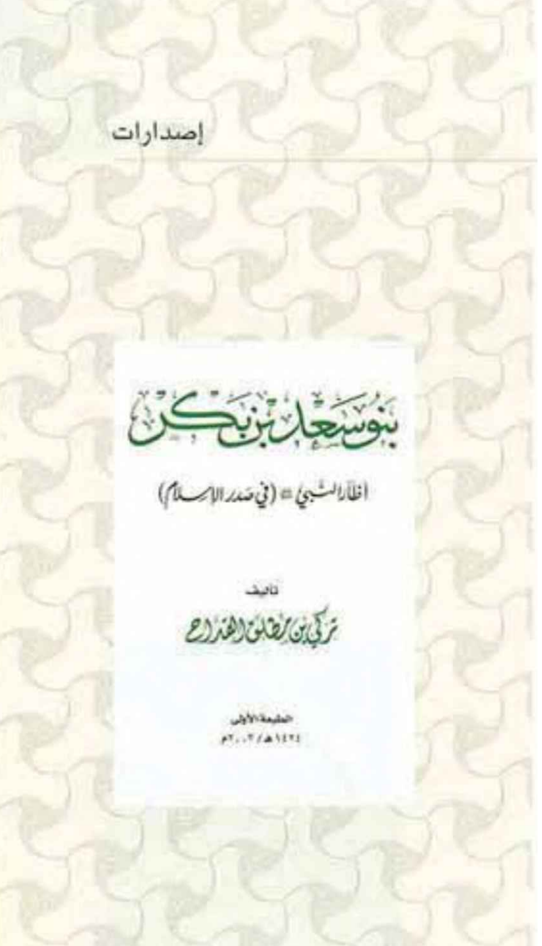
يتضمن الكتاب ثمانية فصول رئيسة: خصص الأول للتعريف بالفلسفة المادية وسر جاذبيتها ومواطن قصورها، كما يعرض للظاهرة الإنسانية وسماتها الأساسية، ويوضح الفصل الثاني الفروق الأساسية بين الظاهرة الطبيعية والظاهرة الإنسانية وعدم نجاح

الفلسفة المادية في تفسير ظاهرة الإنسان، ويتناول الفصل الثالث مفهوم العقل، ويبين أن العقل في حد ذاته مفهوم عائم غائم وأن المهم هو النموذج الكامن وراء العقل.
وانطلاقًا من هذا التصور تحاول الدراسة حصر أهم سمات العقل المادي كما تحاول توضيح الفرق بين العقل الأداتي والعقل النقدي.
أما الفصل الرابع «المادية في التاريخ» فيتناول بعض التجليات التاريخية للفلسفة المادية فيبين أن العلمانية الشاملة والإمبريالية والداروينية هي كلها تجليات متنوعة للفلسفة المادية.
ويتناول الفصل الخامس الترشيد أو العلمنة بمعنى إعادة صياغة المجتمع والإنسان في الإطار المادي، وكيف أن هذا يؤدي في نهاية الأمر إلى تنميط الحياة ووهم التحكم الكامل فيها. والفصل السادس هو امتداد، فنهاية التاريخ هي في واقع الأمر النقطة التي يتخيل بعض الناس أنها النقطة التي يتم التحكم فيها في معظم جوانب الحياة.
أما الفصل السابع «العنصرية الغربية في عصر ما بعد الحداثة»، فهو محاولة لتطبيق هذا المفهوم على ظاهرة العنصرية الغربية، والفصل الثامن والأخير «المادية والإبادة» يبين كيف أن الرؤية المادية هي رؤية إبادية في جوهرها، ويطبق الفصل هذا التطور على ظاهرة الإبادة النازية لليهود، وغيرهم من الأقليات.

براون، غاي/ طاقة الحياة، تعريب: أحمد العمري- الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ٤٩٦ص.



يبحث هذا الكتاب في ماهية الطاقة، وكيف نحصل عليها، وكيف نفقدها ثانية، ويتطرق البحث إلى قضايا أساسية أخرى عن، ما هي الحياة؟ وكيف تعمل؟ ولماذا نبذل جهدًا للنهوض في السرير صباحًا؟
ولكن ما هذا الشيء - الطاقة - الذي يفرق بين القوي والضعيف، وبين الشاب والمسن، وبين الحي والميت؟ كيف تبعث الطاقة الحركة في البدن والفكر؟ كيف تساعد الجسم أن ينمو، والأصبع أن يتحرك، والعقل أن يفكر؟ إن الطاقة عنصر مكون أساسي للكون، بل هي أكثر أهمية من المادة، إن الطاقة في أصل كل تغيير، وكل حدث في الكون، من تصادم الذرات إلى انفجار النجوم.
ويتناول الكتاب مفهوم الطاقة الأحيائية، بدءًا من منشئها قبل التاريخ كمفهوم عن الحياة إلى آخر الأبحاث حول الجسم الكهربائي والدافع النفسي. كما يتناول مجالات واسعة من التاريخ إلى الفيزياء، ومن علم الطاقة إلى علم النفس، وذلك بدءًا من نشوء الحياة إلى أسباب موت الخلية، ويتناول أيضًا كيف ولماذا اكتشفت الطاقة ، وكيف يمكن أن تصنع الآلية الدقيقة للخلايا معجزات من الحركة والفكر، وكيف تخلق الآلية نفسها الوهن والبدانة والمرض والشيخوخة والموت، ويدرس الكتاب العلاقة التي تربط الطاقة بالإحساس بالزمن، ولماذا ننام ونحلم، والعلاقة بين الطاقة والجنس، وصلة الوصل بين الإبداع والجنون، ويجيب الكتاب عن لماذا نحن تنقصنا الطاقة أحيانًا، وماذا بوسعنا أن نعمل من أجل الحصول عليها؟.



القداح، تركي بن مطلق/ بنو سعد بن بكر: أظآر النبي ﷺ في صدر الإسلام.- الرياض: المؤلف، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ٢٠٠ص.

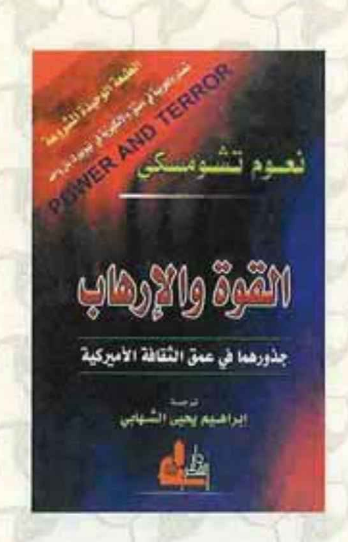
يهدف هذا الكتاب إلى إلقاء الضوء على أخبار قبيلة بني سعد بن بكر بن هوازن التي نشأ فيها الرسول ﷺ نشأته الأولى، وقد امتدحها ﷺ حينما قال: «أنا أفصح العرب، بيد أني من قريش واسترضعت في بادية بني سعد بن بكر». وقد أرضعته حليمة السعدية.

وقد ذكر ابن الكلبي (ت ٢٠٤هـ) عن فروعهم القديمة في الجاهلية والإسلام فقال: «وولد سعد بن بكر بن هوازن نصرًا، وجبلاً، وأمهما بنت عامر بن ظرب، وعوفًا وجنّة». فولد فُصَيّة بن نصر نضلة، وناصرة، وذؤيبة، وقنفذًا، وأمهم أرنب بنت عميرة بن وديعة بن الحارث بن فهر. فولد نضلة بن فصيّة غُوثًا. بطن.

وولد ناصرة بن فصية ملاّن، ومُليلاً، ودرج، وجابرًا، وفاتكًا، ووقدان فولد ملاّن، معبدًا بطن، وعبادة، ورفاعة، وعميرة.

وفروع قبيلة بني سعد بن بكر بن هوازن هي: بنو غويث، بنو معبد، بنو حرام، بنو جابر، بنو عوف، بنو جشم، بنو ذؤيبة، بنو حليمة، بنو عمير.

قسم المؤلف هذا الكتاب إلى أربعة فصول رئيسة، خصص الأول للحديث عن نسب وفروع قبيلة بني سعد، واستعراض ما قاله المؤرخون القدامى عبر القرون الماضية عن بني سعد بن بكر، وعن دورها في الجاهلية وصدر الإسلام، وفي الفصل الثاني حدد منازل قبيلة بني سعد بن بكر في ضوء المصادر التاريخية والجغرافية، وعدد في الفصل الثالث مشاهير هذه القبيلة من الرجال والنساء، كالصحابة والولاة والقادة وغيرهم، وركز في الفصل الرابع في المدون من الشعر عن هذه القبيلة المشهورة.



تشومسكي، نعوم/ القوة والإرهاب: جذورهما في عمق الثقافة الأمريكية. تحرير: جون جنكرمان، وتاكي ماكازو، ترجمة: إبراهيم يحيى الشهابي.- دمشق: دار الفكر، ٢٠٠٣م، ١٨٠ص.

يعرض هذا الكتاب أحدث أفكار نعوم تشومسكي من خلال مقابلات مطولة وسلسلة من الأحاديث التي ألقاها في ربيع عام ٢٠٠٠٢م، ويعد تشومسكي أحد أهم الأصوات المعارضة في الولايات المتحدة اليوم، فهو أستاذ اللسانيات الشهير وهو من أصل يهودي، ألف عدة كتب أحدثها كتاب (١١ ـ ٩) الذي طبع في ستة وعشرين بلدًا.

وكما فعل تشومسكي مرات لا تحصى منذ ٩/١١، فهو يضع تلك الهجمات في سياق التدخل الأمريكي في البلاد الأجنبية، طوال العقود التي تلت حرب فيتنام، إفريقية الوسطى، الشرق الأوسط، وغيرها من مناطق العالم، وبدءًا من المبدأ الأساسي القائل بأن ممارسة العنف ضد المدنيين هو إرهاب، بغض النظر عما إذا كان من يمارسه عصابة منظمة من المتطرفين أو أقوى دولة في العالم. يتحدى تشومسكي بعبارات واضحة صريحة الولايات المتحدة في أن تطبق المعايير الأخلاقية التي تطلبها من



الآخرين على أعمالها هي.

ويقول تشومسكي «كل فرد قلق بشأن وقف الإرهاب، حسنًا؛ ثمة طريقة سهلة جدًا توقفوا عن دعم الإرهاب، فذلك وحده كفيل بتقليص كمية الإرهاب في العالم وتلاشيه».

ومن آرائه الصريحة قوله: «إنه موجود هنا في أمريكا؛ لأن بعض المتعصبين الدينيين الأصوليين في إنجلترا، جاؤوا إلى هنا وبدؤوا بإبادة السكان المحليين، ثم جاء من بعدهم من تولى إبادة من تبقى منهم.. لم يكن الأمر شأنًا صغيرًا.. لقد أبادوا الملايين».



الفرجاني، عبدالعظيم/ التكنولوجيا وتطوير التعليم- القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر، ٢٠٠٢م، ٣٦٨ص.

يتناول هذا الكتاب طفرة التكنولوجيا التي شهدها ميدان التعليم في مختلف دول العالم موضحًا أن هناك عدة نظم لتطوير التعليم أفرزتها جهود البحث العلمي في ميدان تكنولوجيا التعليم.

ويقول المؤلف: «إن التكنولوجيا تواجه مشكلات حقيقية في ميدان التعليم، وما زالت المشكلات هي الاعتقاد بأن الأجهزة التعليمية فقط هي تكنولوجيا التعليم، وعليه فقد أدخلت أعداد هائلة من الأجهزة وأصيب التربويون بخيبة أمل بعد أن عجزت هذه الأجهزة عن حل أي مشكلة تعليمية». إذ إن هناك اختلاطاً بين النظم كفلسفة وبين الأساليب المتبعة في تطبيقها، ويحاول المؤلف توضيح الفرق بين النظام والأسلوب.

ويبين الكتاب التحديات العالمية والكونية التي واجهت العالم في مختلف ميادين الحياة، والتي جعلت التطوير في حد ذاته ضرورة ملحة لا بديل لها، فإما التطوير وإما العجز عن مواجهة التحديات المتمثلة في الطوفان المعرفي، وثورة المعلومات والتكنولوجيا والاتصالات، والانفجار السكاني، وظاهرة التغير السريع، وغيرها من التحديات التي واجهت التربوي والمؤسسات التقليدية وجعلتها بحالتها الراهنة من العجز وعدم مواجهة التحدي.

ويوضح الكتاب أن التكنولوجيا وأساليب الأداء التقني والاتجاه لتفريد التعليم والأخذ بنظم التعليم المفتوح، والتعلم عن بُعد، والتعلم الذاتي، والتعلم للاتقان، والبرمجة التعليمية على مختلف الإنتاج الثابت والمتحرك مثل المالتي ميديا، والهيبرميديا، وتكنولوجيا الواقع الافتراضي، وتطبيقات الكمبيوتر التفاعلي، والاستفادة من الشبكة العنكبوتية، كيف يمكن أن تكون كل هذه التكنولوجيا هي أدوات التطوير الحقيقية التي تكفل نقلة تعليمية، وتحقق المعادلة الصعبة في استيعاب الكم مع المحافظة على الكيف.



كوريا، كارلوس م. / حقوق الملكية الفكرية: منظمة التجارة العالمية والدول النامية واتفاق التريس وخيارات السياسة، ترجمة: د. السيد أحمد عبدالخالق، ومراجعة: د. أحمد يوسف الشحات- الرياض: دار المريخ للنشر، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ٣٦٨ص.

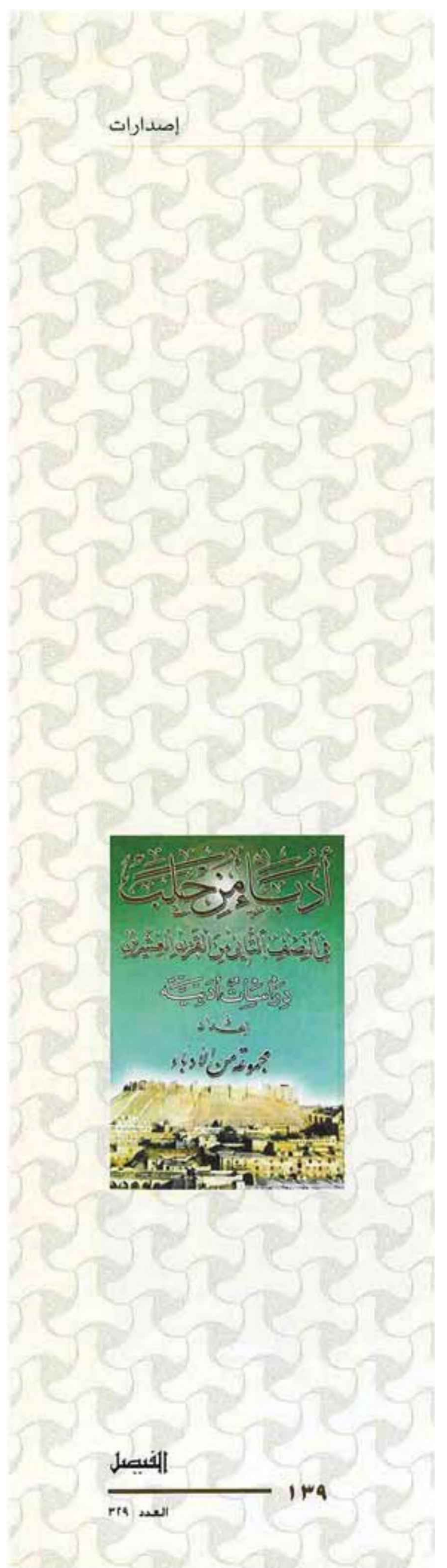
هذا الكتاب هو ثمرة بحث قام الباحث بإجرائه في برنامج الأساتذة في معهد العلم

والتكنولوجيا، ومركز الدراسات المشتركة حول القانون والاقتصاد (Ceidie) التابع لجامعة بيونس آيرس (الأرجنتين).

ويحتوي هذا الكتاب على تقرير أعدته مجموعة من الخبراء حول اتفاق التربس والدول النامية، مما يعد مرشداً لهذه الدول التي تنفذ هذا الاتفاق في مجال حقوق الملكية الفكرية.

أما مصطلح التربس (Trips) فقد ظهر في دورة أورجواي أول مرة في تاريخ الاتفاقيات العامة للتعريفات والتجارة (الجات) التي شهدت مفاوضات حول الجوانب التجارية لحقوق الملكية الفكرية، وقد تم إقراره ليصبح جزءاً من الوثيقة الختامية للدورة: اتفاق الجوانب المتعلقة بالتجارة من حقوق الملكية الفكرية الذي عرف بعد ذلك باتفاق التربس.

ويضع اتفاق التربس الحد الأدنى للمعايير المتعلقة بعدة أمور في هذا الشأن، منها :حقوق الطبع، والحقوق ذات الصلة، بما فيها برامج الحاسب وقواعد البيانات، والعلامات التجارية، والمؤشرات الجغرافية، والتصميمات الصناعية، وبراءات الاختراع، والدوائر المتكاملة، والمعلومات غير المفصح عنها والأسرار التجارية، وقد غطى المؤلف بحث هذه الجوانب إلى جانب المسائل الرئيسة للكتاب ومنها: التأثيرات المترتبة على اتفاق التربس بالنسبة إلى الدول النامية، وخيارات الدول النامية لإنقاذ الاتفاق في مجال براءات الاختراع، وحقوق الملكية الفكرية وتكنولوجيا المعلومات، والنفاذ إلى الموارد الجينية النباتية وحقوق الملكية الفكرية، وخيارات إنفاذ التربس في الدول النامية.



مجموعة باحثين/ أدباء من حلب في النصف الثاني من القرن العشرين: دراسات أدبية - حلب: المؤلفون، ٢٠٠٣م،٣٤٢ص.

هذا هو الكتاب الثاني الذي أعدته مجموعة من الأدباء الحلبيين بهدف رصد الحركة الأدبية المعاصرة في حلب، وذلك من خلال تراجم الأدباء ودراسة أعمالهم: شعراء وقصاصين، وباحثين في مضمار الأدب والنقد.

ويشتمل الكتاب على تراجم ودراسات تناولت كوكبة من أدباء حلب في النصف الثاني من القرن العشرين، ومعظهم اليوم من الأحياء رجالاً ونساء.

وقد تناولت الدراسات والتراجم كلاً من: القاص مظفر سلمان المتفرد، والشاعر عمر يحيى، والشاعر محمد جلال قضيماني، والشاعر عبدالله يوركي حلاق، والأديب فاروق حسن نور الدين، والقاص بشار خليلي، والشاعرة ليلى منير أورفه لي، والأديب محمد رؤوف بشير، والكاتبة ضياء قصبجي، والشاعر سمير ددم، والشاعر محمد هلال فخرو، والقاصة ليلى صايا سالم، والأديبة سليمى محجوب، والشاعر محمد مضر سخيطة، والأديب والروائي فاضل السباعي، والشاعر خالد معدّل، والشاعر عبدالرزاق معروف، والشاعر سعيد فخرو، والدكتور محمد جمال طحان، والأديب يوسف طباخ، والقاص عبدو محمد، والأديب عبدالقادر عنداني، والقاص زياد كمال حمامي، والقاص محمد بسام سرميني، والأديب خليل الهنداوي، وشاعر الأطفال عبدالكريم الحيدري، والكاتب نادر السباعي، والدكتورة ليس حجه، والكاتبة منى مختار النعال، والقاص محمود شوا، والقاص عدنان كزّارة.



المنار الجديد (س٦، ع ٢٤، شعبان ١٤٢٤هـ/ أكتوبر ٢٠٠٣م)

مقالات وأبحاث في فلسفة الدين وشؤون الاجتماع والعمران، تصدرها دار المنار الجديد للنشر والتوزيع في القاهرة بالتعاون مع التجمع الإسلامي في أمريكا الشمالية.

كتب افتتاحية العدد جمال سلطان المشرف العام على الدورية، وكانت بعنوان «الحركة الإسلامية المصرية.. ما بعد المراجعات»، وفي باب دراسات كتب د. إبراهيم الخولي عن «وحدة الأمة.. ودعوة بلاغ»، ود. محمد أمحزون عن «المسلمون وفقه المحن»، وسعد الدين إبراهيم عن «التطرف الديني والسياسة»، وختم دراسات العدد محمد السلومي بدراسة عنوانها «الحملة الأمريكية على المؤسسات الدينية والخيرية الإسلامية».

وجاءت مقالات العدد عن «الدور السياسي للمؤسسة العسكرية في تركيا» لسعد عبدالمجيد، و«الأسس الفكرية لعالمية الأدب عند سعيد النورسي»، للدكتور عبدالحليم عويس، و«نحو خطاب إسلامي رشيد» لعزام التميمي، و«الأسرة في المجتمع الغربي المعاصر» للدكتور مازن مطبقاني، و«الطريق إلى استنباط التكنولوجيا» للدكتور أحمد حسن مأمون، وختمت بمقالة «العمل الدعوي بين وصاية الشيخ ونصرة الدين» لمعتز الخطيب.

وجاء في باب وثائق: «شهادة المستشار يحيى الرفاعي على أزمة القضاء في مصر»، و«من وثائق الفكر السياسي للدولة العثمانية» لإسماعيل شكري خواجة. وكان آخر أبواب المجلة عن الإصدارات، وقد جاء فيها وصف ببليوجرافي وملخص لعدد من الكتب التي صدرت حديثًا أعدها مصطفى الأزهري.

العنوان: ص.ب ٢٨ / القاهرة ١١٨١١

هاتف: ٤٨٥٢٨٢١

ناسوخ: ٦٨٤٤١٨١

الموقع على الإنترنت: http: www. almanar.net

قافلة الأدب الإسلامي (مج ٤، ٤ ١ ـ ٢، ذو القعدة ـ ربيع الآخر ١٤٢٤هـ/ يناير ـ يونيو ٢٠٠٣م).

مجلة إسلامية محكّمة فصلية تصدرها رابطة الأدب الإسلامي العالمية في باكستان.

حفل هذا العدد الممتاز من الدورية بعدد كبير من الموضوعات الأدبية، خصص جزء كبير منها لبحوث الندوة التي عقدت في لاهور بمشاركة عدد كبير من الأدباء والعلماء الذين تحدثوا عن المفكر الإسلامي الراحل الدكتور محمد حميدالله.

كذلك احتوى العدد على الترجمة العربية لشعر الشاعر الشيخ «البابا فريد الدين مسعود، معدن السكر» وقام بالترجمة وتقديمها رئيس تحرير المجلة ورئيس الرابطة د. ظهور أحمد أظهر، والغرض من ذلك هو التعريف بالشعر الشعبي الباكستاني وإغناء اللغة العربية.

بدأ العدد بمقالة الأستاذ روسني بن سامة بعنوان «قضية الأمة الإسلامية العربية في الشعر الماليزي الحديث»، ثم تلا ذلك شعر الشيخ فريد الدين مسعود ـ رحمه الله ـ الذي عربه رئيس التحرير، وكانت آخر بحوث اللغة العربية قصيدة بعنوان «لاهور» من شعر

الأستاذ أحمد حسن نصر الله الأردني الذي سجل فيها انطباعاته عن مدينة لاهور وسكانها وعن القسم العربي في الكلية الشرقية بجامعة البنجاب وأساتذته وطلابه».
وقد جاءت بحوث العدد بثلاث لغات هي: العربية، والإنجليزية، والأوردية.
العنوان: رابطة الأدب الإسلامي العالمية ـ باكستان



دراسات مغاربية (ع ١٥/١٦، ٢٠٠٢م)
مجلة نصف سنوية تعنى بالبحوث والببليوجرافيا المغاربية تصدر عن مؤسسة الملك عبدالعزيز آل سعود للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية.
احتوى هذا العدد المزدوج على مجموعة من الموضوعات باللغة العربية واللغة الفرنسية، وقد بدأ البحوث الأستاذ الفضل شلق ببحث عن إشكاليات الحتمية التاريخية والإرادة، صعود الدولة وهبوطها، وتناول الدكتور فيديريكو وريتني نوردوبا «العلاقات اللغوية والأدبية في الأندلس وسائر الدول في شبه الجزيرة الأيبيرية، وقدم أحمد الجوة بحثًا بعنوان «الخطاب القصصي في رواية «الزيني بركات» لجمال الغيطاني»، وقدم أحمد السماوي قراءة في إنشائية الخطاب في الرواية العربية الحديثة.
وضم القسم العربي ببليوجرافيا للمنشورات المتعلقة بالمغرب الإسلامي. كما اشتمل العدد على أربعة بحوث باللغة الفرنسية.

العنوان: شارع الكورنيش -عين الذياب
ص.ب: ١٢٥٨٥ ـ ٢٠٠٥٢ الدار البيضاء
هاتف: ٢٢٣٩١٠٣٠ ـ ناسوخ:٢٢٣٩١٠٣١



الإداري (س ٢٥، ع ٩٣، ربيع الآخر ١٤٢٤هـ/يونيو ٢٠٠٣م)
دورية علمية متخصصة في مجال العلوم الإدارية تصدر عن معهد الإدارة العامة في مسقط.
اشتمل هذا العدد من الدورية على عدد كبير من البحوث والدراسات التي تهتم بالإدارة في مختلف جوانبها، وجاءت الافتتاحية بقلم رئيس التحرير، وكانت أول موضوعات العدد بعنوان «تدقيق الأداء الاجتماعي للمنشآت في ضوء معايير المراجعة الدولية الأمريكية» للدكتور صادق الحسني، و«أثر التغيرات البيئية والتنظيمية في التحول إلى محاسبة تكلفة النشاط» للدكتورة مها محمود رمزي ريحاوي، و«الوفورات المتحققة من استخدام نظام (J.I.T) من بيئات مختلفة» للدكتور محمد أحمد محمود المتيوتي، و«جودة الخدمات في المطاعم الفندقية» للدكتور خالد مقابلة.
وجاء في باب قراءات عرض لكتاب «التسويق الابتكاري» تأليف: نعيم حافظ أبو جمعة، قدمه قاسم عباس عيسى قاسم، واشتمل باب وثائق وتقارير على «بيان معالي وزير القوة العاملة أمام مجلس الشورى»، و«تقرير حول ندوات الجزاءات التأديبية وضماناتها الإدارية والقضائية ٤ ـ ٥ مايو/ آيار ٢٠٠٣م» أعدته سامية بنت حمدان الطائي.

العنوان: ص.ب:١١٩٩٤، الرمز البريدي ١١٢ ـ سلطنة عمان
هاتف:٦٦٩٠٠٨/٦٠٢٣٨٦ ـ ناسوخ:٦٠٢٠٦٦







إبراهيم بن عبدالرحمن الهدلق
الرياض - السعودية

مما لاشك فيه أن إصرار عدد من الباحثين والدارسين، بل والكتاب المعاصرين، على وسم مصطلحات عربية إسلامية فقهية بسمات ليست فيها أو وضعها لغير ما وضعت وخصصت له، أمر يثير حفيظة كل من له اهتمام بأمر البحث العلمي، كما أنه يُحدث خلطًا عجيبًا، فليس من العيب أن نستعير مصطلحًا حديثًا ونستخدمه في مكانه الصحيح ويظل معلومًا مصدره وفيما يستخدم، ولكن أن نحاول إلباس المصطلحات ما ليس منها فهذا أمر جد خطير.

فالكل يعلم أن العلم يقوم على ثلاث دعائم: موضوع ينحصر فيه، ومنهج يدور البحث على أساسه، وطائفة من القوانين والقواعد يصوب من خلالها ويرتكز عليها.

والمصطلحات والصيغ جزء مهم جدًا من المنهج العلمي يساعد المتخصص ويعينه على حسن الأداء، كما أن المصطلح له قيمته من الناحية التعليمية، فهو يجمع المتعلمين على دلالات واضحة وييسر لهم تسويغ الحقائق العلمية في قوالبها اللفظية الثابتة.

فالمصطلحات ضرورة علمية، ووسيلة مهمة من وسائل التعليم ونقل المعلومات، وقد ارتضى المتخصصون في علم المصطلح تعريفًا له يتميز بالدقة، فعرفوه بأنه: «الرمز اللغوي المحدد لمفهوم واحد» مؤكدين أنه يقوم على دعامتين، هما: الرمز اللغوي والمفهوم، كما يعرف بأنه: «لفظ يؤدي معنى دقيقًا يكتسب دلالته من المنطق الداخلي للعلم الذي ينتمي إليه». وتعد دراسة المصطلحات والوقوف على دلالتها من حيث المعنى وتطور المضمون، من أدق الدراسات وأعمقها؛ إذ بها يتبيّن الموضوع وتستبين معالمه، ومن دونها تكون الدراسة خبط عشواء تسير على غير هدى، وهذا أمر أولاه أسلافنا عناية خاصة في مختلف فروع المعرفة، فيما عرف بدراسة مصطلحات الفنون والعلوم، كما أن العناية بالمصطلح أحد الأبواب الأساسية في علم المنطق فيما يعرف بباب الحدود.

إلا أن الملحوظ عند محاولة تفكيك الخطابات الثقافية السائدة حول الإسلام وجود تحريف وتلاعب شديدين في المصطلحات والمفاهيم المستعملة في الكتابة بحيث تجر الألفاظ لخدمة أغراض بعينها، ولا تحتفظ بمعناها الإسلامي الأصيل بل تضطرب وتتحول إلى صراع لفظي مختلف حوله، مما يؤدي إلى ذبذبة وخلط شديدين في الفهم والتحليل مع أن من أوليات أي بحث تحديد المصطلحات وصياغة معانيها وحدودها بدقة قبل أي حوار. وعندما يتم تضمين المفاهيم والمصطلحات الإسلامية مضامين غير إسلامية يصبح النقاش لغوًا ومضيعة للوقت وللجهد؛ لأنه يكدس الألفاظ، ويربك الفهم، ويصيب بالإحباط كلاً من عمليتي القراءة والكتابة معًا.

وسبب هذا الخلط هو ادعاء كل واحد امتلاك فهم الإسلام بحق وعلى الوجه الصحيح على الرغم من وضوح الأمر وضوحًا بينًا لا يحتمل النقاش، وهي أمور اتُّفق عليها وأصبحت قواعد.

الشورى

وعلى سبيل المثال: فإن الشورى في الاصطلاح الشرعي - السياسي الفقهي - تعني استطلاع رأي الأمة المسلمة أو من ينوب عنها، في الأمور المتعلقة بها، لمعرفة الرأي الصواب أو الحق فيها؛ لأن العقول إذا ما اجتمعت وتشاورت، وضح السبيل أمامها أو توضحت السبل أمامها كالمصابيح التي باجتماعها يزداد النور، والملحوظ أن هذا المصطلح يسلب وينهش ويتقلص ليتحوّل في بعض الكتابات إلى مرادف لمفهوم الليبرالية الغربية البورجوازية في ممارستها السياسية، ومع هذا التحريف والسلب نجد مسعى آخر هو ملء المصطلح الإسلامي بمضامين أو إيحاءات غربية تحت شعارات إعادة القراءة ومعاودة التفسير أو الاكتشاف والتقصير أو التطويع لمتطلبات العصر ومقتضياته، مع ملاحظة إهمال أمور منهجية مهمة، منها: أن كثيرًا من هؤلاء لا يحسن العربية ولا يتفهم سمتها وأسرارها على الوجه الصحيح، ولا يمتلك ناصيتها، ولم يتعرف إلى أسرار علومها سواء النحوية أو الصرفية أو البلاغية، وهي عماد الفهم التابع لها، ومع ذلك يتصدون للتفسير والحكم وإعادة القراءة من دون امتلاك أدوات، وهذا الجهل بالعربية يتخذ بعدًا خطيرًا لدى بعض الأقلام يصل أحيانًا إلى حد الإحباط.

الأمة

ومن المصطلحات التي تعرضت للتشويه والخلط أيضًا مصطلح «الأمة» الذي يُعرّف في المفهوم الإسلامي بأنه: مجتمع يشترك أفراده في العقيدة ومفاهيم الحياة، وفي القيم الخلقية والمثل الإنسانية.

إلا أنه تحول من كينونة تاريخية وتوحيد للمسلمين على أساس

العقيدة والرؤى والمصالح إلى مفهوم ضيق يتعلق بشعب معين بالمفهوم القومي المحدود، وهذا الشعب تتحدد هويته بإقليم جغرافي ولغة معينة وتاريخ مشترك، وإن كان محدودًا جدًا ومرتبطًا بنموذج سياسي واحد، بل أحيانًا بحزب واحد، وهذا تعرّض لما هو متفق عليه، وتضييق لما هو واسع وقائم منذ مئات السنين ولم تفلح في تحطيمه الدعوات القومية والاستعمارية التي مارست معه ألوان القطيعة والتشكيك والبتر، ولكن تجليات هذا المفهوم المركزي عن الأمة تستوجب تفعيله داخل كيانات متعددة تمثل بنية المجتمعات الإسلامية بحيث تربط بينها وتحقق مصالحها، ولكن المشكلة تكمن في العجز، مما يجعل بعض الناس يشوّه حقيقة هذا المفهوم الفسيح، فلا نجد فكرًا تشهطيًا لمصطلح «الأمة» في الأذهان، ولا تمثيلاً له في كيانات إلا بطريقة شكلية نظرية لا ترقى إلى مستويات استثمار فعاليات هذا المعطى الكبير، بسبب الانغلاق في حدود القطرية التي رسخت تضييقًا وتشويشًا متعمدًا على هذا المفهوم الضخم، وهذا العجز يتخذ صورًا تصل إلى درجة الإهمال والإعاقة الفكرية التي تمنع مجرد التفكير والفهم: إذ تعجز الذهنية المحلية عن مجرد التفكير في مفاهيم واسعة من قبيل: سوق إسلامية مشتركة، أو محكمة عدل، أو مجلس شورى عربي/ إسلامي، أو أهداف إعلامية مشتركة. هذا مرتبط بغياب وعي في تجسيد مفهوم (المصلحة) التي هي قوام مفهوم الأمة بوصفها اجتماعًا واجتهادًا يسعى إلى إيجاد المؤسسات التي تخدم التعاون والتكامل بين أبناء الأمة أو التنسيق والتشاور، وسبر آراء الناس في مسألة معينة بفضل انتشار وسائل الاتصال، وهذه الفعاليات عندما تعطل تجعل معدلات التعامل التجاري والثقافي والتعليمي فارغة، فضلاً عن القدرة على تجميع الفعاليات لتكوين رأي عام قادر على تبني قضايا الأمة ومناصرتها والذود عنها.

إن التطبيق الحقيقي لمفهوم الأمة من شأنه أن يعلي من درجة التفكير في تفعيل فكر المؤسسات انطلاقًا من أن الأمة ليست تجميعًا عدديًا، وإنما هي تجميع تفاعلي بين كيانات متعددة؛ والانتماء إلى كيان الأمة لا يتعارض مع الانتماءات الأخرى المحلية ما دامت تتناغم في حركتها وتسعى إلى توحيد قوتها.

كل هذه المعاني السامية تذوب عندما يفقد المصطلح أبعاده الحقيقية وتتلاشى معه حمولاته الممثلة في روح التوحيد والتكامل والتكافل التي هي من صميم أهداف الإسلام.

الشريعة

ومن المصطلحات التي تعرضت للالتفاف والتهميش، أيضًا، مصطلح الشريعة، التي عرفت بأنها: «كل ما جاء به محمد -صلى الله عليه وسلم - من الله - عز وجل - سواء ما يتعلق بإصلاح العقيدة لتحرير العقل البشري من رق الوثنية والتقليد والخرافات أو ما يتعلق بإصلاح الأخلاق لتحرير الإنسان من زيغ الأهواء وفتنة الشهوات أو ما يتعلق بإصلاح المجتمع لتحرير الأمة من الظلم والفوضى والاستبداد».

إلا أن الملحوظ استبعاد المفهوم الواسع لهذا المصطلح في الاستخدام الإسلامي ليتحول إلى نظرية في التشريع القانوني الوضعي شبيهة باستخداماتها في الدول الغربية وأنظمتها، والعجيب أن بعض الكتّاب يخوّلون أنفسهم حق الاجتهاد والتفسير والعصرنة بحرية مطلقة، وخاصة في التصرف بالمصطلحات حسب الأهواء والمصالح، فعند فريق تصبح الشريعة مجرد مجموعة من المبادئ العامة حول العدالة والمصلحة والميراث يمكن أن يستفيد منها المشرع الوضعي في سن بعض اللوائح والقوانين (أو من الممكن أن تتوجه لضرب الشريعة نفسها). ويصبح هذا التلاعب ضربًا من تقنين الظلم عندما تستبد النظرة الأحادية بحكم الواقع، فتعمد إلى إلغاء بعض التعاليم أو التشريعات الإسلامية التي لا تتلاءم مع الأذواق والغرائز التي يريد فريق من الناس تحكيمها فوق كل اعتبار ولو ضد مصالح الأمة كلها. وهكذا يحق لكل فرد أن يمارس هواية الإقصاء والانتقاء دون احتكام إلى الشريعة ولا إلى الناس ولا إلى شعارات دولة المؤسسات والقانون والمجتمع المدني، فهذه كلها تصبح ملغاة، والحجج المسوقة في التسويغ جاهزة ومعدة سلفًا، فالقوانين الشرعية من وضع الفقهاء، ونحن رجال وهم رجال، وتلك الأحكام تاريخية ونسبية، ولم تعد صالحة لعصرنا، ولكن الحقيقة أنهم لا يمتلكون العصر ولا أدواته ولا العلم ولا أبجدياته.

النسبية

أما مصطلح (النسبية) فقد تحول إلى ساطور تقطع به أطراف الشريعة، فما لا يهواه المزاج يصبح نسبيًا، ومما فات أوانه، أو أنه لم يكن يصلح إلا في العهد المكي أو المدني، فقد لا يتجاوز عهد النبوة، وإن تكرم بعضهم بنوع من التسامح فسيصل به إلى مرحلة الخلافة الراشدة (وهذا كرم ونبل منهم!!) ويصل الاستخفاف عند فريق منهم إلى المدى الأبعد (وهذا حسب ما تتيحه لهم موازين القوى وفرص التمكن والنفوذ والموقع) إلى تقديم توجه فلسفي نقدي.

ومن خلال هذه الإطلالة السريعة على عدد يسير من المصطلحات الإسلامية نقف على كم كبير من الخلل المقصود أو غير المقصود -إذا افترضنا حسن النية -في الاستخدام، وما أردت من هذا إلا لفت الانتباه إلى هذا الاستخدام للمصطلح العلمي الإسلامي، ووجوب الحفاظ على هويته، واستخدامه بالصورة السليمة السديدة، والدفاع عنه ضد هجمة المصطلحات الغربية الحديثة.





تذوق طعم الألوان

